

دراسات منهجية  
في  
علم البديع

دكتور الشحات محمد بوسنت

أستاذ البلاغة والنقد

كلية اللغة العربية — جامعة الأزهر

الطبعة الأولى

١٤١٤ هـ — ٢٠٩٤ م





دراسات منهجية  
في  
علم البدیع

دكتور الشیخ محمد أبو سنین

أستاذ النقد والبلاغة

كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٩٩٤ م



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين  
والمُرسلين ، سيدنا محمد النبي العربي الأمين ، وعلى آله وصحبه ومن  
تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

أما بعد ...

فقد صنف المتأخرون البلاغة في ثلاثة علوم : المعاني والبيان  
والبديع ، وجعلوا علم البديع مقتصرا بوجوه تحسين الكلام بعد رعاية  
المطابقة ووضوح الدلالة ، وبهذا أنزلوه منزلة دانية بعد علمي المعاني  
والبيان ، ووضعوه في ذيل البلاغة ، وحكموا على مباحثه بأنها محسنات  
عرضية لا ذاتية ، وحلوا للتربيع والتجميل ، لا دخل لها في بلاغة  
الاسلوب ، ولا تتوقف عليها مطابقتها لمقتضيات الأحوال .

وقد صادف هذا الحكم رواجاً لدى أصحاب الشروح والحواشي  
والتقاريرات ، وشايهم بعض الدارسين والباحثين ، وتمخض ذلك عن  
انصراف الهمم عن تحصيل مباحث هذا العلم وتوقف الأذهان عن بحث  
أسراره ، وسير أغواره ، فضلت معظم الكتب البلاغية الحديثة من  
مباحثه ، واقتصر بعضها على عرض الذائع من ألوانه عرض الزاهدين .

وفي هذا غمط لمكانة هذا العلم وحط لقدره وشأنه ، وهو الذي احتل  
المنزلة العالية لدى السابقين ، وكثيراً ما أطلقوا اسمه على الفنسون  
البلاغية كلها ، بل إن الدراسات المنهجية في البلاغة العربية بدأت بدراسة  
فنون البديع وألوانه على يد « ابن المعتز » في كتابه « البديع » .

ومن تتبعى فنون البديع في مصادرها المختلفة رأيت أن هذه الفنون قد كثرت وتسميت وتعددت أسماءها وتداخلت دورها واختلط بعضها ببعض حتى غشا حصرها واستيعابها أمرا صعبا يحتاج الى جهد شاق ، إذا ينبغي ان تضم في أبواب أو فصول يتضمن كل واحد منها مجموعة من الفنون البديعية التي مشترك في عرض عام ترمى اليه نفيتم من خلال ذلك حصر فنون البديع في نطاق محدد يبسر درسا ، ويعين على نقدها وتقييمها ، الهذبة بما له قيمة في العمل الأدبي وطرح ما لا جدوى من ورائه .

ومن هنا كان هذا الكتاب « دراسات منهجية في علم البديع » الذي التزمت فيه منهجا يسهم في النهوض بهذا العلم ويجلى مكانته الرفيعة بين علوم البلاغة ، وبنيتة على تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة .

وفي التمهيد تمحدث عن نشأة البديع وتطوره عبر العصور المختلفة .

وفي الفصل الأول تناولت بالتحليل مجموعة من الفنون التي تلتقى في العمل على تناسب الاسلوب ، واقتلاف عناصره ، وربط أجزاءه بعلاقات قوية ، وهي : الطباق - والمقابلة - ومراعاة النظير - والارصاد - والمزاوجة - والسجع - ومواضع التائق في الاساليب .

وفي الفصل الثاني تكلمت عن مجموعة من الفنون يلحظ فيها الإيهام والتخييل وهي : التورية - والمتساكلة - وحسن التعليل - والتجريد - وتأكيذ المدح بما يشبه الذم - وتأكيذ الذم بما يشبه المدح - والجناس .

وفي الفصل الثالث وقفت أمام مجموعة من الفنون يتجلى فيها المعنى بين الاجمال والتفصيل ، والجمع والتفريق ، ونحو ذلك . وهي : اللف والنشر - والجمع - والتفريق - والتقسيم - والجمع مع التفريق - والجمع مع التقسيم - والجمع مع التفريق والتقسيم .

وفي الخاتمة تحدثت الحديث عن مكانة البديع في الدراسات

البلاغية ، وأهميته في بلاغة الاساليب ، ناشيا عنه ما وحسب به من تهتم  
لا أساس لها .

وقد ركزت في تناولى لفنون البديع على تحليل مسألتها ، والكشف  
عن سر بلاغتها ، وبيان أثرها في المنى وقيمتها في الاسلوب ، مع الاكثار  
من الشواهد الأدبية التي توضح هذه الجوانب .

واقصرتنا على هذه الفصول ودا درسيها فيها من فنون لا يبنى  
حصر فصول البديع أو فنون كل فصل ، إنما ذلك بمثابة إشارة على  
الطريق بقدر ما هيأت الظروف ، ومن الميسور تسمية فصول ، أخرى وضم  
ألوان فيها ، أو إضافة ألوان أخرى الى الفصول التي سميناها .

وأرجو أن يكون هذا الكتاب مزيلا لبعض ما تراكم من غبار على  
فنون البديع ، وميسرا على كشف لطائفها وتذوق حسنيتها وجمالها ، وباعتنا  
على مواصلة البحث في أفنانها الوارفة .

وعلى الله تصمد السبيل

وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت وأليه أنيب

طحانوب — قليوبية

في ١٤ / ٤ / ١٤١٤ هـ

١ / ١٠ / ١٩٩٣ م

دكتور

الشحات محمد عبد الرحمن أبو ستيت

أستاذ البلاغة والنقد

بكلية اللغة العربية بايتاي البارود





## تمهيد

### البديع : نشأته وتطوره

معنى كلمة بديع :

جاء في لسان العرب : بدع الشيء يبدعه بدعا ، وابتدعه : أنشأه  
وبدأه ، وبدع الركبة : استتبطها وأحدثها •

والبديع والبدع : الشيء الذى يكون أولا • وفى التنزيل ( قل  
ما كنت بدعا من الرسل ) ( ١ ) ، لى ما كنت أول من أرسل ، قد أرسل  
قبلى رسلا كثير •

والبديع : المحدث العجيب ، والبديع : المبدع ، وأبدعت الشيء :  
اخترعته لا على مثال • وسقاء بديع : جديد ، وحبل بديع جديد •

وابدع الشاعر : جاء بالبديع ( ٢ ) •

وعلى هذا فالكلمة تدور فى اللغة حول معنيين :

١ — المحدث والجديد الذى أنشئ على غير مثال سابق •

٢ — العجيب والغريب الذى يكون فيه حسن وطرافة •

وقد وردت هذه الكلمة فى الشعر القديم وجاءت فى القرآن الكريم  
وفى الحديث الشريف بهذين المعنيين •

فنراها فى قول الأفوه الأودى :

ولكل ساع سنة ممن مضى تنمى به فى سعيه أو تبدع

---

( ١ ) انظر سلسل آية ٩ .  
( ٢ ) ينظر لسان العرب — مادة : بدع .

وفي قول عدى بن زيد :

فلا لنا بدع من حوادث تعترى  
رجالا غدت من بعد بوّسى بأسعد

وفي قول حسان بن ثابت :

قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم  
أو حاولوا النفع في أسياعهم نفحوا  
سجية تلك فيهم غير مصدئة  
ان الخلاق فاعلم شرها البدع

وجاء لفظ « بديع » في القرآن الكريم في آيتين :

قوله تعالى : ( بديع السموات والأرض واذا قضى أمرا فانما يقول  
له كن فيكون ) . (٣) • وقوله تعالى : ( بديع السموات والأرض انى يكون  
له ولد ولم تكن له صاحبة ) (٤) •

ومعناه : أنه أنشأها وأحدثها على غير مثال سابق (٥) •

وجاء لفظ « بديع » في الحديث الشريف في قوله صلى الله عليه  
وسلم : « ان تهامة كبديع العسل حلو أوله حلو آخره » (٦) •

وظل استعمال هذه الكلمة يدور حول معاني : الجديد والمحدث  
والعجيب والغريب في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي وجاءت على  
السنة كثير من الشعراء ، ومن ذلك :  
قول عمر ابن أبى ربيعة :

---

(٣) البقرة آية ١١٧ .  
(٤) الأنعام آية ١٠١ .  
(٥) ينظر معجم الفاظ القرآن الكريم ٨٢/١ .  
(٦) لسان العرب ... مادة : بدع .

فأنتها فأخبرتها بعفري ثم قالت : أتيت أمرا بديعا  
وقول كثير :

وحاجة.نفسى قد قضيت وحاجة تركت وأمرا قد أصبت بديعا  
وقول الفرزدق :

أبت ناقتسى الا زيادا ورغبتى

وما للجود من أخلاقه ببديع (٧)

وجاء العصر العباسى ، وجددت الحضارة المادية والعقلية من رواء  
الشعر ، فأمدته بالخيال الخصب ، والفكر العميق ، والمعنى الدقيق ،  
وزينته بألوان زاهية من التشبيه والاستعارة ، وبديع للتصوير وجميل  
التمثيل ، وصبغته بأصباغ طريفة من الثقافة والفلسفة ، ومزجته بحكمة  
الهنود وأدب الفرس ، وتنبه الشعراء العباسيون الى ما فى شعر  
القدماء من طرائف الحسنة البديعية ، فتناولوا البديع فى شعرهم (٨) ،  
ما بين مقتصد فيه كبشار بن برد ( ت ١٦٧ هـ ) وأبى نواس ( ت ٢٩٩ هـ )  
ومفرط فى استعماله كمسلم بن الوليد ( ت ٢٠٨ هـ ) وأبى تمام  
( ت ٢٣١ هـ ) .

وينسبون الى مسلم بن الوليد أنه أول من أطلق اسم «البديع» على  
الفنون التعبيرية التى شاعت فى الشعر العباسى (٩) ، وتبعه فى ذلك  
الشعراء والرواة ، ثم استعمل هذا المصطلح فى مؤلفات الأدباء .

---

(٧) تنظر هذه الأبيات وغيرها فى المصور البديعية ٥/١ .

(٨) البديع فى ضوء أساليب القرآن ٧ .

(٩) انظر الاغصان ٣١٥/١٨ .

### قسم فنسون البديع :

واستعمال فنون البديع في الكلام لم يكن لمرأ مستحدثا في العصر النبأسى ، فهذه الألوان البديعية وجدت في الشعر الجاهلى والنسعر الاسلامى وجودا فطريا ، واتفقت للمقدامى اتفاقا ، واطردت في كلامهم اطرادا عن عفو الخاطر ، وفيض الفطرة ووحى السليقة من غير أن يعمدوا اليها متعلمين متكلفين ، ومن غير أن يعرفوا لها أسماء ، سوى أنها من ألوان كلامهم الذى به يؤدون لغراضهم (١٠) .

فجاء الطباق في قول امرىء القيس :

مكر مكر مقبل مديبر معا كجلمود مسخر حطه السيل من عل

وجاءت المقابلة في قول التابغة الجمدى :

فتى تم فيسه ما يسر صديقه على أن فيه ما يسود الأعاديا

وجاءت مراعاة النظير في قول امرىء القيس :

فد معها سكب وسح وديمة ورش وتوكاف وتهملان

وجاء الارصاد في قول عمرو بن معد يكرب :

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

وجاءت المشاكلة في قول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهان أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وجاء الاستطراد في قول السمؤل :

وأنا لقوم ما ترى القتل سبة إذا ما رأته عامر وسيلول

وجاء العكس والتبديل في قول عبد الله بن الزبير الأسدى :

فرد شعورهن السود بيضاً ورد وجوههن البيض سوداً  
وجاء الرجوع في قول حسان :

لا أسرق الشعراء ما نطقوا بل لا يوافق شعرهم شعري  
وجاء اللف والنشر في قول امرئ القيس :

كان قلوب انظير رطباً ويابساً  
لدى وكرها العناب والحشف البالي

وجاء التقسيم في قول زهير :

فان الحسق مقطعه ثلاث أداء أو نفسار أو جلاء  
وجاء التجريد في قول الأعشى :

ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل

وجاءت ألوان أخرى على السنة الشعراء ، ووردت فنون كثيرة من  
البديع في القرآن الكريم والحديث الشريف (١١) ، وكل هذا دليل على  
قدم البديع وأصلاته ، وأنه لم يستحدث في العصر العباسي على أيدي  
شعراء البديع .

ظهور مصطلح « البديع » :

قدمنا أنه في العصر العباسي اتجه كثير من الشعراء إلى تزيين  
شعرهم ببعض الفنون التي أطلقوا عليها اسم « البديع » وتبهم الرواة  
والأدباء في استعمال هذا المصطلح حتى جاء الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ،  
فاستعمل هذا المصطلح في كتاباته ، ففي البيان والتبيين يروي قول  
الأشوب بن رميسلة :

(١١) من أراد الاستزادة في هذا الموضوع فليرجع إلى الصبغ البديعي

هم ساعد الدهر الذي يتقى به وما خير كف لا تنوء بساعد  
ثم يقول معلقا عليه ، قوله : « هم ساعد الدهر » انما هو مثل ،  
وهذا الذي تسميه الرواه البديع ، وقد قال الراعي :  
هم كاهل الدهر الذي يتقى به ومتكبه ان كان للدهر منكب  
وقد جاء في الحديث : « موسى الله أحد ، وساعد الله أشد » والبديع  
مقصور على العرب ، ومن أجله فافت لغتهم كل لغة ، وأربت على كل  
لسان والراعي كثير البديع في شعره ، وبشار حسن البديع ، والعتابي  
يذهب شعره في البديع (١٢) .

ويستفاد من كلام الجاحظ أمور :

١ — ان لفظ « البديع » استعمله الرواة ، ثم نقله الجاحظ عنهم فليس  
هو أول من استعمله .

٢ — أن البديع أطلق على الطريف والعجيب من المصور الاسلوبية  
حيث أطلق في هذا الشأن على ساعد الدهر وكاهل الدهر وهذا  
من قبيل الاستعارة .

٣ — أنه جعل البديع مقصورا على لغة العرب ، وقد جانبه الصواب في  
هذا الحكم فانك لغة بديعها ومحسناتها .

وبناء على هذا الحكم تشكل الدكتور طه حسين في معرفة الجاحظ  
بآداب الأعاجم ولغاتهم وقال انه اذا كان قد سمع شيئا عنها فمن المرجح  
انه لم يخرج منها الا بصورة غامضة غير دقيقة (١٣) .

وقد استعمل الجاحظ مصطلح « البديع » في موضع آخر من  
كتابه فقال :

(١٢) البيان والتبيين ٤/ ٥٥ ، ٥٦ .

(١٣) مقدمة نقد النثر ٣ .

ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيـد  
والرسائل الفاخرة ، مع البيان الحسن : كثوم بن عمرو العتابي وكثيره  
أبو عمرو ، وعلى الفاظه وحذوه ومثاله في البديع يقول جميع من يتكلف  
مثل ذلك من المولدين ، ككحو منصور النمرى ، ومسلم بن الوليد  
الأنصاري وأشباههما ، وكان العتابي يحتذى حذو بشار في البديع ،  
ولم يكن في المولدين أصوب بديعا من بشار وابن هرمة (١٤) .

وفي كتاب « الحيوان » يتكلم الجاحظ تحت اسم : قطع من البديع  
ويذكر شعرا لبعض الشعراء يحتوي على التشبيه والاستعارة  
وغيرهما (١٥) .

وبناء على ما تقدم نرى أن الجاحظ استعمل مصطلح البديع في  
كتاباتة ، وقد نقله عن الرواة والشعراء الذين جرى على لسانهم  
هذا الفن الجميل .

### التأليف في البديع :

#### ابن المعتز :

وأول من وضع كتابا في فنون البديع هو عبد الله بن المعتز الخليفة  
العباسي المتوفى سنة ٢٩٦ هـ ، حيث ألف كتابا سماه « البديع » وكان  
ذلك سنة ٢٧٤ هـ ، وقال في مقدمته : قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض  
ما وجدناه في القرآن الكريم ، واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام  
الذي سماه المحدثون « البديع » ليعلم أن بشارا ومسلما وأبا نواس ومن  
تقبلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ، ولكنه كثير في أشعارهم

(١٤) البيان والذبيح ٥١/١ .

(١٥) ينظر الحيوان ٥٧/٣ .

فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه (١٦) .

وبهذا بين أن سبب تأليفه الكتاب : اثبات قدم البديع والدلالة على أنه فن موجود في كلام العرب من قديم ، وأن المحدثين من الشعراء في العصر العباسي لم يخترعوه ولم يسبقوا المتقدمين الى شيء من أبوابه (١٧) .

وقد قسم كتابه الى قسمين :

١ — أبواب البديع : وقد جعلها خمسة هي : الاستعارة ، والتجنس ، والمطابقة ، ورد لعجاز الكلام على ماتقدمها ، والمذهب الكلامي (١٨) .

٢ — محاسن الكلام والشعر وهي كثيرة وذكر منها ثلاثة عشر نوعا هي : الالتفات — والاعتراض — والرجوع — وحسن الخروج — وتأکید المدح بما يشبه الذم — وتجاهل العارف — والهنز الذي يراد به الجذ — وحسن التضمن — والتعريض والكناية — والافراط في الصفة — وحسن التشبيه — واعنات الشاعر نفسه في القوافي — وحسن الابتداء (١٩) . وبذلك يكون قد بحث في كتابه سبعة عشر فنا من فنون البديع .

وبين ابن المعتز أنه لم يسبقه الى جمع هذه الفنون أحد قبله وأن اقتصره في البديع على فنون خمسة لا يعنى جهله بمحاسن الكلام ولا ضيق في المعرفة ، فمن أحب الاقتداء به في ذلك فليعمل ، ومن أضاف اليها شيئا من هذه المحاسن أو غيرها فله اختياره (٢٠) .

---

(١٦) البديع ١ .

(١٧) ينظر السابق ٢ .

(١٨) ينظر السابق ٢ — ٥٧ .

(١٩) السابق ٥٨ — ٧٧ .

(٢٠) السابق ٥٧ ، ٥٨ .



وبهذا عد ابن المعتز رائد البديع ومؤسسه (٢١) ، حيث كان أول من ألف فيه وجاء العلماء على أثره فزادوا في فنونه وأضافوا في ألوانه .

قدامة بن جعفر :

ثم جاء قدامة بن جعفر ( ت ٣٣٧ هـ ) وألف كتابه « نقد الشعر » وقد عالج قدامة فنونا بلاغية عدة ، ووزعها على عناصر الشعر ، وهي :

نعت اللفظ ونعت الوزن ونعت القوافي ونعت المعاني وهذه هي نعوت المفردات وهناك نعوت المركبات وهي : ائتلاف اللفظ مع المعنى ونعت ائتلاف اللفظ والوزن ونعت ائتلاف المعنى والوزن ونعت ائتلاف القافية والمعنى (٢٢) .

وقد تحدث قدامة عن عشرين فنا من فنون البديع توارد مع ابن المعتز في ثمانية منها هي : التشبيه والتنميم وقد سماه ابن المعتز الاعتراض ، والمبالغة وقد سماها ابن المعتز الافراط في الصفة ، والتكافؤ وقد سماه ابن المعتز المطابقة ، والالتفات والارداق وقد سماه ابن المعتز الكناية والتعريض ، والمجانس وقد سماه ابن المعتز التجنيس والاستعارة .

وزاد قدامة : الترصيع وصحة التقسيم وصحة المقابلة ، وصحة التفسير ، والمساواة والاشارة والتمثيل والمطابق وهو لون من ألوان التجنيس وائتلاف القافية مع ما يسدل عليه سائر البيت والتوشيح والايغال والتصريع (٢٣) .

ولم يبحث قدامة هذه الفنون تحت اسم البديع ولكنه تكلم عنها

---

(٢١) قد فصلنا القول عن ابن المعتز وكتابه في بحث كبير منشور بمجلة كلية اللغة العربية بدمهور ، العدد الثالث فيرجع اليه .  
(٢٢) فن البديع ٨ ، وينظر نقد الشعر .  
(٢٣) ينظر الصبغ البديعي ١٤٦ - ١٥٦ .

باعتبار دخولها في عناصر الشعر ونقده وأدرج معها ألوانا أخرى من مستلزمات الصناعة الشعرية ومن ثم يختلف الباحثون في عد الألوان البديعية التي تحدث عنها قدامة فيراها بعضهم سبعة وعشرين لونا (٢٤) ويراهم آخرون عشرين لونا والخطب في ذلك سهل ميسور .

**أبو هلال العسكري :**

ثم جاء أبو هلال العسكري ( ت ٣٩٥ هـ ) وألف كتابه « الصناعتين » وجعل الباب التاسع منه لشرح البديع ودراسة فنونه وقد ذكر من هذه الفنون ستة وثلاثين فنا درس خمسة وثلاثين منها دراسة مفصلة وخص كلا منها بفصل على حدة وفي نهاية الفصل الخامس والثلاثين استدرج على نفسه فنا آخر سماه : المشتق وتحدث عنه (٢٥) .

وقد توارد مع من سبقوه في تسعة وعشرين فنا هي :

الاستعارة والمجاز — والتطبيق — والتجنيس — والمقابلة — وصحة التقسيم — وصحة التفسير — والاشارة — والارداق والتوابع — والمائلة — والغلط — والمبالغة — والكساية والتعريض — والعكس والتبديل — والتذليل — والترصيع — والايغال — والقوشيح — ورد الأعجاز على الصدور — والتكميل والتتميم — والاتفات — والاعتراض — والرجوع — وتجاهل المعارف — والاستطراد — وجمع المؤلف والمختلف — والسلب والايجاب — والاستثناء — والمذهب الكلامي — والتعطف .

وانفرد بدراسة سبعة أنواع هي :

التشطير — والمجاورة — والاستشهاد والاحتجاج — والمضاعفة — والتطريز — والتأطف — والمشتق .

(٢٤) ينظر البديع في ضسوء أساليب القرآن ١١ ، وقدامة والنسب

الأدبيات ص ٣٨٠ .

(٢٥) ينظر الصناعتين ٣٤٣ .

ولم تسلم له هذه الأنواع السبعة فقد درس بعضها تحت اسم  
آخر لدى من سبقه من العلماء (٢٦) .

وأخرج أبو هلال من البديع : التشبيه والايجاز والاطناب والسجع  
والازدواج (٢٧) . ودرسها في أبواب وفصول مستقلة .

وقد دفع أبو هلال دراسة البديع دفعة قوية الى التطور وجمع بين  
طريقتي ابن المعتز وقدامة فعرف اللون البديعي واحتفل بالشواهد  
الكثيرة من القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام الصحابة والعرب  
وشعر المتقدمين والمحدثين وعقب كل فن بذكر أمثلة للمعيب منه ، وأجاد  
في شرح الشواهد وتحليل الأمثلة (٢٨) .

#### ابن رشيق :

ثم جاء أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣ هـ) وألف  
كتابه « العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده » وهو كتاب جامع لكثير  
من موضوعات الأدب والبلاغة والنقد ويعد سجلا حافلا لأراء من تقدمه  
من علماء البلاغة مع إعطائه فكرة واضحة عن تطور مصطلحات البلاغة  
وما طرأ عليها من تغيير عبر السنين (٢٩) .

وتناول « ابن رشيق » في كتابه كثيرا من فنون البديع وقسال :  
والبديع ضروب كثيرة وأنواع مختلفة أنا لأذكر منها ما وسعته القدرة  
وساعدت فيه الفكرة ان شاء الله تعالى (٣٠) .

ومن فنون البديع التي ذكرها : التجنس — والترديد — والتصدير

---

(٢٦) ينظر الصبغ البديعي ١٧٣ — ١٧٦ .  
(٢٧) ينظر الصناعتين ١٣٠ ، ١٤١ ، ١٧٢ ، ١٩٩ .  
(٢٨) ينظر الصبغ البديعي ١٦١ .  
(٢٩) نظرات في البلاغة والاسناد ٣٣ .  
(٣٠) العمدة ٢٦٥/١ .

— والتصميم — وقته — وارجابها — وانتمين — والاجسازة —  
والان لوان — وقد يوزن ارب انواع كثيرة : يا : انغشيم — والايماء —  
وانتمشور — وفتارجح — وانكارية — والتهميل — والردز — والامهة  
— والاشور — والجن — والحذف (٣١) .

وهو في ايام ابن رديق ، اشفه الشون فيها بلسا وتوسيح وتحاين ،  
و قد وردت في كتابي تاسي ام يوجد في كتابتيه وبن ثم كان كتابه  
في ابيد كوي في دراسة التديع ، كما عاينه جلد من اتي بده من البلاغين  
وشارا من يفوتها ، فواض وورده انطب .

### ابن سنان الخفاجي :

وانف ابو محمد بن محمد بن سنان الخفاجي ( ت ٤٦٦ هـ )  
كثرا في سر التمام ، وكتاب في كتابه عن عدد من فنون التديع فنها  
حسن التشارة والحشو والتوشيح والترديع وحسن الكناية والجناس  
والطابق وغيرها (٣٢) .

وتأثر كثيرا بطريقة قدامة بن عيسى في نقد الشعر فوزع بحسب  
كتابه بين اوصاف من تدرت الالفاظ وايدمان من تدرت المعاني ووصاف  
من تدرت ما وهو بهذا الصنيع قد اكاد ان اسمه قدامة من تنويح  
الفنون التديعية التي اذابة ومنوبة ، وكان ثاني اثنين مهذا الطريق  
لأولائين في تارة فيما هذا التصميم (٣٣) .

من كتاب التديع - فنون :

ثم جاء الادام عبد التامر الجرجاني ( ت ٤٧١ هـ ) الذي باغت

(٣١) الع ————— نسخة ٢٠٢/١ .

(٣٢) يتخذ من اللطاعة ١٣٧ ١٥٨٤ .

(٣٣) انه يوسع البسدي في ٢٠٩ .

البلاغة على رتبة قيمة التطور ولازدهار فانما هي ذاتية « اسرار البلاغة »  
و « دلائل الاعجاز » دعوى البلاغية شاهدة قوية وجمع فريسا  
من ما اى والبرهان والبديع .

ولم يتوسع الامام في عرض مسائل البديع وكيفية تحدثت عن بعض  
اقواله مجرد على اثره في الاسلوب وديما انه لا يحسن الا بما يضيفه من  
هـ مان لا تقتضى في عدم وجوده . نفس « اسرار البلاغة » عرض للتجارب  
والجمع والاختار . والاستمارة . والتطبيقات . وبين ان احسن في هذه  
امثالين يرجح ان لا نرى ان يرجع الى النمط وابدع في اثبات هذه  
الحقيقة (٣٤) .

كما تناول في هذا الكتاب لتجريد دون ان يسهل عليه وبين انواع  
التخييل ودرجاته بما لا يزيد عليه (٣٥) .

وعرض في « دلائل الاعجاز » في فصل عقده لتنظم يتحد في الوضع  
ويحق فيه الصنع لبعض فنان البديع ، فذكر المزاوجة بين معنيين في  
اشراط . والجزاء ، والتقسيم . وبين ان هذا النمط من الكلام هو النمط  
العالي والسبب الاعظم والذي لا يرى سلطان المزية يعظم في شيء  
كمظمه فيه (٣٦) .

وبذلك وضع الامام اساس بلاغة الفنون البديعية وبين سر  
مكائنها في الاسلوب .

**البديع بعد الامام عبد القاهر :**

يمكن القول ان البحث في البديع وفي البلاغة عهدها قد تشعب بعد  
عصر الامام عبد القاهر الى اتجاهات ثلاثة :

- 
- (٣٤) اسرار البلاغة ( ١٥ ) .
  - (٣٥) اسرار البلاغة ٢٣١ - ٢٩١ .
  - (٣٦) دلائل الاعجاز ٩٣ ، ٩٤ .

- ١ — الاتجاه الأدبي •
- ٢ — الاتجاه البديعي •
- ٣ — الاتجاه العقلي •

### أولا — الاتجاه الأبيي :

وأصحاب هذا الاتجاه نهجوا في دراسة البلاغة نهجا أدبيا ذوقيا يستمد روح الامام عبد القاهر وعرضوا في دراساتهم لألوان مختلفة من البديع مع بحوث أخرى تتصل بصناعة الكلام ونقد الشعر ونظم القرآن الكريم • ومن علماء هذا الاتجاه :

ضياء الدين بن الأثير ( ت ٦٣٧ هـ ) في كتابه « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » •

وعبد الواحد بن عبد الكريم الزمלקاني ( ت ٥٦١ هـ ) في كتابه « التبيين في علم البيان » و « البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن » •

ويحيى بن حمزة العلووي ( ت ٧٤٥ هـ ) في كتابه : « الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز » •

### ثانيا — الاتجاه البديعي :

وأصحاب هذا الاتجاه يطلقون على جل فنون البلاغة اسم « البديع » وبيحثونها تحت هذا الاسم ويجعلون رائدهم في ذلك عبد الله بن المعتز في كتابه « البديع » ومن علماء هذا الاتجاه :

مجد الدين أسامة بن منقذ ( ت ٥٨٤ هـ ) في كتابه : البديع في نقد الشعر ، وقد جمع فيه خمسة وتسعين لونا بديعيا مرتبة على أبواب وقد خلط في كتابه بين صور البديع وجعل أقسام الباب الواحد أبوابا وأضاف السرقات والعيوب إلى أبواب البديع •

وزكى الدين عبد العظيم بن عبد الواحد المعروف بابن أبى الاصبع  
المصرى (ت ٦٥٤ هـ) فى كتابيه : « تحرير التحبير » و « بديع القرآن »  
وهما من خير الكتب التى ألفت فى البديع وتمثل هذا الاتجاه تمثيلا  
دقيقا .

ففى « تحرير التحبير » درس ما يربو على مائة وخمسة وعشرين  
لونا من ألوان البديع وقسمها الى أصول وفروع فالأصول هى ما ذكره  
ابن المعتز وقدامه ، وعددها ثلاثون لونا ، والفروع هى الألوان التى  
ذكرها العلماء بعدهما وعددها خمسة وستون لونا ثم ذكر انه اكتشف  
ثلاثين لونا لم يسبق اليها ولم يسلم له من هذا الادعاء الا أربعة عشر  
لونا والباقى مسبوق اليه (٣٧) .

وفى « بديع القرآن » درس تسعة ومائة لون من ألوان البديع  
ممثلا لها بشواهد من القرآن الكريم ، ومحللا لها تحليلا دقيقا يظهر فيه  
جمال الاسلوب وحسن العرض ، والقدرة على استخراج أوجه الجمال  
فى الآيات القرآنية .

وكان هذا الاتجاه البديعى من الأسباب القوية التى أدت الى  
ظهور البديعيات المنظومة .

### البديعيات :

وهى قصائد فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم غالبا ، يتضمن  
كل بيت منها لونا أو أكثر من فنون البديع مع الاشارة الى اسم اللون  
أو عدم الاشارة اليه وقد شرحت هذه القصائد بطريقة أدبية تعين على  
تتمية الاحساس وتربية الذوق الأدبى .

وأهم أصحاب البديعيات :

١ - حنفى الدين انطى ( ت ٧٥٠ هـ ) ومطلع بديعته :

ان جنت سلعا فسل عن جيرة العلم  
واقتر السلام على عرب بذى سلم

وعدد أبياتنا مائة وخمسة واربعون بيتا ونشتغل على مائة وواحد  
وخمسين لونا بديعيا . وشرحها شرحا لطيفا سماه « النتائج لانبية في  
شرح انكافية البديعية » .

٢ - شمس الدين محمد بن جابر الأندلسى ( ت ٧٨٠ هـ ) . ومطلع  
بديعته :

بداية انزل ويوم سيد الأمم  
وانثر له ادح وانثر طيب الكرم

وقد شرحها شرحا مختصرا .

٣ - عز الدين الموسلى ( ت ٧٨٩ هـ ) ومطلع بديعته :

براعة تستقى المدح فى العلم  
عبارة عن نداء المنورد العلم

وقد ذكر فيها اسم انون البديعى وشرحها فى كتاب سماه « انونى  
بالبديع الى التوسل بالشميع » .

٤ - تقى الدين نوبو بكر على بن محمد المعروف بابن حجة الحموى  
( ت ٨٢٧ هـ ) ومطلع بديعته :

اى فى ابتدا مدحك يا عرب ذى سلم  
براعة تستزل المدح فى العلم

وهى تتد من مائة وثلاثين بيتا بديعيا وقد شرحها باسم



نأون الابدعى ، وشرحها شرحا مطولا ابداع فيه و اجاد و سماه « خزائنة  
الادب و غاية الأرب » و يعتبر هذا الشرح مرجعا للباحثين في علم الابدع  
و اذلا ارواد الأدب و لقد

و غير هؤلاء من ذاقى الابدعيات كثيرين ، يطول الكلام بذكرهم ،  
وقد استقر ناليف الابدعيات حتى العصر الحديث ، وفي كتاب « الصنيع  
البدعي » الذي اخرج كتبه دارا ، فذلك هذا الاتجاه الذي توى و ازدهر فترة  
سأريه من الزمان ، وقد ادى التعمد في الابدعيات ، و التسابق في نظمها  
الى تسخلة ، لفتك البلاغي و ضروره ، من جراء الاختصار المخل ، و جمع  
الزمان ربما كانت الرغبة ، لا تقنى و لا تسمن .

#### نتائج الاتجاه الصلي :

و من الاتجاه تفرغ اصحابه على تزييد البلاغة العربية و تقنينها  
و تنظيم مسانها و ضبطها و ابتعاها مع التقايل من الشواهد الأدبية  
و شرحها ، و ما ترتب عليه اختفاء الروح الأدبية في كثير من مؤلفات  
اصحاب هذا الاتجاه ، و هذا الاتجاه حال ، انما و نام البلاغة العربية حتى  
و قتنا ، انما

#### ومن أهم علماء الاتجاه الصلي :

١ - الشيخ أمين الرازي ( ت ٦٠٦ هـ ) في كتابه « بهية الايجاز في  
درية الايجاز » و عرّف فيه لعدد من فنون الابدع درس بعضها في  
الجملة الأولى الخاصة بالمفردات ، و بعضها في الجملة الثانية الخاصة  
بالنظم ، و دراسته لهذه الفنون و حجة لا تقمدي تعريف النزع الابدعي  
بأنه بعض الأمثلة له ( ٣٨ ) .

٢ - أبو يعقوب يوسف السكاكي ( ت ٦٢٦ هـ ) في كتابه « مفتاح

العلوم « وقد جعد القسم الثالث منه خاصا بالبلاغة ، وقسمها الى علمين هما : المعانى والبيان ، ولما فرغ من شرح مسائل هذين العلمين اتبع ذلك بوجوه تحسين الكلام — وهى ألوان البديع — وقسم هذه الوجوه قسمين (٣٩) : قسم يرجع الى المعنى ويضم عشرين وجها ، وقسم يرجع الى اللفظ ويضم خمسة وجوه . وتحدث عن كل ذلك بايجاز مقتضرا على تعريف الوجه وذكر بغض أمثله .

وختم كلامه عن هذه الوجوه ببيان أصل الحسن فيها فقال : وأصل الحسن فى جميع ذلك أن تكون الألفاظ توابع للمعانى ، لا أن تكون المعانى لها توابع ، أعنى ألا تكون متكلفة (٤٠) . وهذا أساس دقيق يجب مراعاته فى استعمال فنون البديع ، وقد نبه عليه الشيخ عبد القاهر .

٣ — بدر الدين بن مالك (ت ٦٨٦ هـ) فى كتابه « المصباح فى المعانى والبيان البديع » وقد جعله ثلاثة أقسام : الأول منها لعلم المعانى ، والثانى لعلم البيان ، والثالث لعلم البديع ، والظاهر أنه أول من حصر البلاغة فى هذه العلوم الثلاثة ، وعلى منواله مضى الخطيب من بعده .

وعلم البديع عنده هو معرفة توابع الفصاحة ، والفصاحة نوعان : فصاحة لفظية وفصاحة معنوية ، وبناء على ذلك كانت المحسنات البديعية عنده إما راجعة الى الفصاحة اللفظية ، وإما راجعة الى الفصاحة المعنوية ، والراجعة الى المعنوية إما مختصة بالأفهام والتبيين ، وإما مختصة بالترتين والتصين فهى ثلاثة أقسام : ما يرجع الى الفصاحة اللفظية ويضم أربعة وعشرين نوعا ، وما يرجع الى الفصاحة المعنوية وهو مختص بإفهام المعنى وتبينه ويضم تسعة عشر نوعا ، وما يرجع الى الفصاحة المعنوية وهو خاص بتحسين الكلام وترتيبه ويضم خمسة

(٣٩) مفتاح المستوفى ٢٠٠ .

(٤٠) النسبى ٢٠٤ .

عشر نوعا (٤١) • وبذلك يكون قد درس في كتابه ثمانية وخمسين نوعا بديعيا ، وقد جاءت دراسته لها فيها شئ من البسط ، ومشملة على كثير من الشواهد الأدبية •

٤ — الخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) في كتابه « التلخيص » و « الايضاح » ومضى فيهما على تقسيم البلاغة الى علوم ثلاثة : المعاني والبيان والبديع ، وعرف البديع : بأنه علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة (٤٢) • وبذلك جعل فنون البديع حثية للكلام ، وزينة تكسوه بهجة وجمالا ، ولا دخل لها في بلاغة الكلام التي تقوم على رعاية مقتضى الحال ، حيث تأتي هذه الألوان بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة ، فهي من توابع البلاغة لا من أصولها وتحسينها عرضي لا ذاتي •

وقسم الخطيب المحسنات البديعية الى ضربين : ضرب يرجع الى المعنى وضرب يرجع الى اللفظ ، وذكر من المعنوي واحدا وثلاثين لونا ومن اللفظي سبعة ألوان • وتناول هذه الألوان في « الايضاح » بشئ من التفصيل مع كثرة الشواهد والنظرات التحليلية •

وقد استهوى تلخيص الخطيب من جاء بعده من البلاغيين فعكفوا عليه يشرحون ألفاظه ، ويفسرون عيساراته ، دون زيادة ذات بال ، مع اغراق الشروح والحواشي بال مناقشات عقلية ، والمحاورات المنطقية ، مما أفقدها الروح الأدبية التي ينمو في ظلها البحث البلاغي ويؤتى ثمـاره •

وظل الحال على ذلك حتى جاء العصر الحديث وظهرت دعوات مخلصات تدعو الى تنقية البلاغة مما علق بها ، والعودة بالبحث البلاغي

(٤١) أنظر المصباح ١٥٩ ، ٢٠٤ ، ٢٤٦ •

(٤٢) الايضاح ٤/٦ •

الى النهج الذى سلكه الشيخ عبد القاهر ، وظهرت على اثر ذلك بحوث  
تناوت علوم البلاغة بإدراسة التحليلية ، وكان لنا اثر طيب على البحث  
البلاغى . وهذه النهضة فى حاجة الى متابعة ، اجهود ومواصلة البحوث ،  
كى تظل المسيرة ماضية فى طريق الازدهار ، واقه الموفق والمستعان .

\*\*\*

## عُـسـمُ البـدـيـع

عرف الخطيب البديع بقرته : هو عام يعرف به وجود نعتين الكلام بعد وعبة انطابئة ووضوح بالدلالة .

وحذا الق روف يجع وظيفة نون البديع في الاسلوب مقدورة على مجرد تهيئته وتنشيطه . دون أن تكرر من عوامل بلاغته ، كما أنه يضع علم البديع في درجته دمية ودرجته متأخرة بعد علمي المعنى والبيان . فعلم الاماني يختص باعتبارات مطابئة الكلام التي تنفي أحده . وعلم البيان يختص باعتبارات وضوح الدلالة . وبمراعاة الاعتبارات المقررة في العلمين تتحقق بلاغة الكلام ، ثم تأتي فنون البديع بعد ذلك على الكلام : اياح لتكده . وه رداء الحسن . وتأسيسه قلائد الزينة . دون أن تكون أساسا في بلاغته .

وهذه نظرة مجحفة بعام كان البحث فيه الخطوة الأولى في مسيرة البلاغة ، وكثيرا ما اطلقنا عليها : وضعت رابطة — لفترات طويلة — معظم فنون البلاغة . ومنها ما هو من علم المعاني ، وما هو من علم البيان حسب مسطحات التأخرين . وقد تناول هذه القضية بمزيد من التفصيل في نهاية حديثنا عن فنون البديع .

والمحسنات البديعية عند البلاغيين على قسمين : معنوية ولفظية .

فالمحسنات المعنوية : هي التي يكون التحسين فيها راجعا الى المعنى أولا ، ويترتب ذلك عنها من اللفظ . ومنها الطباق ، والمكحلة ، والتورية .

والمحسنات اللفظية : هي التي يكون التحسين فيها راجعا الى

اللفظ أولا ، ويتبع ذلك تحسين المعنى • ومنها الجناس ، والسجع ، ورد المعجز على الصدر •

وتعرف المصنات المعنوية بأنه لو غير فيها اللفظ بما يرادفه لبقى المحسن كما هو قبل التغيير ، ففي قول أبي الحسن التهامي :

لقد أحييا المكارم بعد موت وشساد بناءها بعد انهدام

طباق بين الأحياء والموت ، والشيد والانهدام ، والطباق محسن معنوي ، ولو غيرنا « أحييا إلى أوجد » أو غيرنا « موت إلى فناء » لظل الطباق كما هو في الكلام ، وإر قلنا « بنى بدلا من شاد » و « سقوط بدلا من انهدام » لبقى الطباق بين اللفظين كما كان قبل التبديل • فتغيير اللفظ بمرادفه في المحسن المعنوي لا يبطله ، بل يبقى كما هو قبل التغيير •

وتعرف المصنات اللفظية بأنه لو غير فيها أحد اللفظين بما يرادفه لزال ذلك المحسن ، ولم يبق له وجود في الكلام • ففي قول محمد ابن عبد الله الكوفي :

وسميته يحيى ليحييا فلم يكن إلى رد أمر الله فيه سبيل

جناس بين « يحيى » اسم الطفل ، و « يحييا » الفعل المضارع ، والجناس محسن لفظي ، فلو غيرنا « يحيى إلى عاي » أو « يحييا إلى يعيش » لذهب الجناس ولم يعد له وجود في الكلام ، فتغيير اللفظ بمرادفه في المحسن اللفظي يزيل المحسن ويذهب به •

وتقسيم المصنات إلى معنوية ولفظية هو في نظرنا تقسيم صوري لا تتعدى قائده ضبط الألوان وتقنينها ، وينبغي ألا يفهم على أنه فصل بين المعاني والألفاظ في العمل الأدبي فهذا الفصل فيه أضعاف لتأحية من النواحي التي يقوم عليها الأسلوب البلاغي ، إذ يتكامل لفظه ومعناه

لأداء الغرض المقصود ، ولا يصح أن نتمسك بين اللفظ والمعنى في أحداث  
الجمال والحسن للأساليب ، فكل منهما لا يوجد دون الآخر ، ولا تتم  
بلاغة الأسلوب الا بهما معا . والمحسنات اللفظية لا تحسن الا بموقع  
معناها في العقل ، والمحسنات المعنوية لا تحسن الا بمراعاة الألفاظ  
الحاملة للمعنى ، وقد نبه البلاغيون على ذلك (١) .

وبهذا نكون قد انتهينا من التمهيدي ، لندخل في فصول الكتاب .

\*\*\*

---

(١) انظر اسرار البلاغة ٤ ، ومفتاح العلوم ٢٠٤ ، والايضاح ١١٦/٦ .





## الفصل الأول

### قانون التناسب

يتناول هذا الفصل مجموعة من الفنون البديعية التي تحقق التناسب بين عناصر الكلام ، وتتمثل في : التاميم ، أجزاءه ، وتماسك الأجزاء ، التكرار ، أو التناهي ، ويبدأ أولاً على آخره ، وتتسجم جملة من الكلمات في وسطه ويبدأ كلامه بكلماته التي أفرغت أفرغاً واحداً ، لا خال فيها ولا تباين .

والقانون الذي نعرضه لولا في هذا الفصل هي : الطباق — والمقابلة — ومراعاة النظير — والارداد — والمزاوجة — والسجع — ومواضع التباين .

وهي كما ترى تأتي في وسط الكلام ، ويربط أجزائه ، ويرجس العلاقات القريبة بين الأجزاء ، ويحذف من طريق التضاد ، أو التناهي ، أو التباين أوله وتكرره ، أو التناهي المحوغي . بجانب جعل العنصر الأدبي وحدة متكاملة الأجزاء متناسقة الوضوح .





### صور الطباق :

وتتعدد صور الطباق باعتبارات مختلفة •

فهو باعتبار نوع طرفيه أربعة أقسام إذ قد يكون بين لفظين من نوع واحد ، اسمين أو فعلان أو حرفين ، وقد يكون بين لفظين مختلفين •

فمما جاء بين اسمين قوله تعالى : « وتحسبهم أيقاظا وهم رقود » (٣) ، فبين « أيقاظا و رقود » مطابقة ، وهما اسمان • والرقاد : المستطاب من النوم القليل ، وإنما وصفهم بالرقود مع كثرة منامهم اعتبارا بحال الموت ، وذلك أنه اعتقد فيهم أنهم لموات ، فكان ذلك النوم قليلا في جنب الموت (٤) •

والآية تبين بعض أحوال أصحاب الكهف العجيبة الدالة على قدرة الله تعالى ، فمن رآهم في كهفهم ظنهم أيقاظا لمخالفتهم حال النائم ، وهم في الحقيقة رقود • وقد قرى الطباق من اظهار هذه الحال حين طرح المعنى المظنون بأثبات ضده ، ونفى أحد الضدين يثبت الآخر • وإيثار « رقود » في المطابقة على نيام ، لأن الرقاد نوم قليل خفيف فهو أشد ملاءمة لحالهم حيث كانت عيونهم مفتوحة كما قيل ، ويتقلبون يمينا وشمالا ، بجانب ما فيه من توه وفخامة تناسب « أيقاظا » وبذلك يمضى السياق على نسق واحد من القوة والفخامة •

ومنه قوله تعالى : « هو الأول والآخر والظاهر والباطن » (٥) ، ففيه طباق بين الأول والآخر ، وبين الظاهر والباطن ، وهو يبين اتصافه تعالى بهذه الصفات المتضادة في آن واحد ، مما يدل على مخالفته تعالى للمخلوقات ، ويظهر كمال سلطانه وقدرته •

(٣) الكهف آية ١٨ •

(٤) المفردات ٢٠١ ، ويصائر نوى التمييز ١٤/٣ •

(٥) الحديد آية ٣ •

ومن هذا قوله تعالى : « وما يستوى الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور ، وما يستوى الأحياء ولا الأموات » (٦) ، ففيه مطابقة بين الأعمى والبصير ، والظلمات والنور ، والظل والحرور ، والأحياء والأموات ، وكلها أسماء • والآيات تمثيل للمؤمن والكافر والایمان والكفر ، فمثل المؤمن بالبصير والأحياء ، والكافر بالأعمى والأموات ، ومثل الايمان وثوابه بالنور والظل ، الكفر وعقابه بالظلمات والحرور (٧) • وقد وردت هذه الحقائق في سياق المطابقة التي أظهرها واضحة جلية ، وهياً للعقول أن تقارن بينها ، فلا تملك الا أن تسئم بعدم تساويها ، ومن ثم تنشط في اختيار النهج السوي والتزامه •

ومنه قول السموعل :

سلى ان جهلت الناس عنا وعنهم  
فليس سواء عالم وجهول

وقبول الفسرزددق :

والشيب ينهض في الشسباب كأنه  
ليل يصيح بجانبه نههار

فطابق الأول بين عالم وجهول ، وطابق الثاني بين الشيب والشباب ، والليل والنهار ، وكلها من قبيل الأسماء ، والمطابقة في البيتين زادت المعنى قوة ، وأضفت على السياق حسنا وبهاء ، وأوضحت الصورة التشبيهية في البيت الثاني •

ومما جاء فيه الطباق بين فعلين قوله تعالى : « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتمز من تشاء وتذل من

(٦) فاطسر ايسة ١٩ — ٢٢ •

(٧) الكشاف ٣/٣٠٦ ، وحاشية الشهاب ٧/٢٢٣ •

تشاء بيدك الخير « (٨) ، فالطبايق بين تؤتى وتتنزع ، وتعرز وتخل ، وهي أفعال مضارعة . وفي الآية تمجيد لله تعالى وثناء عليه بسلطانه المطلق ، وملكه التام للكون وما فيه ، وقدرته على التصرف كما يشاء . وقد أظهر أسلوب الطبايق هذه الحقائق واضحة بذكر الأضداد التي هي أقدر على تمييز الأشياء وتجليتها ، غبو جل شأنه يؤتى الملك وينزعه ، ويعسر ويذل حسب مشيئته ودون منازع له في ذلك .

ومنه قوله تعالى : « وأنه هو أضحك وأبكى ، وأنه هو أمات وأحيا » (٩) ، فالطبايق بين أضحك وأبكى وبين أمات وأحيا وهي أفعال ماضية ، والضحك أثر سرور النفس ، والبكاء أثر الحزن وهما من خواص الإنسان ومن عجائب خلقه ، وقد دلت الأفعال الأربع عشرة بما بينها من مطابقة على كمال قدرة الله تعالى بإيجاد الأضداد في مجز واحد ، وجاء اسنادها الى الله تعالى قويا حيث أكد بأن وضمير الفصل الذي أفاد قصر ايجادها على الله تعالى ، وحذفت مفعولاتها للقصد الى الأفعال بذاتها لا الى من تقع عليه ، فالله تعالى هو الذي أوجد الضحك والبكاء والموت والحياة . وقدم الضحك على البكاء لانه مرغوب لكل نفس ، ففيه مزيد امتنان ، وقدم الموت على الحياة لما فيه من مزيد المعبرة والموعظة ، وردا على قولهم ( وما يهلكنا الا الدهر ) (١٠) . وبجانب ذلك ففي التقديم في الموضعين رعاية للفاضلة التي جاءت عليها سورة النجم (١١) .

قال أبو هلال العسكري معلقا على قوله تعالى : « وأنه هو أضحك وأبكى » وقد تنازع الناس هذا المعنى ، قال ابن مطير :

تضحك الأرض من بكاء السماء

- 
- (٨) آل عمران آية ٣٦ .  
(٩) النجم آية ٤٣ ، ٤٤ .  
(١٠) الحائسنة آية ٢٤ .  
(١١) أنظر التفسير الكبير ٧/٧٤١ ، والتحرير والتنوير ٢٧/١٤٣ .

وقال آخر :

ضحك المزن بها ثم بكى

وقال آخر :

فله ابتسام في لوامع برقه وله بكا من ودقه المتسرب

وقال آخر :

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب براسه فبكي

فلم يقرب أحد من لفظ القرآن في اختصاره وصفائه ، ورونته  
وبهائه ، وطلاوته ومائه ، وكذا جميع ما في القرآن من الطباق (١٢) .

ومن الطباق بين فعلين تنزيه تعالى : « وأسروا قولكم أو اجهروا به  
انه عليم بذات الصدور » (١٣) ، فالطباق بين « أسروا و اجهروا » وهما  
فعلا أمر ، وقد أظهرت المطابقة علم الله تعالى بالسر والجهر على  
السواء ، وقدم السر على الجهر لان العلم به أدل على كمال علمه تعالى  
واحاطته بكافة المعلومات .

ومما ورد فيه الطباق بين حرفين قوله تعالى : « ولجن مثل الذي  
عليهن بالمعروف » (١٤) ، وقوله تعالى : « لهما ما كسبت وعليهما  
ما اكتسبت » (١٥) ، ففي الآيتين طباق بين اللام وعلى ، لان اللام تتسعر  
بالملكية المؤذنة بالانتفاع ، وعلى تتسعر بالعلو المتسعر بالتحمل أو الثقل  
المؤذن بالتضرر فصار تقابلهما كتقابل النفع والضرر وهما ضدان (١٦) .

(١٢) الصناعاتين ٢٣٩ .

(١٣) الملك آية ١٣ .

(١٤) البقرة آية ٢٢٨ .

(١٥) البقرة آية ٢٨٦ .

(١٦) مواهب الفتحاح ٢٨٩/٤ .

والتعبير في الخير بالكسب وفي الشر بالاكْتساب ، لان الاكْتساب فيه اعْتماك وشدة اهتمام ، والشر تشتهيهِ الأنفُس وتتنجذب اليه فهي تُجد في تحصيله وأعمل في نيّله •

ومن هذا قول الشاعر :

على أننى راض بأن أحمل الهوى  
وأخلص منه لا على ولا ليا

فطابق بين على واللام في آخر البيت والمعنى لا على ذم ولا لى مدح •

ومما وقع فيه الطبايق بين لفظين مختلفين قوله تعالى : « من يضل الله فلا هادى له » (١٧) ، فالمطابقة بين « يضل و هادى » الأول فعل والثانى اسم • والتعبير بالاسم في الجانب الثانى مفيد لنفى الجنس ونفى جنس الهداية له كناية عن عدم حصول الهدى له بأى حال من الأحوال •

ومنه قوله تعالى : « وأحيى الموتى بأذن الله » (١٨) ، ففيه طبايق بين فعل واسم ، ومنه قول أبى تمام :

وقد كان يدعى لابس الصبر حازما  
فأصبح يدعى حازما حين يجزع

فطابق بين الصبر ويجزع والأول اسم والثانى فعل •

والتصور عقلا في كون الطبايق بين مختلفين ثلاثة أقسام :

---

(١٧) الامـراف آية ١٨٦ •

(١٨) آل عمران آية ٤٤ •



أن يكون أحدهما اسما والآخر فعلا ، أو يكون أحدهما اسما والآخر حرفا ، أو يكون أحدهما فعلا والآخر حرفا . لكن الشائع في الأساليب الأدبية هو القسم الأول وهو المطابقة بين الاسم والفعل . وقد مثل السبكي للقسمين الآخرين بأمثلة مصنوعة ، فالتطابق بين الاسم والحرف كقولك : ثوب زيد حاصل وعليه وزره . والتطابق بين الفعل والحرف كقولك : أثيب زيد عليه ما اكتسب (١٩) .

والتطابق باعتبار كون طرفيه من الحقيقة أو المجاز على ثلاثة أقسام :

ما كان طرفاه من قبيل الحقيقة كقوله تعالى : « الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجمع الظلمات والنور » (٢٠) ، ففي الآية تطابق بين السموات والأرض والظلمات والنور وهذه الألفاظ مستعملة في حقائقها اللغوية فهي من قبيل الحقيقة . وقوله تعالى : « ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن » (٢١) ، تبين نخفي ونعلن تطابق والطرفان حقيقيان .

ومن هذا قول الشاعر :

لئن ساعنى أن نلتنى بمساعة      لقد سرنى أنى خطرت ببالك

فتطابق بين ساعنى وسرنى وهما من قبيل الحقيقة . وتجد هذا القسم في كثير من أمثلة التطابق التي تقدمت .

وما كان طرفاه من قبيل المجاز . ويخص بعض البلاغيين هذا القسم باسم « التكافؤ » (٢٢) ، ومن أمثله قوله تعالى : « لو من كان ميتا

(١٩) هروس الأبراج ٢٨٩/٤ .

(٢٠) الأنعام آية ١ .

(٢١) إبراهيم آية ٢٨ .

(٢٢) بديع القرآن ٣١ .

فأحييناه « (٢٣) ، أى ضللاً فهديناه ، فطرفا الطباق من قبيل الاستعارة ، ومن هذا قوله تعالى : « كتاب أنزلناه إليك لتتخرج الناس من الظلمات الى النور » والمراد بالظلمات الضلال والكفر ، وبالنور الهداية والايمان ، فالطابفة بين لفظين مجازيين •

ومن هذا قول الشاعر :

حلو الشمائل وهو مر باسل يحمى الذمار صبيحة الارهاق

فالطباق بين حلو ومر ، وهما مجازان على سبيل الاستعارة •

وقول الشاعر :

لقد أحياء المكارم بعد موت وثناد بناءها بعد انهدام

فالأحياء والموت ، والثيد والانهدام للفاظ واردة على سبيل المجاز لا الحقيقة •

وما كان أحد طرفيه حقيقة والآخر مجازا ، ومن هذا قول الشاعر :

لا تعجبي يا سلم من رجن ضحك المشيب برأسه فبكي

فطابق بين ضحك وبكى والأول من قبيل المجاز والثانى من قبيل الحقيقة ، ويسمى هذا « ايهام التضاد » •

والطباق باعتبار الاثبات والنفى على قسمين : طباق الايجاب وطباق السلب •

فطباق الايجاب ما كان طرفاه مثبتين معا أو منفيين معا •

وكل الأمثلة التى قدمناها من طباق الايجاب المثبت ، ومنه أيضا

قوله تعالى « والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون » (٢٤) ، فبين يقبض ويبسط طباق ايجاب مثبت ، يبين أن سعة الرزق وضيقة بقسرة الله تعالى ، ويعطى ما في صدر الآية من أن الله تعالى يعطى المنفقين في سبيله أضعافا كثيرة .

ومن طباق الايجاب المنفى قوله تعالى : « ثم لا يموت فيها ولا يحيا » (٢٥) ، فوق الطباق بين طرفين منفيين معا ، ولو كان أحدهما مثبتا ما وجدت المطابقة . ومنه قوله تعالى : « ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم » (٢٦) ، ففيه طباق بين منفيين « لا ينفعهم » و « لا يضرهم » .

وقد اجتمع اللونان في قول الفرزدق :

لعن الاله بنى كليب انهم لا يغدرون ولا يفنون لجار  
يستيقظون الى نهيق حمارهم وتتسام أعينهم عن الأوتار

ففي البيت الأول طباق ايجاب منفى بين « لا يغدرون » و « لا يفنون » ، وفي البيت الثاني طباق ايجاب مثبت بين « يستيقظون » و « تتسام » ، وقد اشتمل البيت الأول على لونين من ألوان الاطناب بجانب المطابقة ، أشار اليهما الخطيب القزويني فقال : وفي البيت الأول « تكميل » (٢٧) حسن إذ لو اقتصر على قوله « لا يغدرون » لاحتل للكلام ضريا من المدح ، إذ تجنب العذر قد يكون عن عفة ، فقال « لا يفنون » ليفيد أنه للعجز ، كما أن ترك الوفاء للؤم ، وحصل مع ذلك

(٢٤) البقرة آية ٢٤٥ .

(٢٥) الأعلى آية ١٣ .

(٢٦) الفرقان آية ٥٥ .

(٢٧) التكميل : ان يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدلعه .

« ايغال » حسن ، لانه لو اقتصر على قوله « لا يقدرون ولا يفون » تم  
المعنى الذى قصده ، ولكنه لما احتاج الى القافية أفاد بها معنى زائدا  
حيث قال : « لجار » لان ترك الوفاء للجار أشد قبحا من ترك الوفاء  
لغيره (٢٩) •

وطباق السلب هو الجمع بين فعلى مصدر واحد أحدهما مثبت  
والآخر منفى ، أو الجمع بين فعلين أحدهما أمر والآخر نهى •

فمن النوع الأول قوله تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون  
والذين لا يعلمون » (٣٠) ، فبين « يعلمون و لا يعلمون » طباق سلب  
والأول مثبت والآخر منفى •

ومنه قول السموعل :

وننكر ان شئنا على الناس قولهم

ولا ينكسرون القول حين نقول

وقول البحتسرى :

يقبض لى من حيث لا أعلم النوى

ويسرى الى الشوق من حيث أعلم

وقول زهير :

أخو ثقة لا يهلك الخمر ماله

ولكنه قد يهلك المال نائله

---

(٢٨) الايغال : ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها •

(٢٩) الايضاح ١٠/٦ •

(٣٠) الزمر آية ٩ •

وقول أبي الطيب :

ولقد عرفت وما عرفت حقيقة

ولقد جهلت وما جهلت خمولا

ومن النوع الثاني قوله تعالى : « فلا تخشوا الناس واخشون » (٣١) ، فبين « لا تخشوا و اخشون » طباق سلب والأول نهى والثاني أمر . وقوله تعالى : « اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء » (٣٢) ، فبين « اتبعوا و لا تتبعوا » طباق سلب ، والأول أمر والثاني نهى .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « كونوا للعلم وعادة ولا تكونوا له رواة » (٣٣) ، فطابق بين كونوا ولا تكونوا والأول أمر والثاني نهى .

والطباق باعتبار موقع التضاد على قسمين : طباق لفظي وهو ما كان التضاد فيه واقعا بين الألفاظ كالأمثلة التي قدمناها ، وطباق معنوي وهو الذي يتم فيه الجمع بين الشيء وضده في المعنى لا في اللفظ ، كقوله تعالى « الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء » (٣٤) ، ففيه مطابقة معنوية بين « فراشا و بناء » ولا تضاد بينهما في اللفظ ، إنما التضاد بينهما في المعنى إذ البناء رفع للمبنى ، فمعناه مضاد للفراش الذي هو على خلاف البناء .

ومنه قوله تعالى : « ان أنتم الا تكذبون ، قالوا ربنا يعلم اننا اليكم لمرسلون » (٣٥) ، فالمعنى : ربنا يعلم اننا لصادقون (٣٦) . وهذا مضاد للحكم عليهم بالكذب .

- 
- (٣١) المائدة آية ٤٤
  - (٣٢) الأعراف آية ٣
  - (٣٣) الجامع الصغير ١٧/٢
  - (٣٤) البقرة آية ٢٢
  - (٣٥) يس آية ١٥ ، ١٦
  - (٣٦) معترك الأكران ٤١٥/١

ومنه قول المتنح الكندي :

لهم جل مالى ان تتابع لى غنى  
وان قل مالى لا اكفهم رفدا

ففيه طباق معنوى بين « تتابع وقل » لان تتابع بمعنى كثر  
والكثرة ضد القلة • ونحوه قول الشاعر :

فان تقتلونى فى الحديد فاننى  
قتلت اخاكم مطلقا لم يقيد

فقوله « فى الحديد » يعنى أنه مقيد ، وهو مضاد لطلق ، فبينهما  
طباق معنوى •

ومن الطباق لون يسمى « التدبيج » من دبج المطر الأرض أى  
زينها ، وهو : أن يذكر فى معنى من المدح أو غيره ألوان بقصد الكناية  
أو التورية ، فأما تدبيج الكناية فكتوله تعالى : « ومن الجبال جدد بيض  
وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود » (٣٧) فان المراد بذلك — والله  
أعلم — الكناية عن المشبه والواضح من الطرق ، لان الجادة البيضاء  
هى للطريق اللحوب التى كثر السلوك عليها جدا ، وهى أوضح الطرق  
وبينها ، ولهذا قيل ركب بهم المحجة البيضاء ، ودونها الحمراء ، ودون  
الحمراء السوداء ، التى كأنها فى الخفاء والالتباس فسد البيضاء فى  
الظهور والوضوح •

ولما كانت هذه الألوان الثلاثة فى الظهور للعين طرفين وواسطة  
بينهما ، فالطرف الأعلى فى الظهور : البياض ، والطرف الأدنى فى الخفاء  
السواد ، والأحمر بينهما ، على حكم وضع الألوان فى التركيب ، وكانت  
ألوان الجبال لا تخرج عن هذه الألوان الثلاثة ، والهدلية بكل علم نصب

للهداية منقسمة هذه القسمة ، أتت الآية الكريمة على هذا التقسيم ،  
فحصنا فيها التدبيح ، وصحة التقسيم (٣٨) ، وهي مسوقة للاعتداد  
بالنعم على ما هدت إليه من السعى في طلب المصالح والمنافع . وتجنب  
المعاطب والمهالك الدنيوية والأخروية (٣٩) .

ومنه قول أبي تمام في مرثية محمد بن حميد ، وقد مات شهيدا :

تردى ثياب الموت حمرا فما أتى

لها الليل الا وهي من سندس خضر

يقصد أنه لبس الثياب الملطخة بالدم حين قتل ، ولم يدخل عليه  
الليل حتى صارت تلك الثياب سندسا أخضر ، فكنى بحمرة الثياب عن  
القتل ، وكنى بخضرتها عن دخول الجنة ، وبين اللونين طباق التدبيح .

ومنه قول ابن حيوس :

فأخضر بعم عم جسود يمينه      وأب لأفصاك الدنيسة أبي  
ببياض عرض واحمرار صوارم      وسواد نقع واخضرار رهاب

فطابق بين البياض والاحمرار والسواد والاخضرار وهي ألوان  
مذكورة على سبيل الكناية ، فبياض العرض كناية عن الشرف والفضيلة ،  
واحمرار الصوارم كناية عن كثرة القتلى بها ، وسواد النقع كناية عن  
شدة الحرب ، واخضرار الرهاب كناية عن طيب العيش ورغده .

وأما تدبيح التورية فقد جاء في قول الحريري (٤٠) ، فمذ أزور

---

(٣٨) التقسيم من اللون البديع وهو فكر متعدد ثم إضافة ما لكل إليه  
على التعيين .

(٣٩) بديع القسرآن ٢٤٢ .

(٤٠) شرح مقامات الحريري ٤١/٢ .

المحبوب الأصفر ، واغبر العيش الأخضر ، اسود يومى الأبيض ،  
و ابيض فودى الأسود ، حتى رثى لى العدو الأزرق ، فيا حبذا الموت  
الأحمر . فجمع بين ألوان مختلفة ، والأول منها مذكور بقصد التورية ،  
فالمحبوب الأصفر له معنيان : معنى قريب : وهو محبوبه الموصوف  
بالصفرة ، ومعنى ازوراره : ميله عنه وعدم اتصاله به ، ومعنى بعيد :  
وهو الذهب ، وهذا المعنى هو المقصود . وأما الألوان الأخرى فمذكورة  
على سبيل الكناية ، فاغبرار العيش كناية عن ضيقه ونقصانه ، واخضراره  
كناية عن طيبه ونعومته ، وسواد اليوم كناية عن الحزن والغم ، وبياضه  
كناية عن السرور والفرح ، والفود : شعر جانب الرأس وبياض الفود  
كناية عن كثرة الهموم والأحزان ، ووصف العدو بالزرقة كناية عن شدة  
عداوته ، ووصف الموت بالحمرة كناية عن شدته . وعلى هذا ففى قول  
الحريرى تدبيج التورية وتدبيج الكناية .

ومن الطباق نوع يسمى « طباق الترديد » وهو أن ترد آخر الكلام  
المطابق على أوله ، فان لم يكن الكلام مطابقا فهو من رد الاعجاز على  
الصدور ، ومنه قول الأعشى :

لا يرقع الناس ما أوهوا وان جهدوا

طون الحياة ولا يوهون ما رقعوا (٤١)

فطابق بالسلب بين لا يرقع ورقعوا ، وبين أوهوا ولا يوهون ،  
ورد آخر الكلام المطابق على أوله .

ويدخل فى الطباق ما كان التضاد فيه خفيا محتاجا الى تأويل وهو  
قسمان :

أحدهما : الجمع بين معنيين لا يتنافيان فى ذاتهما ، ولكن يتعلق



أحدهما بما يقابل الآخر بسببية أو لزوم أو نحوهما • مثال ذلك قوله تعالى : « نَسِئًا عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَاءَ بَيْنَهُمْ » (٤٢) ، فإن الرحمة ليست ضد الشدة ، ولكنها مسببة عن اللين الذى هو ضدها ، فلما ذكر المتسبب عن أحد الضدين كان ذكره مع الضد الآخر كالطباق ومن ثم ألحق به •

ومنه قوله تعالى : « مَا خَطِيئَتُهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا » (٤٣) ، ففيه طباق بين « أُغْرِقُوا وَأَدْخَلُوا نَارًا » وادخال النار ليس مضاداً للاغراق ، ولكنه يستتزم الاغراق المضاد للاغراق • ومنه قوله تعالى : « الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا » (٤٤) ، فالنار تستتزم اللون الأحمر ، فكأنه جمع بين الأخضر والأحمر وهو طباق التدبيح (٤٥) •

قال الخطيب : ومن فاسد هذا الضرب قول أبى الطيب :

لم تطلب الدنيا إذا لم ترد بها

سرور محب أو أساءة مجرم

فإن ضد المحب هو المبغض ، والمجرم قد لا يكون مبغضاً ، وله وجه بعيد (٤٦) •

وفسر السبكي هذا الوجه بأن بين الاجرام والبغض تلازماً ادعائياً ، كأنه يشير الى أن المجرم لا يكون الا مبغضاً له ، لئلا يفتقر حاله حال المجرم (٤٧) ، ومثلاً هذا كلمة « أساءة » فإنها ليست ضد السرور ولكن يوجد بينها وبين الحزن الذى هو ضد السرور تلازم •

(٤٢) التيسير آية ٢٩ •

(٤٣) نوح آية ٢٠ •

(٤٤) يس آية ٨٠ •

(٤٥) أنظر البرهان ٤٥٧/٣ •

(٤٦) الايضاح ٢٤/٦ •

(٤٧) عروس الافراح ٢٩٥/٤ •

وبهذا الوجه تكون المطابقة في بيت أبي الطيب لا غبار عليها ،  
خصوصا انهم يعتقدون في المطابقة بوجود وجه من التقابل ولو كان  
بتأول ، ومما ينبئ اللفت اليه أن هذا البيت يعتبر مثلا للمقابلة حسب  
تعريف الخطيب لها ففي جملة من الطباق نظر ، وأن كان قد عد المقابلة  
نوعا من الطباق كما سيأتى :

والثانى : لجمع بين معنيين غير متقابلين عبر عنهما بلفظين يتقابل  
معناهما الحقيقيان ، ويسمى هذا « ايهام التضاد » ومنه قول دعبل  
الخرزاعى :

لا تعجبنى يا مسلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى  
فقد جمع بين الضحك والبكاء ، وضحك المشيب معناه ظهوره  
وانتشاره ، وهذا المعنى المقصود لا يضاد البكاء ، ولكن الذى يضاد  
البكاء هو المعنى الحقيقى للضحك ، فبين الكلمتين تضاد في المعنى الحقيقى  
لا في المعنى المراد في البيت .

ومثله قول أبى تمام في الشيب :

له منظر في العين أبيض ناصع  
ولكنه في القلب أسود أسفع

فالسواد هنا استعارة لما يحدثه الشيب في النفس من هم وحزن ،  
وهذا المعنى المقصود لا يضاد البياض ، انما ضده هو السواد الحقيقى .

ترشيح الطباق :

قالوا ومجرد الجمع بين المتضادين في الكلام أمر ميسور ، فينبغى  
أن يرشح الطباق بلون آخر من ألوان البديع يشاركه البهجة والرونق  
ويزيد من حسن الكلام وفخامة المعنى (٤٨) .

تجد ذلك في قوله تعالى : « تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب » (٤٩) ، فقد رشح الطباق بلونين هما العكس والتكميل ، قال ابن حجة الحموي : ففى العطف بقوله تعالى : « وترزق من تشاء بغير حساب » دلالة على أن من قدر على تلك الأعمال العظيمة قدر على أن يرزق بغير حساب من شاء من عباده ، وهذه مبالغة التكميل المشحونة بقدرة الرب سبحانه وتعالى ، فانظر الى عظم كلام الخالق هنا ، فقد اجتمع فيه المطابقة الحقيقية ، والعكس الذي لا يدرك ، لوجازته وبلاغته ومبالغة التكميل التي لا تليق بغير قدرته (٥٠) .

وفي قوله تعالى : « هو الذى يريكم البرق خوفاً وطمعا » (٥١) ، وقعت المطابقة بين الخوف وانطمع ، ورشحت بالتقسيم البديع الذى أضفى عليها فخامة وجعل الحكم جامعا قاطعا ، اذ ليس في رؤية البرق الا الخوف من الصواعق ، والطمع في الأمطار ، ولا ثالث لهذين القسمين .

ومن ذلك قول امرئ القيس :

مكر مفسر مقبل مدبر معا

كجلمود صخر حطه السيل من عل

فطابق بين الكر والفر ، والاقبال والادبار ، ورشح الطباق بالتكميل في قوله « معا » فزاده تكميلا في غاية الكمال ، حيث دل بذلك على قرب الحركة في جميع الحالات ، ولو ترك المطابقة مجردة من هذا التكميل ما حصل لها هذا الموقع ولا كانت بهذه البهجة ، ثم انه استلورد بعد تمام المطابقة وكمال التكميل الى التشبيه على سبيل الاستطراد

(٤٩) آل عمران آية ٢٧ .

(٥٠) خزنة الأدب ١/١٦١ .

(٥١) الرعد آية ١٢ .

البديعي ، وبذلك اشتمل قوله على المطابقة والتكميل والاستطراد (٥٢) .

ومنه قول أبي تمام :

بيض الصفائح لا سود الصحائف في  
متونهن جلاء الشك والريب

حيث رشح الطباق بالجناس فجمع بين المعاني المتضادة والألفاظ المتجانسة ، وأفرغ الكلام في قالب القصر ، ، فجاءت عبارته فخمة ذات معنى قوى محسود .

#### بلاغة الطباق :

والطباق اون بديعي فطري يشيع في أساليب العامة والخاصة ، بناء على ما هو مركز في الطباع من مقارنة بين الأضداد وموازنة بين المتقابلات ، نظراً لكثرتها أمام الأنظار في مشاهد الكون ، ومظاهر الحياة ، وصفات الخلائق على اختلاف ألوانها ، وهو من الفنون التي تربط الكلام ببعضه عن طريق علاقة التضاد ، فالضد أقرب خطورا بالبال عند ذكر ضده .

وللطباق شعب خفية ، وفيه مكان تمنض ، وربما التبتت بها أشياء لا تتميز إلا للنظر الثاقب ، والذهن اللطيف (٥٣) .

ولذلك فإن بلاغة الطباق لا تكمن في مجرد الجمع بين المعاني المتقابلة والألفاظ المتضادة ، فهذه حلية شكلية وزخرفة لفظية ، لا تقاس بها جودة الأسلوب ولا تقدر بها قيمته .

وانما ترجع بلاغة الطباق الى تأثيره في ناھيتين :

(٥٢) انظر خزانة الادب ١/ ١٦١ .

(٥٣) الوصفاة ٤٤ .

ناحية لفظية : وذلك بمجيئه في الاسلوب سلسا طيعا غير متكلف ،  
فيخلع عليه جزالة وفخامة ، ويجعل له وقعا جميلا مؤثرا .

وناحية معنوية : بما يحققه من ايضاح المعنى واظهاره ، وتأكيد  
وتقويته ، عن طريق المقارنة بين الضدين ، وتصوير أحد الضدين فيه  
تصور للأخر ، وعلى هذا فالذهن عند ذكر الضد يكون مهيا للأخسر  
ومستعدا له ، فاذا ورد عليه ثبت وتأكد فيه .

وينبغي أن يكون الأثر المعنوي للطباق هو القائد اليه ، والدافع  
نحوه ، وقد أكد الامام عبد القاهر على الاضافة المعنوية للطباق وسائر  
فنون البديع ، وجعل عليها مدار الحسن والقبح فقال : وأما التطبيق  
والاستعارة وسائر أقسام البديع ، فلا شبهة أن الحسن والقبح لا يعترض  
الكلام بهما الا من جهة المعانى خاصة ، من غير أن يكون للألفاظ في ذلك  
نصيب ، أو يكون لها في التحسين أو خلاف التحسين تصعيد وتصويب . .  
والتطبيق أمره أبين وكونه معنويا أجلى وأظهر ، فهو مقابلة الشيء  
بضده ، والتضاد بين الألفاظ المركبة محال ، وليس لأحكام المقابلة  
ثم مجال (٥٤) .

وقد يأتي الطباق مصنوعا متكلفا ، لا طائل تحته ، ولا محصول  
وراءه ، وذلك عندما يتعمد القائل توشية كلامه بالصينج البديعي دون  
نظر الى ما يحققه من قيمة في الاسلوب ، وحيثما جاء الطباق بهذه  
الصورة فهو طباق معيب ، لأنه صار مجرد حلية شكلية وتلاعب لفظي ،  
وبلاغة الكلام بمنأى عن ذلك . ولذا رأينا للنقاد يعيرون كثيرا من الأقوال  
التي سرت فيها المطابقة المتكلفة فأفسدتها ، وأخرجتها عن نطاق البلاغة .

من ذلك قول الأخطل :

قلت المقام وناعب قال النوى      فعصيت أمرى والمطاع لحراب

اذ قالوا : ان هذا من غث الكلام وبارده (٥٥) • وما ذاك الا لان  
الشاعر تعمد المطابقة فأجهد نفسه في الاتيان بها غير عابىء بما أحدثته  
من ثقل وقلق في البيت ، فجاء جسدا بلا روح •

وتشبيه بهذا قول أبى تمام :

قد لان أكثر ما تريد وبعضه خشن وانى بالنجاح لوائق

فأغرى بالمطابقة بين « لان و خشن » مع قبحها وعدم حاجة المعنى  
اليها وضد الليونة الشدة أما الخشونة فهي مضادة للنعومة •

ونحوه قوله :

وان خفرت أموال قوم أكفهم

من النيل والجدوى فكفاه مقطع

فتكلف الطباق بين « خفر و مقطع » وهي مطابقة رديئة ، بجانب  
افسادها للمعنى فهو يقول : اذا كانت يد الرجل كالخفير لانه تحفظه من  
السؤال ، فكفاه مقطع ، أى يقطع. فيهما الطريق على المال ، لان العادة  
جارية بأن المال يؤخذ في قطع الطريق (٥٦) •

ومن هذا قول الشاعر في القاسم بن عبيد الله :

من كان يعلم كيف رقة طبعه

هو مقسم أن الهواء ثخين

فتكلف المطابقة بين « رقة و ثخين » وهي مطابقة فاسدة ، بجانب  
ما في المعنى من احواله •

## المقابلة

وهي لغة المواجهة والمعارضة تقوون : قابلت الشيء بالشيء مقابلة  
إذا عارضته به وواجهته • وفي اصطلاح البلاغيين : أن يؤتى بمعنيين  
متوافقين أو أكثر ثم بما يقابل ذلك على الترتيب (١) •

والمراد بالتوافق خلاف التقابل والتتساق ، فيشمل المتناسبين  
كالشمس والقمر ، والمتماثلين في أصل الحقيقة مع عدم التناسب في  
المفهوم كمصدوق القائم والانسان ، والخلافيين كالانسان والطائر (٢) •  
ومن مشهور أمثلتها قوله تعالى : « فليضحكوا قليلا وليكسوا  
كثيرا » (٣) •

فالضحك والقلّة معنيان متوافقان ، والبكاء والكثرة كذلك ، وقبول  
بين الطرفين على الترتيب ، فالبكاء يقابل الضحك والكثرة تقابل القلة •  
وأكثر البلاغيين يجعلون المقابلة لونا مستقلا من ألوان السديع ،  
ويبحثونها في باب خاص بها ، وخالفهم الخطيب القزويني في ذلك فأدخلها  
في الطباق وجعلها قسما منه •

ونؤيد رأي الجمهور في جعل المقابلة لونا مستقلا يختلف عن  
الطباق ، وقد فرق ابن أبي الاصبغ بينهما من وجهين :

الأول : أن المطابقة لا تكون الا بالجمع بين ضدين ، والمقابلة تكون  
غالبا بالجمع بين أربعة أضداد ، ضدان في صدر الكلام وضدان في عجزه ،

(١) الايضاح ١٦/٦ •

(٢) شروح التلخيص ٢٩٧/٤ •

(٣) النسوية آية ٨٢ •

وتبلغ الى الجمع بين عشرة تضداد ؛ خمسة في الصدر وخمسة في العجز •

والثانى : أن المطابقة لا تكون الا بالاضداد ، والمقابلة تكون بالاضداد وبغير الاضداد (٤) •

وفرق العلامة عبد الحكيم بينهما من وجه آخر دقيق مؤيدا نظرية السكاكى في جعل المقابلة لونا مستقلا فقال : ان الطباق يحصل فيه التوافق بعد التنافى ، ولذا سمي بالطباق ، وفي المقابلة يحصل التنافى بعد التوافق ، ولذا سمي بالمقابلة ، وفي كليهما ايراد المعنيين بصورة غريبة ، فكل منهما محسن بانفراده ، واستلزام أحدهما للآخر لا يستلزم دخوله فيه فالحق مع السكاكى رحمه الله (٥) •

وهاصل كلامه أن الطباق يحصل فيه جمع وتوافق بين صفتين متنافيتين متضادتين كالحياة والموت ، والضحك والبكاء ، أما المقابلة فتأتى فيها المعانى متوافقة أولا ثم يحصل بينها التنافى والتضاد بسبب الجمع ، فالضحك والقلة متوافقان والبكاء والكثرة متوافقان ، ثم حصل بين الطرفين تناف بعد الجمع بينهما • فكل من الطباق والمقابلة يختلف عن الآخر في شكله ومضمونه ، وهذا ما يؤكد على استقلال كل منهما •

### صور المقابلة :

وتتنوع المقابلة بحسب المعانى التى تتضمنها كما يلى :

١ — مقابلة معنيين بمعنيين كقوله تعالى في شأن فرعون « يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم » (٦) فاستحياء النساء يقابل تذبيح الأبناء •

---

(٤) تحرير التخبير ١٧٩ •  
(٥) حاشية عبد الحكيم ٤٩٣ •  
(٦) القصص آية ٤ •



وقوله تعالى : « الأمرين بالمعروف والناهون عن المنكر » (٧) ، فالنهى عن المنكر يقابل الأمر بالمعروف ، وقوله تعالى « قد أفلح من زكاه ، وقد خاب من دساها » (٨) ، فخاب يقابل أفلح ، ودساها يقابل زكاه . ومعنى زكاه : نماها بالعلم والعمل ، ومعنى دساها : نقصها وأخفاها بالجهالة والفسوق (٩) .

ونحو ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « ان الرفق لا يكون في شيء الا زانه ، ولا ينزع من شيء الا شانه » ففيه مقابلة بين لا يكون في شيء ولا ينزع من شيء ، وزانه وشانه . ونحوه توقيع الرشيد في نكبة البرامكة : « انبتتهم الطاعة وحصدتهم المعصية » . فقابل بين الانبات والحصد ، والطاعة والمعصية . ومن هذا قول الشاعر :

فتى تم فيه ما يسر صديقه      على أن فيه ما يسوء الأعدايا

فقابل بين يسر صديقه ويسوء الأعدايا . ونحوه قول الآخر :

فوا عجباً كيف اتفقنا فناصر      وفي ومطوى على الغل غادر

فالغل يقابل الناصر ، والغدر يقابل الوفاء .

٢ — مقابلة ثلاثة معان بثلاثة معان ، كقوله تعالى : « ان تمسككم حسنة تسؤهم وان تصيبكم سيئة يفرحوا بها » (١٠) ، ففيه مقابلة بين تمسككم وتصيبكم ، وحسنة وسيئة ، وتسؤهم ويفرحوا . وقوله تعالى في صفة الرسول صلى الله عليه وسلم : « وینص لهم الطيبات ويحرم

(٧) النسوة آية ١١٢ .

(٨) الشمس آية ٩ ، ١٠ .

(٩) تفسير البيضاوي ٧٤٢ .

(١٠) آل عمران آية ١٢٠ .

عليهم الخبائث « (١١) • فيه مقابلة بين يحل ويحرم ، ولهم وعليهم ، والطيبات والخبائث • وقوله تعالى : « ولزلفت الجنة للمتقين ، وبرزت الجحيم للعاوين » (١٢) فيه مقابلة بين أزلفت وبرزت ، والجنة والجحيم ، والمتقين والعاوين •

ومن هذه الصورة قول ابراهيم الصابي : « وأعد لحسنهم الجنة وثوابا ، ولسيئهم نارا وعقابا » فقابل بين الحسن والمسيء والجنة والنار والثواب والعقاب •

ومنها قول أبي دلالة :

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا

وأقبح الكفر والافلاس بالرجل

فجعل القبح والكفر والافلاس في مقابلة الحسن والدين واليسار المعبر عنه بالدنيا •

وقول أبي الطيب :

فلا الجود يفنى المال والجد مقبل

ولا البخل يبقي المال والجد مدبر

فوضع البخل ويبقى ويدبر في مقابلة الجود ويفنى ومقبل •

٣ — مقابلة أربعة معان بأربعة معان ، كقوله تعالى : « فأما من أعصى وأتقى ، وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل

---

(١١) الامراء آية ١٥٧ .  
(١٢) الشعراء آية ٩٠ ، ٩١ .

واستغنى ، وكذب بالحسنى ، فسنيسه للعسرى « (١٣) ، فبخل  
يقابل أعطى ، واستغنى يقابل اتقى ، وكذب يقاب صدق ، والعسرى  
يقابل اليسرى . والتقابل بين استغنى واتقى معنوي ، فالمراد باستغنى :  
زهد فيما عند الله كأنه مستغن عنه فلم يتق ، أو استغنى بشهوات الدنيا  
عن نعيم الجنة فلم يتق (١٤) .

ومنها قول أبي بكر الصديق رضى الله عنه في وصيته عند الموت :  
هذا ما أوصى به أبو بكر ، عند آخر عهده بالدنيا خارجا منها ، وأول  
عهده بالآخرة داخلا فيها . فقابل أولا بآخر ، والدنيا بالآخرة ، وخارجا  
بداخل ومنها بفيها .

ومن هذا قول جرير :

وباسط خير فيكم بيمينه وقابض شر عنكم بشمالها

فقابل بين البسط والقبض ، والخير والشر ، وفيكم وعنكم ،  
واليمين والشمال .

ونحوه بيت ابن حجة في بديعته :

قابلتهم بالرضا والسلم منشرحا ولوا غضابا فيا حسرى لخيظهم

فقابل بين المقابلة والتولية ، والرضا والغضب ، والسلم والحرب ،  
والانشراح والغيظ . والمقابلة في بيت ابن حجة متكلفة مصنوعة ، ومن  
ثم تراها ثقيلة غير مقبولة على خلاف ما تقدمها من مقابلات .

٤ — مقابلة خمسة معان بخمسة معان ، ومثلوها بقول أبي الطيب :

(١٣) الليل آية ٥ — ١٠ .

(١٤) الايضاح ١٨/٦ .

أزورهم وسواد الليل يشفع لى وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

فقابل بين أزور وأنثنى ، وسواد وبياض ، والليل والصبح ، ويشفع ويغرى (١٥) ، ولى وبى ، وذكر الخطيب موازنة بين هذا البيت وبين بيت أبى دلامة السابق فقال : وقد رجح بيت أبى الطيب على بيت أبى دلامة بكثرة المقابلة ، مع سهولة النظم ، وبأن قافية هذا ممكنة ، وقافية ذلك مستدعاة ، فإن ما ذكره غير مختص بالرجال ، ورجح بيت أبى دلامة على بيت أبى الطيب بجودة المقابلة ، فإن ضد الليل المحض النهار لا الصبح (١٦) .

ونرى أن ما أخذ على أبى الطيب فى المقابلة بين الليل والصبح يؤخذ على أبى دلامة فى موضعين فقد قابل بين الدين والكفر ، ومقابل الكفر الايمان ، كما قابل بين الدنيا والافلاس ، ومقابل الافلاس الغنى واليسار . وبذلك لا يبقى لبيت أبى دلامة ما يرجحه ، ويظل بيت أبى الطيب فى غاية الحسن ، وقد أثنى عليه كثير من النقاد وجملوه أمير شعره (١٧) ، كما عد أفضل بيت فى المقابلة (١٨) .

ومن هذا قول النابغة يصف همارا وأثانا وحشيين :

إذا هبطنا سهلا أثارا عساجة

وإن علوا حزنا تشظت جنادل (١٩)

(١٥) لما كان الليل يستره من الرقباء جعله كلسيما له ، ولما كان الصبح يفضحه ويشهره جعله مغريا به ، وعلى هذا كان التقابل بينهما .

(١٦) الأيضاح ١٨/٦ .

(١٧) يتيبة الدهر ١/١٧٧ .

(١٨) الصبح ١٩ .

(١٩) عساجة : غبارا كثيفا ، وتشظت : تكمرت بمسارت شظايا ، والجنادل : الحجارة .

فقابل بين اذا وان ، وهبطا وعلوا ، وسهلا وحزنا ، وأثارا  
وتشظت ، وعجاجة وجنادل •

ومن هذا قول صفي الدين الحلبي في بديعيته :

كان الرضا بدنوى من خواطرهم

فصار سخطى لبعدي عن جوارهم

فقابل بين كان وصار ، والرضا والسخط ، والذنو والبعد ، ومن  
وعن ، وخواطرهم وجوارهم (٢٠) وعلى كثرة المقابلات في البيت تراه  
جافيا جاسيا ، لانه لم يصدر عن طبع بل صدر عن صنعة عمادها تكلف  
اللون البديعي •

٥ — مقابلة ستة معان بستة معان كقول عنتره :

على رأس عبد تاج عز يزينه

وفي رجل حر قيد ذن يشينه

فقابل كل كلمة في الشطر الثاني بكل كلمة في الشطر الأول على  
الترتيب • وهذا غاية ما وجد في شعرهم من مقابلات •

وقد توسع كثير من البلاغيين في مفهوم المقابلة ، فأروا أنها تتحقق  
بمقابلة الاضداد ، وغير الاضداد ، وبالموافق ، والمخالف • كل مع  
شكله ولفظسه (٢١) •

وجعل أبو هلال منها نوعا معنويا هو مقابلة الفعل بالفعل ، كما في

---

(٢٠) شرح الكافية البديعية ٧٥ •  
(٢١) أنظر نقد الشعر ١٤١ ، ١٩٣ ، والصناعتين ٢٦٤ ، والعمدة  
١٥/٢ ، وبديع القرآن ٧٣ ، وغيرها •

قوله تعالى : « نسوا الله فنسيهم » (٢٢) ، وقوله تعالى : « ومكروا مكرا  
ومكرنا مكرا » (٢٣) ، فالمكر من الله تعالى العذاب ، جعله الله عز وجل  
مقابلة لمكرهم بأنبيائه وأهل طاعته (٢٤) . وقد سبق قدامة الى ذكر بعض  
أمثلة هذا النوع دون أن يذكر اسمه (٢٥) . ومضى على ذلك ابن رشيق  
وابن سنان (٢٦) .

وقال حازم مشيرا الى المقابلة المعنوية : ومن ضروب المقابلة  
قول تأبط شرا :

أهز بها في ندوة الحى عطفه .

كما هز عطفي بالهجان الأوارك

فقابل هز عطفه بالمنحة بهز عطف ممدوحه بالمدح (٢٧) .

وعرض ابن الأثير لهذا النوع من المقابلة وتطلق عليه مقابلة الشيء  
بمثله ، وعلى نهجه مضى العلوي والزركى (٢٨) . وهذا اللون من  
الكلام لا يدخل في المقابلة الاصطلاحية ، وإنما هو مقابلة لغوية تقوم على  
مقابلة فعل بفعل ممثل له ، وكثير من أمثله داخل في المشاكلة .

وجعل ابن رشيق من المقابلة لونا سماه الموازنة وهو ما ليس مخالفا  
ولا موافقا الا في الوزن والإزدواج كقول أبي الطيب :

(٢٢) النسوية آية ٦٧ .

(٢٣) النمل آية ٥٠ .

(٢٤) الصناعتين ٢٦٤ .

(٢٥) انظر نقد الشعر ١٤٢ .

(٢٦) انظر العمدة ١٦/٢ ، وسر الفصاحة ٢٥٨ .

(٢٧) منهاج البلاغ ٥٤ . والهجان الأوارك : الإبل التي ترمى شجر  
الأراك .

(٢٨) انظر المثل السنن ٢٨٩ ، والطرارز ٢٨٩/٢ ، والبرهان ٤٦١/٣ .

نصيبك في حياتك من حبيب يصيبك في منامك من خيال  
فوازن قوله : « في حياتك بقوله في منامك » وليس بضده ولا موافقة  
وكذلك صنع في الموازنة بين حبيب وخيال • ومن أملح شواهد الموازنة  
فسول ذي الرمة :

أستحدث الركب عن أشياعهم خبرا

نم راجع القلب من أطرابه طرب ؟

لان قوله « أستحدث الركب » موازن لقوله « أم راجع القلب »  
وقوله « عن أشياعهم خبرا » موازن لقوله « من أطرابه طرب » وكذلك  
« الركب موازن للقلب » و « عن موازن لمن » و « أشياعهم موازن  
أطرابه » و « خبرا موازن لطرب » (٢٩) •

وهذا التوسع في مفهوم المقابلة لدى كثيرين من علماء البلاغة  
يقابله ضيق وتشدد في مفهومها لدى السكاكي والخطيب ومن سلك  
سبيلهما ، ففى لا تتم عندهم الا بمقابلة الاضداد وما يلحق بها ، وعليه  
فالمقابلة بين غير الاضداد ، والمقابلة العنصرية ، والموازنة ، لا تدخل  
عندهم في باب المقابلة • وقررت على هذا وجود شواهد للمقابلة عند  
التوسعين في مفهومها لا تعد من باب المقابلة حسب رأى السكاكي  
والخطيب ، من ذلك قوله تعالى : « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار  
لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله » (٣٠) ، فقد جعلها ابن رشيقي من  
معجز المقابلة (٣١) ، وعدها ابن ابي الاصبع كذلك ، وحللها تحليلا بديعيا  
جيذا ، نجد لزاما علينا ذكره — رغم طوله — لنظهر بعض جهود السابقين  
في دراسة بديع القرآن •

(٢٩) العمدة ١٩/٢ ، ٢٠ .  
(٣٠) القصص آية ٧٣ .  
(٣١) أنظر العمدة ١٧/٢ .

قال ابن ابي الاصبع : ومن معجز المقابلة في القرآن الكريم قوله تعالى : « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله » فانظر الى مجيء الليل والنهار في صدر الكلام ، وهما ضدان ، ومجيء السكون والحركة في عجز الكلام ، وهما ضدان ، ومقابلة كل طرف منه بالطرف الآخر على الترتيب ، وكيف عبر سبحانه عن الحركة بلفظ الاردا ف ، فاستلزم الكلام ضربا من المحاسن زائدا على المقابلة ، والذي أوجب العدول عن لفظ الحركة الى لفظ ابتغاء الفضل كون الحركة تكون لصلحة وفسدة ، وابتغاء الفضل حركة للمصلحة دون المفسدة ، وهي تشير الى الاعانة بالقوة ، وحسن الاختيار ، الدال على رجاحة العقب وسلامة الحس ، ويستلزم اضاءة الظرف الذي تلك الحركة المخصوصة واقعة فيه ، ليهتدي المتحرك الى بلوغ المآرب ووجوه المصالح ويتقى أسباب المعاطب ، والآية سيقت للاعتداد بالنعم ، فوجب العدول عن لفظ الحركة الى لفظ هو ردفه وتابعه ، ليتم حسن البيان ، فتضمنت هذه الكلمات التي هي بعض آية عدة من المنافع والمصالح التي لو عدت بالفاظها الموضوع لها لاحتاجت في العبارة عنها الى ألفاظ كثيرة ، فحصل في الكلام بهذا السبب عدة ضروب من المحاسن ، ألا تراه سبحانه جعل العلة في وجود الليل والنهار حصول منافع الانسان حيث قال « لتسكنوا ولتبتغوا » بلام التعليل ، فجمعت هذه الكلمات : المقابلة - والتعليل - والاشارة - والاردا ف - والامتلاف - وحسن البيان - وهسن النسق ، لجميء الكلام فيها متلاحما آخذة أعناق بعضها بأعناق بعض ، ثم أخبر بالخبر الصادق أن جميع ما عدده من النعم بلفظه الخاص ، وما تضمنته العبارة من النعم التي هي من لفظي الاشارة والاردا ف بعض رحمته ، حيث قال بحرف التبعية « ومن رحمته » وكل هذا في بعض آية عدتها احدى عشرة لفظة بفالحظ هذه البلاغة الباهرة ، والفصاحة الظاهرة (٣٣) . وهذا التحليل الدقيق يجلى لك صورة من صور الاعجاز البلاغي



للقرآن الكريم ، ويوضح لك منهج ابن أبي الاصبع في دراسة البديع  
القرآني وتحليل شسواهده .

وانما جعل ابن أبي الاصبع هذه الآية من قبيل المقابلة لانه  
لا يشترط في المعاني المتقابلة أن تكون متوافقة ، بل تتأتى المقابلة عنده  
بالمخالف والموافق ، والمضاد وغيره على السواء .

والآية على رأى السكاكي والخطيب لا مقابلة فيها ، لان مدارها  
عندهما على الجمع بين المعاني المتوافقة وما يقابلها على الترتيب ، وفي  
الآية جمع بين معنيين متقابلين وما يوافقهما على عكس المقابلة ، وعلى  
هذا فما في الآية عندهما من قبيل الطباق ، وقد اجتمع فيها طباقان :  
الأول : طباق لفظي بين الليل والنهار ، والثاني : طباق معنوي بين  
لتسكنوا ولتبتغوا ، فان ابتغاء الفرض يستلزم الحركة التي هي مضادة  
للسكون ، كما أن في الآية اونا بديعيا آخر هو اللف والنشر ، حيث ذكر  
الليل والنهار ، ثم ذكر ما لكل واحد منهما من غير تعيين .

ومذهب السكاكي والخطيب أدق وأضبط وأبعد عن الخلط بين  
صور البديع ، وان كنا نميل الى التوسع في مفهوم المقابلة بما لا يؤدي  
الى تداخل الفنون وخلطها ، لنرى المقابلة تضم المشاهد التي تنهض على  
الموازنات والمقارنات بين أنماط مختلفة وأصناف متباينة ، وان لم تكن  
أطرافها متساوية العدد ، متضادة المعاني ، منظومة على الترتيب .

وعلى هذا فالمشاهد القرآنية في وصف المؤمنين والكافرين ، والجنة  
والنار ، والثواب والعقاب ، والمشاهد التي تصف الآيات الكونية وغيرها  
مما يرد على نمط المقارنة والموازنة ، ينبغي أن تنضوي تحت لواء المقابلة،  
فقوله تعالى : « ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات  
تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل

الأنعام والنار مثوى لنوم « (٣٣) • وقوله تعالى : « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا » (٣٤) • وقوله تعالى : « وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجم النهار نشورا » (٣٥) • وقوله تعالى : « والشمس وضحاها ، والقمر اذا تلاها ، والنهار اذا جلاها ، والليل اذا يغشاها ، والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها » (٣٦) ، كل هذا وما يشبهه يدخل في باب المقابلة دون نظر الى التضاد أو الترتيب أو العدد •

وهذه اشارة يسيرة الى موضوع كبير ينبغي أن يدرس باتقان ، فالنظم القرآني مشحون بالمشاهد المتقلبة ، والصور التي تقوم على المقارنة والموازنة •

### بلاغية المقابلة :

والمقابلة البليغة ما جاءت صحيحة مطبوعة • وصحة المقابلة تتحقق من ترتيب الكلام على ما ينبغي ، فاذا أتى المتكلم في صدر كلامه بأشياء قابلها في عجزه بما يلائمها من أصدادها أو أغيارها من المخالف والموافق على الترتيب (٣٧) •

وقد مرت بك أمثلة كثيرة تستطيع أن تتبين فيها ذلك بوضوح •

فاذا قابل القائل أحد المعاني بما لا يخالف الآخر ولا يوافقسه فالمقابلة فاسدة لعدم التلاؤم بين المعاني • من ذلك أن يقال : فلان شديد

(٣٣) محمد آية ١٢ •

(٣٤) البقرة آية ٢٦٨ •

(٣٥) البقرة آية ٤٧ •

(٣٦) الشمس آية ١ - ٦ •

(٣٧) انظر نقد الشعر ١٤١ ، وديع القرآن ٧٢ •

البأس ، نقي الثغر ، أو جواد الكف ، بيض الثوب ، فالمقابلة في المثالين فاسدة ، لان نقاء الثغر لا يخالف شدة البأس ولا يوافق ، وبياض الثوب لا يخالف جواد الكف ولا يوافق ، فالمعاني غير متلائمة ، والصحيح أن يقال : فلان شديد البأس عظيم النكاية ، وجواد الكف كثير العرف ، ونحو ذلك من المعاني المتناسبة (٣٨) .

ومن المقابلة الفاسدة قول أبي على القرشى :

يا ابن خير الأخيار من عبد شمس

أنت زين الدنيا وغيث الجنود

فليس قوله « وغيث الجنود » موافقا لقوله « زين الدنيا » ولا مضادا وذلك عيب أفسد المقابلة ، ومن فاسد المقابلة قول امرئ القيس :

فلو أنها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط أنفسا

فليس « سوية » بموافق « لتساقط » ولا مخالف له ، ولهذا غيره أهل المعرفة فجعلوه « جمية » لانه بمقابلة « تساقط » أليق (٤٠) .

وكما يجب أن تكون للمقابلة صحيحة ينبغي أن تكون مطبوعة سلسلة غير متكلفة ولا مصنوعة بقصد التلوين البديعي ، فانها ان جاءت متكلفة سمجت وعافتها الاسماع والعقول ولو كانت صحيحة شكلا ، وأكبر دليل على هذا أبيات البديعيات ، انك تجد المقابلة فيها صحيحة

(٣٨) الصناعتين ٢٦٦ .

(٣٩) نقد الشعر ٢٩٣ ، ١٩٤ .

(٤٠) الصناعتين ٢٦٦ . وتساقط بضم التاء أى يموت بموتها خلق

من حيث الشكل ومع هذا لا تجد فيها ماء ، ولا تحسن لها رونقا ، وقد  
سبقنا من ذلك بيتين اصفى الدين الحلى وابن حجة ، يوضحان لك هذا  
الأمر ، ويضاف اليهما بيت ابن جابر في بديعته :

بواطىء فوق خد الصبح مشتهر  
وطائر تحت ذيل الليل مكتتم

فقابل بين : واطىء وطائر ، وفوق وتحت ، وخد وذيل ، والصبح  
والليل ، ومشتهر ومكتتم ، وعلى الرغم من كثرة المقابلات فالببيت ثقيل  
على اللسان ، ممجوج في الأذان ، وسر ذلك مبناء على التكلف وقيامه  
على التعمل لجلب اللون البديعي ، دون نظر الى قيمته في الاسلوب ،  
وأثره في أداء المعنى المراد .

وذكر ابن حجة أن علماء البديع على أنه كلما كثر عدد المقابلات  
كانت أبلغ (٤١) .

وهذا أساس غير صحيح ، فأبلغية المقابلات لا تتوقف على عددها  
في الاسلوب ، والمقابلة بين معنيين قد تكون أبلغ مما لو كانت بين أكثر  
من ذلكاء ، واتكفؤ المقابلات في الاسلوب يؤدي الى ثقل الألفاظ وخفوت  
معانيه ، فلا تعثر على معنى ذي بال في زحام الألفاظ المتقابلة ، ومن ثم  
نزوى المقابلة في الأساليب الأدبية كثيرا ما تكون بين معنيين ، وتقل بين  
ثلاثة وتندر بين أربعة أو خمسة ، وقد أشرنا الى أن كثرة المقابلات  
في أبيات البديعيات لم ترشح من بديعتها في ميزان البلاغة .  
والمقابلة البليغة تؤثر في الاسلوب شكلا ومضمونا . ففي الشكل  
توجد فيه نمطا من التوازن والتناسب له حسنه وبهاؤه ، فالألفاظ  
متجانسة ، والجمل متوازنة ، والتقابيل بينها يحدث أثرا صوتيا له قيمته

في وقع الاسلوب . وفي المضمون تظهر المعنى واضحا قويا مترابطا ،  
ففيها يتم ذكر الشيء ومقابله ، وعقد مقارنة بينهما ، فنتضح خصائص  
كل منهما ، وتتحدد المعاني المرادة في الذهن تحديدا قويا . وهي من  
هذه الناحية تشبه المطابقة ، الا أن قيام المقابلة على الجمل ، وبنائها على  
المواجهة بين معنيين فأكثر يضيف لها خاصية لا توجد في المطابقة .

اقرأ قوله تعالى : « وجعلنا الليل لباسا ، وجعلنا النهار  
معاشا » (٤٢) ، وقوله تعالى : « وهو الذي مرج البحرين هذا عذب  
فراة وهذا ملح أجاج » (٤٣) ، وقوله تعالى : « ان الأبرار لفي نعيم ،  
وان الفجار لفي جحيم » (٤٤) ، وتأمل ما في الآيات من مقابلات معجزة ،  
انك تحس أثرها اللفظي في سبك الاسلوب سبكا قويا ، واظهاره في صورة  
بديعة تأسر الأسماع ، وتخلب الألباب بكلماتها المتلازمة ، وجملها  
المتوازنة ، وايقاعها الأخاذ ، ولا يحدث شيء من هذا ان تغيرت الجمل  
عن نظمها المتقابل .

كما تلاحظ أثرها المعنوي جليا معاينا ، فالمقابلة الأولى بين الليل  
والنهار ، واللباس والمعاش ، تريك منة الله تعالى على عباده بالليل  
والنهار وما لكل منهما من خاصية تميزه ، ولا يمكن أن تقوم الحياة الا  
بهما معا وهما يتعاقبان على هذا النظام المتقابل في الوجود كما تتقابل  
المباراة عنه ، فلا تملك ازاء هذا النظام الدقيق الا أن تسبح بحمد مالك  
القوى والقدر .

والمقابلة الثانية بين العذب الفرات والملح الأجاج تدرك منها الفرق  
الشاسع بين البحرين وقد جعلهما الله متجاورين متلاصقين دون امتزاج ،

(٤٢) النبأ آية ١٠ ، ١١ .

(٤٣) الفرقان آية ٥٢ .

(٤٤) الانعام آية ١٣ ، ١٤ .

أحدهما عذب فرأت سائق للشاربين ، والآخر ملخ خالص الملوحة يعافه  
الوراد ، ومع هذا التقابل التام بينهما الا أنهما ضروريان معا لوجود  
الحياة .

والمقابلة الثالثة بين الأبرار والفجار والنعيم والجحيم تطلعك على  
مشهد من مشاهد الآخرة ، ترى فيه تناقض الأجزية واختلافها تبعاً  
لتناقض الأعمال في الدنيا ، فالأبرار في نعيم عظيم ، والفجار في جحيم  
أليم ، ومواجهة كل فريق بالآخر في العبارة ، تجلى الفرق بينهما ماثلاً أمام  
العيون ، مما يبعث على المسارعة إلى طريق الأبرار ، والتباعد عن  
طريق الفجار .



### مراجعة النظرية

ولهذا اللون البديعي أسماء مختلفة منها : التناسب — والاختلاف — والتوفيق — والمؤاخاة • وهو : أن يجمع بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد (١) •

وهذا يعنى أن يكون الكلام متناسبا متلائما ، لا تجد فيه لفظة ناقرة ، ولا كلمة شاذة ، تأخذ بك كلمة فيه بعنى صاحبها ، وترتبط بها ارتباطا وثيقا • ووجهه التناسب مختلفة ، وكلها صالح في هذا اللون ، إلا ما كان على سبيل التضاد فإنه يعد من الطبايق ، ومن هنا قيلوا التعريف بقولهم : لا بالتضاد ، ليخرج الطبايق ، فمبناه على الجمع بين المعنى وضده •

### ومراجعة النظرية أنواع (٢) :

الأول : اختلاف اللفظ والمعنى ؛ ويراد به أن تكون ألفاظ المعنى المراد يلائم بعضها بعضا ، ليس فيها لفظة ناقرة عن أخواتها ، غير لائقة بمكانها ، كلها موصوفة بحسن الجوار ، بحيث إذا كان المعنى غريبا كانت ألفاظه غريبة ، وإذا كان المعنى مولدا كانت الألفاظ مولدة ، وإذا كان المعنى متوسطا كانت الألفاظ كذلك ، وإذا كان متداولاً كانت الألفاظ معروفة مستعملة (٣) •

من ذلك قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام : « يا أبت اتق

(١) الأيضاح ١٩/٦ •  
(٢) انظر التبيان ٣٤٩ ، وشرح عقود الجمان ٨٧/٤ •  
(٣) بديع القرآن ٧٧ ، ٧٨ •

أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا « (٤) ، فابراهيم عليه السلام يدعو أباه الى عبادة الله وحده ، ويحذره من عذاب الله الذى يلحقه بسبب عبادة الشيطان واتباعه . وقد جاء التحذير في عبارة رقيقة تتلامح مع شفقتة على نبيه وتلطفه في دعوته وحسن الأدب معه .

فناداه بيا أبت ليلفت انتباهه بنداء محبب الى النفوس ، يحرك فيه مشاعر الأبوة الحانية التى يمتلئ بها فؤاد الأب تجاه ابنه ، وعبر بالخوف دلالة على ما يعانیه من فزع عليه ، وإشارة الى عدم جزمه بوقوع العذاب عليه ، وهذا أخف من أن يقطع بعذابه ، واستعمل المس ليشعر بالتقليل المنبئ عن قلة الاصابة ، بدلا من ذكر ما يشعر بشدة عذابه ، ونكر العذاب لتقليله ، ووصفه بأنه من الرحمن اشعرا بخفته . وبهذا جاءت العبارة التحذيرية في غاية الرقة واللفظ تتناسب مع مقام الرحمة والشفقة وحسن الأدب مع الأب (٥) .

ومنه قوله تعالى : « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار » (٦) لما كان الركون الى الظالم دون فعل الظالم واجب أن يكون العقاب عليه دون عقاب الظالم ، ومن النار في الحقيقة دون الاحراق ، ولما كان الاحراق عقابا للظالم أوجب العدل أن يكون المس عقاب الركن الى الظالم ، ولهذا عدل عن فتدخولوا النار وحيى بقوله « فتمسكم النار » للإشارة الى أن ما يقتضى الركون من العقاب ، وللتمييز بين ما يستحق الظالم وبين ما يستحق الركن له من العقاب (٧) .

وقوله تعالى : « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » (٨) ، جىء

(٤) - مريم آية ٤٥ .

(٥) انظر كتابنا : خصائص النظم القرآنى في قصته ابراهيم عليه السلام ٣٤ ، ٣٥ .

(٦) - هود آية ١٣ .

(٧) - بديع القرآن ٧٨ .

(٨) - البقرة آية ٢٨٦ .



بلفظ الاكتساب المشعر بالكلفة والمبالغة في جانب السيئة لتقلها واقترانها بالتعمل . وقوله تعالى : « فكذبوا فيها هم والعاورون » (٩) ، جىء بلفظ « كذبوا » وهو أبلغ من كبو . للإشارة الى أنهم مكبون كبا عنيفسا قظيما (١٠) ، كأنه يتكرر من شدته ، فجسد اللفظ طريقة الفائهم في النار وناسب بضامته المعنى المراد .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر » (١١) ، وفي رواية أحمد « أهل النار كل جمعظري جواظ مستكبر » فأثنى في أهل الجنة بالفاظ سهلة رقيقة ، وفي أهل النار بالفاظ غليظة شديدة (١٢) . وبذلك ناسبت الألفاظ للمعاني وتآلفت معها .

ومنه في الشعر قول زهير :

أثافي سفعا في مرس مرجس

ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم (١٣)

(٩) الشعراء آية ٩٤ .

(١٠) الاتقان ٧٧/٢ .

(١١) رياض الصالحين ١٣١ ، والضعيف : ضعيف النفس لتواضعه وضعف حاله في الدنيا . والعتل : الغليظ اللجاني . والجواظ بفتح الجيم وتشديد الواو : الجموع المنوع ، أو الضخم المختل في مشيته ، والجمعظري : الفظ الغليظ .

(١٢) شرح بلرثندي ٨٢/٢ .

(١٣) الأثافي : جمع أثفية يضم الههزة وهي ما يوضع عليها القدر . والسفع : السود . والمرس بفتح العين والراء المشددة المكان الذي تنصب فيه القدر ، والرجل القدر الذي يطبخ فيه ، والنؤي : حاجز يرفع حول البيت من تراب لئلا يدخل الماء البيت من الخارج . وجذم الحوض : حرفة وأصله . ولم يتثلم : لم يتكسر . والمعنى أنه عرف حجارة سوداء تنصب عليها القدر ، وحاجزا كان حول منزل أم أوفى لم يتكسر ، وقد خلقت هذه الأسماء على دار أم أوفى .

فلما عرفت الدار قلت لربعمسا  
ألا عم صباحا أيها الربيع وأسلم

فأتى في البيت لأول الألفاظ غريبة لكون معانيه أعرابية ، وفي  
الثاني بالألفاظ مستعملة لكون معانيه عرفيه ، وبذلك تألفت الألفاظ مع  
المعاني (١٤) .

والثاني : اختلاف اللفظ مع اللفظ ، وذلك بأن تكون الألفاظ يلائم  
بعضها بعضا ، بأن يقرن الغريب بمثله ، والمتداول بشبهه ، والألفاظ التي  
من واد واحد بنظيرها ، بحيث يسير الأسلوب على نمط متلائم .

ترى شاهدا على ذلك في قوله تعالى : « تأله تفتؤ تذكر يوسف حتى  
تكون حرضا أو تكون من الهالكين » (١٥) ، حيث جرى بأقل حسروف  
القسم استعمالا وهو « التاء » وتبعه المجرى بأغرب الألفاظ الدالة على  
الاستمرار وهو « تفتأ » وعبر بأغرب الألفاظ الدالة على الهلاك وهو  
« حرضا » فاقتضى حسن الوضع في النظم أن تجاور كل لفظه بلفظة من  
جنسها في العرابية أو الاستعمال ، توخيا لحسن الحوار ، ورغبة في  
اختلاف المعاني بالألفاظ ، ولتتعادل الألفاظ في الوضع ، وتتناسب في  
النظم ، ألا ترى أنه عز وجل قال في آية أخرى : « وأسموا بالله جهد  
أيمنهم » (١٦) . لما كانت جميع الألفاظ الكلام المجاورة لهذا القسم كلها  
مستعملة متداولة ، لم تأت فيها لفظة غريبة تفتقر إلى مجاورة ما يشاكلها  
في العرابية ويلائمها (١٧) .

ويتجلى هذا النوع في الجمع بين الكلمات التي من واد واحد ، كما

(١٤) التيسير ٣٤٩ .

(١٥) يوسف آية ٨٥ .

(١٦) فاطر آية ٤٢ .

(١٧) بفتح القم ٧٧ ، ٧٨ . والمقصود بالعرابية هنا الجزالة  
والقوة ، فهي صفة حسن في الأسلوب .

في قوله تعالى « الشمس والقمر بحسبان » (١٨) ، فقد جمع فيه بين الشمس والقمر وهما آية النهار وآية الليل ، وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا » (١٩) ، جمع فيه بين أمور متناسبة تتمثل بالبيت الحرام والحج والنسك ، وقسوله تعالى : « والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين ، والله جعل لكم مما خلق ظللا وجعل لكم من الجبال أكناسا وجعل لكل سراييل تقيكم الحر وسراييل تقيكم بأسمكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون » (٢٠) ، فقد جمع فيه بين أمور متناسبة تذكر بنعم الله تعالى على الناس في إقامتهم وملبسهم ، وتيسير سبل الحماية والإعاشة لهم في كافة الظروف والأحوال .

ومن هذا قول البحتري يصف ابلا هزيلة :

كالقسي المعطفات بل الأس عم مبرية بل الأوتار

جمع فيه بين ثلاثة أمور متناسبة هي : القسي ، والأسهم ، والأوتار فإنه لما شبه الأبل بالقسي في الدقة والانحناء شبهها بالأسهم والأوتار وكان يمكنه أن يشبها بالمراجين ، وبحرف النون أو الدال ولكنه آثر ما ذكر للتناسب بين جميع الألفاظ ، وبذلك حسن التشبيه .

ومنه قول أبي الطيب :

ورب جواب عن كتاب بعثته . وعشوائه الناظرين قتلهم  
تضيق به البيداء من قبل نشره . وما فض بالبيداء عنه ختام

(١٨) الرحمن آية ٥ .

(١٩) المائدة آية ٢ .

(٢٠) النحل آية ٨١ .

حروف هجاء الناس فيه ثلاثة جواد ورمح ذابك وحسام

فانه جعل جيش سيف الدولة جوابا عن كتاب ، وأتى بالألفاظ المناسبة للجواب وهي : العنوان والنشر وفض الختام وحروف الهجاء ، وجمع حروف الهجاء هو الجواد والرمح والحسام ، وهذا تخيل بديع رائع ، جمع فيه المتنبي بين الألفاظ المتألفة .

ومنه قول أبي العلاء :

فهن أقلامك اللاتسي اذا كتبت

مجدا أتت بمداد من دم هنر

والضمير في « فهن » للرماح ، وقد جعلها أقلاما تكتب المجد بمداد من دم ، وهذه أمور متناسبة .

ومنه قول ابن رشيق :

أصح وأقوى ما سمعناه في الندي

من الخبير المأثور منذ قديم

أحاديث تروىها السيول عن الحيا

عن البحر عن كتب الأمير تميم (٢١)

فانه ناسب فيه بين الصحة والقوة والعضبماح والخبر المأثور والأحاديث والرواية ، ثم بين السيول والحيا والبحر وكفى تميم ، مع ما في البيت الثاني من صحة الترتيب في العنونة ، إذ جعل الرواية لصاغر عن كابر ، كما يقع في سناد الأحاديث ، فان السيول أصلها المطر ، والمطر

(٢١) الحيا : المطر . والأمير تميم هو أبو علي تميم بن الحر بن ياديس .

أصله البحر لأنه يحدث من تصاعد البخار ، ولهذا جعل كف المدوح أصلا للبحر مبالغة (٢٢) .

والبيتان وإن اجتمعت فيهما هذه الأمور المتناسبة ، إلا أنهما لا يحملان كبير معنى ، وتكلف الصنعة فيهما واضح ، مما جعلهما أشبه بالقواعد المنظومة لا بالشعر الذي يهز المشاعر ويحرك الوجدان ، وهذا أثر من آثار تكلف الصنعة البديعية في الشعر .

ومن هذا النوع قول بعض الأدباء للوزير المهلبى : أنت أيها الوزير اسماعيلى الوعد ، شعيبى التوفيق ، يوسفى العفو ، محمدى الخلق . فجمع بين أربعة أمور متناسبة في عبارات صافية وأسلوب سلس .

الثالث : ائتلاف المعنى مع المعنى وهو ضربان :

الأول : أن يشتمل الكلام على معنى يصح معه لفظان أحدهما ملائم والآخر ليس كذلك فيقرن بالملائم ، كقوله تعالى « واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقبلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم » (٢٣) ، قرنت التوبة بالبارئ دون غيره من الأسماء للمناسبة المعنوية ، لان البارئ هو الذى خلقهم أبرياء من التفاوت ، وهى نعمة جسيمة ، وكان من حق الشكر عليها أن يخصوصه بالعبادة ، فلما عكسوا وقابلوها بالكفران لما عبدوا العجل استرد منهم تلك النعمة بالقتل ، والانفكاك (٢٤) .

ومن هذا قول المتنبى يصف خوف الناس من سيف الدولة وفرارهم منه :

---

(٢٢) الايضاح ٢١/٦ .  
(٢٣) البقرة آية ٥٤ .  
(٢٤) انظر البيان ٢٥٣ .

فالعرب منه مع الكدرى طائفة

والروم طائفة منه مع الحجل (٢٥)

لمقرن بين الشيء وملائمه ، إذ جعل العرب تفر منه مع الكدرى في  
الفلوات والصحاري ، والكدرى من طيور السهول والعرب بلادها الجافوز  
والصحاري ، وجعل الروم تفر منه مع الحجل في الجبال ، والحجل من  
طيور الجبل والروم بلادها الجبال (٢٦) .

ومن هذا الضرب نوع يسمى « تشابه الأطراف » وهو ان يختم  
الكلام بما يناسب أوله في المعنى لكون ما ختم به كالعلة لما يديء به ، أو  
العكس ، أو كالدليل عليه ، أو نحو ذلك (٢٧) .

كقوله تعالى : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف  
الخبير » (٢٨) ، فاللطيف يناسب « لا تدركه الأبصار » إذ المتبادر من  
معنى اللطيف دقة الشيء بحيث لا يظهر ، و « الخبير » يناسب « وهو  
يدرك الأبصار » لان الخبير من له علم بالخفيات فيدرك كل شيء ، ويذكر  
ناسب آخر الكلام أوله . وأوثر لفظ الخبير على لفظ البصير لما فيه من  
الزيادة على الإبصار والادراك ، إذ ليس كل من أبصر شيئاً أو أدركه  
خبيراً به ، فتضمنت الفاصلة بذلك معنى زائداً على معنى الكلام وصيغت  
لأجله بالايغال ، وهو ايغال متمم لمعنى التمدح ، فخص في هذه الآية  
على ذلك اثنا عشر خبيراً من اليبس وهي : التعطف ، الذي هو قوله :  
« لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » . لحي ولفظه « الإبصار » في  
أول الكلام وآخره ، والمقارنة ، لاقترانته بالمطابقة السلبية ، والادماج ،

(٢٥) الكدرى نوع من القطا . والحجل طائر في حجم الصلم لصغير  
المنقار والرجلين .

(٢٦) انظر التبيان ٢٥٢ ، والطراز ١٥٠/٣ .

(٢٧) مواهب الفتح ٣٠٣/٤ .

(٢٨) الانعام آية ١٠٣ .

لما أدمج في التعطف من الاحتراس بقوله : « وهو يدرك الأبصار » فهو  
احتراس من توهم أنه إذا لم يكن مدركا لم يكن موجودا ، فأثبت لذاته  
كمال الوجود وزيادة ، والائتلاف ، الذي هو موضوع الكلام ،  
والترشيح بالائتلاف الى الايغال ، والايغال ، بالمعنى الزائد في  
الفاصلة ، لدلالة اللفظ القليل على المعانى الكثيرة ، والمجاز ، لحذف  
المضاف من قوله : « وهو يدرك الأبصار » أى ذوى الأبصار ، لتقريب  
الفاظ التعطف بعضها من بعض ، فيكون ذلك أبين وأحسن ، والتخيير ،  
للمدول في الفاصلة عن البصير والمدرك الى الشبير ، والايجاز ، فان هذه  
الآية تسع لفظات تضمنت اثني عشر ضربا من البلاغة (٢٩) .

ومن هذا قوله تعالى : « يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه  
ذلك هو الضلال البعيد » (٣٠) ، فمعجز الآية مناسب لصدرها ، فقل أشد  
ضلال من يعبد من دون الله ما لا ينفعه ولا يضره ، اذ لا ضلال أبعد من  
هذا ولا أشنع منه .

وقوله تعالى : « لله ما فى السموات والأرض أن الله هو الغنى  
الحميد » (٣١) ، فكونه غنيا حميدا يتلاءم مع ملكيته لما فى السموات  
والأرض . وقوله تعالى : « يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين  
منها ولهم عذاب مقيم » (٣٢) ، ختمت الآية بأن لهم عذابا مقيما وهذا  
يناسب ما قبله من أنهم لا يخرجون من النار .

والمأمل فى الآيات القرآنية يجد أعجازها تتلاءم مع هبدورها ،  
وفواصلها متناسبة مع بداياتها ، ولكن هذا التناسب قد يكون ظاهرا كما  
تقدم ، وقد يكون خفيا يحتاج الى تدبر واعمال فكر حتى يدرك ، ومن

(٢٩) بديع القرآن ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٣٠) الصبح لية ١٢ .

(٣١) لقمان آية ٢٦ .

(٣٢) المائدة آية ٣٧ .

هذا قوله تعالى « ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم » (٣٣) ، فان قوله « وان تغفر لهم » يوهم أن الفاصلة : المغفور الرحيم ، ولكن اذا انعم النظر علم انه يجب أن تكون « العزيز الحكيم » لانه لا يغفر لمن يستحق العذاب الا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه ، فهو العزيز ، لان العزيز هو الغالب ، ووجب أن يوصف بالحكمة أيضا لان الحكيم من يضع الشيء في محله ، والله تعالى كذلك . الا أنه قد يخفى وجه الحكمة في بعض أفعاله فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكمة ، فكان في الموصف بالحكيم احتراسا حسن ، أي وان تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد في ذلك ، والحكمة فيما فعلته (٣٤) .

وقوله تعالى : « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم » (٣٥) ، ختمت الآية بقوله : « وهو بكل شيء عليم » والمتبادر إلى الذهن أن تختم بالقدرة ولكن التأمل يرى أن ما ختمت به الآية هو الصواب : لان الآية تضمنت الاخبار عن خلق الأرض وما فيها على حسب حاجات أهلها ومتانهم ومضالهم ، وخلق السموات خلقا مستويا محكما من غير تفاوت ، والخالق على الوصف المذكور يجب أن يكون عالما بما فعله كلنا وجزئيا ، تجملا ومفصلا ، من ثم ختمت الآية بالعلم (٣٦) .

والثاني : أن يشتمل الكلام على معنى له وصفان ملائمان ، فيختار الأحسن فتجمل لك من تزييه . من ذلك قول المتنبى في مدح سيف الدولة :

وقفت وما في الموت شك لواقف

كأنك في جفن الردى وهو نائم

(٣٣) اللادة آية ١١٨ .

(٣٤) الايضاح ٢٢/٦ .

(٣٥) البقرة آية ٣١ .

(٣٦) معترك الأعران ٤٧/١ .



تمسرك الأبطال كلمى هزيمة  
ووجهك وضاح وثمرتك باسم

فمجز كل واحد من البيتين ملائم لكل واحد من صديريهما ، وصالح  
لان يؤلف معه ، لكنه اختار ما أورده لأمرين : أحدهما : أن قوله : كأنك  
في جفن الردى وهو نائم ، انما سيق من أجل التمثيل للسلامة في موضع  
العطب ، فجعله مقرا للوقوف والبقاء في موضع يقطع على صاحبه  
بالموت أحسن من جعله مقرا لثباته في حال هزيمة الأبطال . وثانيهما :  
أن في جعل قوله : ووجهك وضاح وثمرتك باسم ، تنمة لقوله : تمسرك  
الأبطال ، أحسن من جعله تنمة لقوله : وقفت وما في الموت شك لواقف ،  
لان الانسان في حال الهزيمة يلحقه من ضيق النفس وعبوس الوجه  
ما لا يخفى ، فلهذا الصق كل واحد منهما بما يكون فيه أكثر ملاءمة  
وأحسن انتظاما من أجل المبالغة في المعانى (٣٧) .

كما أن أبا الطيب أراد أن يقرن بين أن الردى لا نجاة منه لواقف  
وبين أن الممدوح وقف ونجا منه ، وكذا بين أن الأبطال ريعت وانهمزمت  
وأن سيف الدولة لم يبرغ ولم يزوم ، وابتسام الثغر وانبلاج الوجه  
مما يدل على عدم الروع (٣٨) . وعلى هذا فمعانيه في غاية التناسب .

وقد دافع المتنبى عن صنيعه في البيتين عندما عابهما سيف الدولة ،  
اذ قال بعد أن سمعهما : قد انتقدنا عليك هذين البيتين ، كما انتقد على  
امرىء القيس بيتساه :

كأنى لم أركب جوادا للذة  
ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

(٣٧) الططيراز ٣/٤٤٨ .

(٣٨) منهاج البلاغ ١٦١ .

ولم أسبأ الزق الروى ولم أقبل  
لخيلى كرى كرة بعد اجفسال (٣٩)

وبيتاك لا يلتئم شطراهما ، كما ليس يلتئم شطرا هذين البيتين ،  
وكان ينبغى لامرىء القيس أن يقول :

كانى لم أركب جوادا ولم أقبل  
لخيلى كرى كرة بعد اجفسال  
ولم أسبأ الزق الروى للذة  
ولم أتبطن كاعبسا ذات خلخال

ولك أن تقول :

وقفت وما فى الموت شك لواقف  
ووجهك وضاح وثرغك باسم  
تمر بك الأبطسال كلمى هزيمة  
كأنك فى جفن الردى وهو نائم

فقال الجيتبى : أيد الله مولانا ، أن صح أن الذى استدرك على امرىء  
القيس هذا يكن أعلم بالشعر منه ، فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ،  
ومولانا يعلم أن الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك ، لأن البزاز يعرف  
جملته ، والحائك يعرف جماته وتفاريقه ، لأنه هو الذى أخرجه من  
الغزلية إلى الثوبية ، وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب  
للصيد ، وقرن السماحة فى شراء الخمر للأضياف بالشجاعة فى منازلة  
الأعداء ، وأنا لما ذكرت الموت فى أول البيت أتبعته بذكر الردى ليجانس  
ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسا ، وعينه من أن  
تكون باكية قلت : ووجهك وضاح وثرغك باسم ، لأجمع بين الأضداد فى

(٣٩) سبأ الخمر : اشتراها ، والزق بكسر الزاى المشفوعة وعساء  
الخمر ، والاجفسال : الانهزام .

المعنى ، وأن لم يتسع اللفظ لجميعها ، فأعجب سيف الدولة بقوله ،  
ووصله بصلة كبيرة (٤٠) .

وبهذا بين المتنبي وجه المناسبة بين شطري ك بيت في قول امرئ  
القيس وفي قوله ، وأظهر جودة القولين ، والنتام معانيهما على النسق  
الذي وردا عليه .

وعاب بعضهم بيتي امرئ القيس السابقين ، وذكر أنه لو وضع  
عجز كل منهما مكان الآخر لكان قد جمع بين الشيء وشكله ، فذكر  
الجواد والفر والكر في بيت ، وذكر النساء والخمر في بيت . ورد  
ابن رشيق على هذا بقوله : قول امرئ القيس أصوب ، ومعناه أعرب  
وأغرب ، لأن اللذة التي ذكرها إنما هي الصيد ، ثم حكى عن شعابه  
وغشيلانه النساء ، فجمع في البيت معنيين ، ولو نظمه على ما قال للمعترض  
لنقص فائدة عظيمة وفضيلة شريفة تدل على السلطان ، وكذلك البيت  
الثاني لو نظمه على ما قال لكان ذكر اللذة حشوا لا فائدة فيه ، لأن الزق  
لا يسبأ إلا اللذة ، فإن جمل الفتوة كما جعلناها غيما تقدم الصيد ، قلنا :  
في ذكر الزق الروى كفاية ، ولكن امرئ القيس وصف نفسه بالفتوة  
والشجاعة بعد أن وصفها بالتملك والرفاهة (٤١) .

ومما مثلوا به للضرب الثاني من ائتلاف المعنى مع المعنى قوله  
تعالى : « ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ، وأنت لا تغلمأ فيها  
ولا تضحى » (٤٢) ، حيث جاء نظم الآيتين على أحسن وجه تتلأم فيه  
المعاني ، مع مراعاة تناسب المباني ، والتناسق التام بين كافة عناصر  
النظم .

(٤٠) بقيمة الدهر ٢١/١ ، ٢٢ .

(٤١) المعسدة ٢٥٨/١ ، ٢٥٩ .

(٤٢) طه آية ١١٨ ، ١١٩ .

وَعَد تَوْهَم مَتَوْهَم أَنَّهُ لَوْ قِيلَ : لَا تَجُوع وَلَا تَظْمَأُ ، وَلَا تَضْحَى وَلَا تَعْرِى . لَكَانَ ذَلِكَ جَارِيًا عَلَى مَا تَوَجَّهَ ، لِإِبْلَاغِهِ مِنَ التَّنَاسُبِ وَالْمُلَاحَظَةِ ، وَهَذَا قَصُورٌ فِي الْفَهْمِ وَجَهْلٌ بِمَوَاقِعِ الْكَلَامِ وَطَرُقِ التَّعْبِيرِ .

فَالْخَطَابُ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ جَارٍ عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي التَّعْبِيرِ ، وَفِيهِ تَنَاسُبٌ وَتِلَاوُمٌ ، فَإِنَّ الْعَادَةَ أَنْ يَقَالَ : جَائِعٌ عَرِيَانٌ ، كَمَا أَنَّ التَّنَاسُبَ ظَاهِرٌ بَيْنَ « تَظْمَأُ وَتَضْحَى » لِأَنَّ الضَّاحِيَ هُوَ الَّذِي لَا يَسْتَرُهُ شَيْءٌ عَنِ الشَّمْسِ ، وَالظَّمَأُ مِنْ تَسَانٍ مِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالَهُ (٤٣) . وَبَيْنَ الشَّهَابِ الْخَفَاجِيِّ أَنَّ التَّنَاسُبَ فِي نِظْمِ الْآيَتَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ خَفِيَ وَلَهُ جِهَاتٌ مِنْهَا : أَنَّ الْجُوعَ خَلُوَ الْبَاطِنِ ، وَالْعَرَى خَلُوَ الظَّاهِرِ ، فَكَانَهُ قِيلَ : لَا يَخْلُو الْبَاطِنُ وَالظَّاهِرُ عَمَّا يَهْمُهُمَا ، وَالظَّمَأُ يُوْرِثُ حَرَارَةَ الْبَاطِنِ ، وَالْبُرُوزُ لِلشَّمْسِ يُوْرِثُ حَرَارَةَ الظَّاهِرِ ، فَكَانَهُ قِيلَ : لَا يُمَلِّكُ حَرَارَةُ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرُ وَمِنْهَا : أَنَّ الشَّبْعَ وَالْكُنُوزَ أَصْسَلَانَ ، وَأَنَّ الرَّيَّ وَالْكَنَّ مَكْمَلَانَ ، فَالْإِمْتِنَانُ عَلَى نِظْمِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَظْهَرَ وَأَتَمَّ (٤٤) .

وَبَيْنَهُ ابْنُ أَبِي الْأَصْبَحِ ، إِنَّ مَجِيءَ الْآيَتَيْنِ عَلَى مَا تَوْهَمَهُ الْمُتَوْهَمُ يُوْدِي إِلَى فَسَادِ مَعْنَى النِّظْمِ ، لِأَنَّهُ لَوْ قِيلَ : إِنَّ لَكَ أَلَا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَظْمَأُ لَوْجِبَ أَنْ يَقَالَ : وَأَنْتَ لَا تَعْرِى فِيهَا وَلَا تَضْحَى ، وَالتَّضْحَى مَعْنِيهَا الْبُرُوزُ لِلشَّمْسِ بِغَيْرِ سِتْرَةٍ ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ التَّعْرِى ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَصْسِرُ مَعْنَى الْكَلَامِ ، وَأَنْتَ لَا تَعْرِى فِيهَا وَلَا تَعْرِى ، وَهَذَا فَسَادٌ ظَاهِرٌ (٤٥) .

وَيُرَى ابْنُ الْمُنِيرِ أَنَّ فِي الْآيَةِ سِرًّا بَدِيحًا يُسَمَّى : قِطْعُ النِّظْمِ عَنِ النِّظْمِ ، وَذَلِكَ أَنَّ قِطْعَ الظَّمَأِ عَنِ الْجُوعِ وَالضَّحْوِ عَنِ الْعَرَى مَعَ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّنَاسُبِ ، وَالْفَرَضُ مِنْ ذَلِكَ تَحْقِيقُ تَعْدَادِ هَذِهِ النِّعَمِ وَتَصْنِيفِهَا ، وَلَوْ قَرُنَ كَلَامًا بِشَكْلِهِ لَتَوْهَمَ أَنَّ الْمَعْدُودَاتِ نِعْمَةٌ وَاحِدَةٌ (٤٦) . وَالْجُزْءُ الْأَخِيرُ

(٤٣) المصنوع ٢٥٩/١ .

(٤٤) حاشية الشهاب ٢٣١/٦ .

(٤٥) بدیع القرآن ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٤٦) الاتصاف — بهامش الكشاف ٥٥٦/٢ .

من كلام ابن المنير يوهم أن نظم الآيتين لا تتساكف فيه ، وهذا مردود عليه بما سبقناه آنفا ، كما أن اقتران لا تنظماً بلا تجوع ولا تضحي بلا تعري لا يوهم أنها نعمة واحدة ، لأنها جاءت معطوفة على نمط التعداد ، والعطف يقتضى المغايرة •

ويلحق بمراعاة النظر ما يسمى « ايهام التناسب » وهو الجمع بين معنيين غير متناسبين عبر عنهما بلفظين لهما معنيان متناسبان لكنهما غير مقصودين • كقوله تعالى : « الشمس والقمر بحسبان ، والنجم والشجر يسجدان » (٤٧) ، فالمراد من النجم في الآية على الرأى المشهور ، هو ما لا ساق له من النبات كالبقول والحشائش ، وهو بهذا المعنى لا يتناسب مع الشمس والقمر ، ولكن له معنى آخر يتبادر الى الذهن وهو نجم السماء ، وهو بهذا المعنى يتناسب معها الا ان هذا المعنى غير مقصود • فالنجم يناسب ما قبله على المعنى المتباعد ، ولا يناسبه على المعنى المراد ، فسمى هذا ايهام التناسب لتخيل الوهم فيه المناسبة باعتبار ما يتبادر منه (٤٨) •

ومن هذا ترى أن بين النجم والشمس والقمر ايهام التناسب ، كما أن بين النجم والشجر مراعاة النظر ، لان النجم هو النبات الذى لا ساق له ، والشجر هو النبات الذى له ساق •

على أن بين الآيتين مناسبة أخرى قوية تصحح الوصل بينهما وهى التضاد ، باعتبار أن الشمس والقمر مخلوقان سماويان ، والنجم والشجر مخلوقان أرضيان ، وفي الآيتين امتتان بما فى السماء من منافع ، يعقبه امتتان بما فى الأرض ، وجعل لفظ « النجم » واسطة الانتقال لصلاحيته لان يراد منه نجوم السماء وما يسمى نجما من نبات الأرض كما مر (٤٩) •

(٤٧) الرحمن آية ٦ ، ٧ •

(٤٨) انظر مواهب الفتح ٣٠٤/٤ •

(٤٩) التحرير والتنوير ٢٧/٢٣٥ •

### التناسب وبلاغة الكلام :

والتناسب عنصر اساسى فى بلاغة الكلام ، وعامل قوى فى حسنة وجودته ، فالكلام البليغ ينبغى ان تاتف الفاظه ، وتتلاءم معانيه ، وينظم فى نسق يديع متلاحم الأجزاء ، متناسب الدلالات ، وبدون ذلك لا يستحق الكلام وصف البلاغة ، ولا يكون نظاما معتدا به عند البلاغيين .

فليس النظم عندهم ضم الكلمات الى بعضها كيفما جاء ، وانفق ، لكنه ترتيب الكلم على حسب ترتيب المعانى فى النفس ، فهو نظم يقوم على تناسق الدلالات وتلاقى المعانى على الوجه الذى يقتضيه العقل ، ويعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض ، حتى يكون لو وضع كل جزء منه حيث وضع علة تقتضى كونه فيه ، وحتى لو وضع فى مكان غير لم يصلح (٥٠) .

لذا رأينا النقاد يؤكدون على تناسب الالفاظ وتلاؤم المعانى ، وتيسير الكلام ويوجبون على المبدعين مراعاة ذلك فى نتائجهم الأدبية يقول ابن طباطبا : وينبغى للشاعر أن يتأمل تأليف شعره ، وتيسير أبياته ، ويقف على حسن تجاورها أو قبحة فيلائم بينها لتتنظم له معانيها ويوصل كلامه عليها ، ، ، ويختار من الجحشوا فى كل بيت ، فلا يباح كلمة عن أختها ، ولا يصجز بينها وبين تمامها بحشو يشينها ، ويتفقد كل مضراع هلا يشاكل ما قبله ، فربما اتفق الشعراء بيتان يوضع مصراع كل واحد منهما فى موضع الآخر ، فلا يتقبه على ذلك الا من حق نظره ولطف فهمه (٥١) ، وخبير بما يجب على الشاعر من تنسيق شعره على مستوى القصيدة والبيت ، بحيث تخرج القصيدة مسجعا قسيويلا متلاحم الأجزاء .

(٥٠) انظر دلائل الاعجاز ٤٩ ، ٥٠ .

(٥١) عيسار الشعر ٢٠٩ .

والشاعر عنده كناظم الجوهرة الذي يؤلف بين النفيس منها والتمين  
الرائق ولا يشين عقوده بأن يفاوت بين جواهرها في نظمها وتنسيقها ،  
فالشاعر إذا أسس شعره على أن يأتي فيه بالكلام البدوي الفصيح لم  
يخلط به الحضري المولد ، وإذا أتى بلفظه غريبة أتبعها آخراتها ، وكذلك  
إذا سهل الفاظه لم يخلط بها بالألفاظ الوحشية النافرة الصعبة القيادية ،  
وبذلك يكون شعره كالسبيكة المفرغة ، والموشى المنمنم ، والمعقد المنظم ،  
والرياض الزاهرة (٥٢) .

ومن أمارات التكلف والتعمل عند النقاد مجيء الكلام مفككا غير  
مترابط ، يقول ابن قتيبة : وتتبين التكلف في الشعر بأن ترى البيت فيه  
مقرونا بغير جاره ، ومضموما الي غير لفقته (٥٣) . وما ذاك إلا لان  
التكلف يجهد نفسه في القول دون طبع موات فتند عنه الأفكار ، وتتأبى  
عليه المعاني ، فلا يرى مامه إلا ان يتلف معنى من هنا وآخر من هناك .  
فيأتي كلامه مهلهل النسخ مفكك الأوصال .

وقد أدرك العرب بغيرتهم الصافية أن الكلام البليغ لا يكون إلا  
متلاحم الأجزاء ، مترابط المعاني . ومن ثم بادر بعض الصحابة الي  
النطق بختام آية من النظم المعجز قيل أن يسمع ختامها ، تأسيبنا على  
ما في بدايتها من معان يناسبها ويلأومها أن تختتم بما نطق به . فعن  
زيد بن ثابت قال : ألقى على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى :  
« ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين » الى قوله « خلقنا آخر » (٥٤) ،  
فقال معاذ بن جبل : فتبارك الله أحسن الخالقين ، فضحك رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، فقال له معاذ : مم ضحكك يا رسول الله ؟ قال :  
بها ختمت . (٥٥) .

- 
- (٥٢) انظر السابق ٧ - ٩ .  
(٥٣) الأشعر والشعراء ٩٦/١ .  
(٥٤) المؤمنون آية ١٢ - ١٤ .  
(٥٥) معترك الأقران ٤٠/١ .

كما اعترض بعض الأعراب على قارىء سمعه يقرأ : « فان زلتم من بعد ما جاءتكم البينات فأعلموا أن الله غفور رحيم » (٥٦) ، فقال الأعرابي — وهو لم يكن يقرأ القرآن — ان هذا ليس بكلام الله ، لان الحكيم لا يذكر الغفران عند الزل ، لانه اغراء عليه (٥٧) . وما أدرك الأعرابي خطأ القارىء الا بسليقته الخالصة التي هدته الى عدم ائتلاف المعاني وتناسب الكلام في قراءة القارىء ، ومن ثم لا يمكن ان يكون هذا من كلام الحكيم الخبير التي اعجزت بلاغته أساطين البلاغة .

وعرف قدامى الشعراء والرواة أهمية التناسب في بلاغة الكلام ، وجعلوها من مقاييس المفاضلة بين الشعر والشعراء ، وشبهوا الشعر الذي لا تأتلف أجزاءه ببعر الكباش . ويروى الجاحظ ما أنشده أبو البيداء الرياحي :

وشعر كبحر الكباش فسرقت بينه

لسان دعي في القريض دخين

ويفسر ذلك فيقول : وأما قوله « كبحر الكباش » فانما ذهب الى أن بحر الكباش يقع متفرقا غير مؤتلف ولا متجانس ، وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر . تراها متفقة ملسا ، ولينة المعاطف سهلة ، وتراها مختلفة متباينة ، ومتنافرة مستكرهة (٥٨) .

وقال عمر بن لجا لبعض الشعراء : أنا أشعر منك ، قال وبم ذاك؟ فقال : لأنني أقول البيت وأخاء ، ولأنك تقول البيت وابن عمه ، ففضل شعره على شعر الآخر لما في شعره من التناسب وتلاحم الأجزاء ، وما

---

(٥٦) البقرة آية ٢٠٩ . وصيغة الآية : « فاعلموا ان الله عزيز حكيم » .

(٥٧) معترك الاقصران ٤٠/١ .

(٥٨) البيان والتبيين ٦٧/١ .



في شعر غيره من التفكك والاضطراب . وقال عبد الله بن سالم لرؤية  
ابن العجاج : مت يا أبا الجحاف اذا شئت ، فقل رؤبة : وكيف ذلك ؟  
قال : رأيت ابنك عقبه ينشد شعرا له أعجبنى ، قال رؤبة : نعم ، ولكن  
ليس لشعره قران . يريد أنه لا يقارن البيت بشبهه (٥٩) ، فلم يستحسن  
رؤية شعر ابنه لما فيه من تباعد وعدم تلاؤم .

وفي التراث النقدي كثير من مآخذ النقد على الشعراء بسبب  
فقدان التلاؤم . وانعدام التناسب والتشاكل . فعابوا قول السموعي :

فنحن كماء المزن ما في نصابنا  
كهام ولا فينا يعد بخييل :

وقالوا ليس في قوله : « ما في نصابنا كهام » من قوله : « فنحن  
كماء المزن » في شيء ، إذ ليس بين ماء المزن والنصاب والكهوم مقاربة ،  
ولو قال : ونحن ليوث الحرب ، أو أولوا الصرامة والنجدة ما في نصابنا  
كهام ، لكان الكلام مستويا ، أو نحن كماء المزن جفاء لخلق وبذل أكف  
لكان جيدا (٦٠) .

وعابوا قون طسرفة

ولست بحلال التلاع مضافة

ولكن متى يسترفد القوم أرفد (٦١)

وقالوا : المصراع الثاني غير مشاكلي الصورة للمصراع الأول ، وإن  
كان المعنى صحيحا ، لأنه أراد : ولست بحلال التلاع مخافة السؤال ،

---

(٥٩) الشعر والشعراء ١/٩٦ .  
(٦٠) الصناعتين ١٠٨ . والكهام : من كهم الرجل كهمامة اذا ضعف  
ووجب عن الأقدام التي ليس فيها رجل ضعيف .  
(٦١) التلاع : جمع طاعة وهي ما ارتفع من الأرض وما انهبط أيضا .

ولكنى أنزل الأمكنة المرتفعة ، لينتابوني فأرغدهم ، وهذا وجه الكلام ، فلم يعبر عنه تعبيراً صحيحاً ، ولكنه خلط وحذف منه حذفاً كثيراً فصار كالمتنافر (٦٢) .

وعاب « نصيب » على الكميت قوله :

أم هل ظمائن بالعلياء نافعة  
وان تكام فيهما الدل والشنب

وقالوا له : لقد تباعدت في قولك « الدل والشنب » هلا قلت كما قال ذو الرمة :

لياء في شفيتها حسوة لفس  
وفي اللثات وفي نياها شنب (٦٣)

يريد أن الكميت جمع بين الدل والشنب ولا مناسبة بينهما ، فالدل من الدلال والتدل وهو وصف لهيئة المرأة وحسن حديثها . والشنب رقة وبرد وعذوبة في الأسنان ، بينما أتى ذو الرمة بأوصاف من وأد واحد تتصل بالثغر والشفقتين . قال المبرد : والذي عابه نصيب من قوله : تكامل فيها الدل والشنب ، قبيح جدا ، وذلك أن الكلام لم يجر على نظم ، ولا وقع إلى جانب الكلمة ما يشاكلها ، وأول ما يحتاج إليه القسوس أن ينظم على نسق ، وأن يوضع على رسم المشاكلة (٦٤) .

وعابوا على أبي نواس قوله :

وقد حلفت يميناً  
برب زمزم والمو  
مبسورة لا تكذب  
ض والصفيا والمحصب

(٦٢) السيلقي ١٠٨ .

(٦٣) لياء : من اللير وهو سمرة الشفتين ، والحوة : حمرة ضلوية إلى السواد ، واللصع سمرة في الشفة مستحسنة .  
(٦٤) الكامل ١٢٠/٢ ، وأنظر الموشح ١٧٦ .

حيث ذكر الحوض مع زمزم والصفاء والمحصب (٦٥) ، وهو  
لا يأتلف معها ، وإنما يتناسب مع ما هو من مشاهد القيامة كالميزان  
والصراط وغيرهما ، وأما زمزم والصفاء والمحصب فيذكر معها الركن  
والحطيم وما جرى مجراهما (٦٦) .

وجعل بعضهم مما يخل بالتناسب أن يأتي المتكلم بأمر متناسبة  
ولا يوحد بينها في الهيئة والصيغة ، فيكون بعضها مفردا وبعضها مثنى  
أو مجموعا ، ومالي ذلك كقول الشاعر :

إلا يا بن الذين هـنـوا وماتوا  
أما والله ما ماتوا لتبقى  
ومالك فاعلمن فيها بقـاء  
إذا استكملت آجالا ورزقا

فجمع الأجل وأفرد الرزق ، وهما متناسبان لا يوجد أحدهما بدون  
الأخر وكان الأولى أفراد الأجل كالرزق (٦٧) . قال ابن الأثير : وقد  
زاده انكارا أنه جمع الأجل فقل آجالا والإنسان ليس له إلا أجل واحد ،  
ولو قال آجلا وأرزاقا لما عيب ، لأن الأجل واحد والأرزاق كثيرة لاختلاف  
ضروبها وأجناسها (٦٨) . وعلى هذا فلو جمع الشاعر الأرزاق كالأجال  
لكان البيت معيبا أيضا لأن الأجل واحد ، ولا يسلم البيت من المآخذ  
إلا بأفراد الآجال .

وكقول الأعشى :

تقول بنتى وقد قربت مرتصلا  
يا رب جنب نبي الاتلاف والوجع

(٦٥) فلحصب : موضع رمى الجمار بمنى .

(٦٦) المثل السائر ٢٨٨ .

(٦٧) شرح عقود الجنان ٨٨/٢ ، ٨٩ .

(٦٨) المثل السائر ٢٨٩ .

فالاتلاف والوجع متناسبان في المعنى ، ولكن الشاعر لم يوحد بينهما في الصيغة ، والذي يوجبه نسج الشعر أن يقول : يا رب جنب أبى الاتلاف والأوجاع ، أو التلف والوجع (٦٩) .

والصحيح أن الاختلاف في الصياغة لا يعد عيبا على الإطلاق ، بل يكون عيبا إذا جاء متكلفا من أجل الوزن أو القافية أو السجع ، وخلا من سر بديع أو معنى لطيف يرشح وجوده في الكلام ، ومن ثم نسراه واقعا في القرآن الكريم الذي هو معيار البلاغة مشيرا إلى لطائف تدرك بالتأمل وانعام النظر ، من ذلك قوله تعالى : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم » (٧٠) ، فالقلب والسمع والبصر أمور متناسبة ، ووحد السمع دون القلوب والأبصار ، لانه في الأصل مصدر والمصدر لا تجمع ، ولأمن من اللبس ، والاختصار ، والتفنن في التعبير ، مع الإشارة إلى أن مدركاته نوع واحد ، ومدركاتهما أنواع مختلفة (٧١) . وقوله تعالى : « كتاب أنزلناه إليك لتفخرح الناس من الظلمات إلى النور » (٧٢) ، وحد النور وجمعت الظلمات ، وفي هذا إشارة إلى وحدة الحق واستقامة طريقته ، وتعدد فنون الضلال وتشعب طرقه .

ومما سبق ترى أن التناسيب أمر ضروري في بلاغة الأساليب ، وأن الأسلوب البليغ تتلاءم ألفاظه وتتناسب معانيه ، ويكون منظوما على نسق مؤتلف في شكله ومضمونه .

(٦٩) عيار الشعر ١١٩ ، ١٢٠ .  
(٧٠) البقرة آية ٧ .  
(٧١) الكشاف وحاشية السيد عليه ١/١٤٤ .  
(٧٢) إبراهيم آية ١ .

## الارصاد أو التسهيم

وهما مصطلحان يطلقان على لون بديعى واحد ، تعريفه عند الخطيب : أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عرف الراوى (١) . والارصاد لغة : نصب الرقيب في الطريق ليذل عليه ، والتسهيم : جعل الثوب ذا خطوط كأنها فيه سهام . والرقيب يدل على الطريق وعلى ما فيه ، والخطوط تدل على ما يليها لكونه متفتتا معها ومثابها لها ، ومن هنا تأتي المناسبة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى .

وقدامة يسمى هذا اللون التوشيح ، وعلى هذه التسمية مضى العسكري (٢) ، وبعض المتأخرين يفرقون بينهما فالتوشيح عندهم مختص بما يدل على القافية في الشعر أو السجع في النثر ، والتسهيم تارة يدل على عجز البيت ، وتارة يدل على ما دون العجز ، فحده : أن يتقدم من الكلام ما يدل على ما يتأخر منه (٣) . وبذلك يكون التسهيم أعم من التوشيح .

### والارصاد أو التسهيم قسمان :

الأول : أن تكون دلالة المتقدم على المتأخر دلالة لفظية ، كما في قوله تعالى : « وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » (٤) . فقوله « ليظلمهم » ارصاد لفظى إذ يفهم منه أن عجز الآية من مادة الظلم ، إذ لا معنى لقولنا مثلا : وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أو يظلمون من الهلاك أو نحو ذلك .

(١) الايضاح ٢٥/٦ . والعجز : آخر كلمة من الفقرة أو البيت ، والروى : الحرف الذى تجيء عليه أو آخر الابيات أو النثر .  
(٢) انظر نقد الشعر ١٦٧ ، والصناعتين ٣٠٢ .  
(٣) انظر بديع القرآن ٦٠ ، ١٠٠ ، وخزانة الالفب ٣٠٣/٢ .  
(٤) العنكبوت آية ٤٠ .

ومنه قوله تعالى : « وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لغضى بينهم فيما فيه يختلفون » (٥) . فقوله « فاختلفوا » ارساد لفظى لانه يدل بلفظه على أن العجز من مادة الاختلاف .

وقوله تعالى : « قل الله أسرع مكرًا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون » (٦) ، فان « مكرًا » يدل على أن عجز الآية من مادة المكر .

ومن هذا قول زهير :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش  
ثمانين حولا لا أبالك يسأم

فقوله « سئمت » ارساد يدل بلفظه على أن القافية من مادة السأم ، ونحوه قول الأخضر :

إذا لم تستطع شيئًا فدعه  
وجساوزه الى ما تستطيع

والارصاد في قوله « إذا لم تستطع » ، وهو يدل بلفظه على أن عجز البيت من مادة الاستطاعة .

والثاني : أن تكون دلالة المتقدم على المتأخر دلالة معنوية ، كقوله تعالى : « ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين » (٧) ، فان « اصطفى » يدل على أن الفاصلة « العالمين » وهى دلالة ليست لفظية لان اللفظين مختلفان ، ولكنها دلالة معنوية ، فان من لوازم اصطفاء الشيء أن يكون مختارا على جنسه ، و« جنس هؤلاء

(٥) يونس آية ٩٢ .

(٦) يونس آية ٩٢ .

(٧) آل عمران آية ٣٣ .

المحطفين هو العالمون (٨) • وقوله تعالى : « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون » (٩) ، فان انسلخ النهار من الليل يعلم منه الاظلام ، لان من انسلخ النهار عن ليله دخل في للظلمات (١٠) •

ومن هذا قول جنوب أخت عمرو ذي الكلب :

فأقسم يا عمرو لو نبهاك  
إذا نبها منك داء عضالا

فان الحدائق بمعانى الشعر وتأليفه يعلمون أن معنى قولها « فأقسم يا عمرو لو نبهاك » يقتضى أن يكون تمامه « إذا نبها منك داء عضالا » دون غيره من القوافي ، كما لو قلت مكان « داء عضالا » « لينا غضوبا » أو « أفعى قتولا » أو ما ناسب ذلك ، لان الداء العضال أبلغ من هذه الأشياء جميعها وأشد اذ كل منها يمكن مغالبتة و التوكى منه ، والداء العضال لا دواء له (١١) •

### الارصاد وبلاغة الكلام :

والارصاد لون بديعى له أثر جليل فى بلاغة الأسلوب ، فهو يؤدي الى تقوية سبكه ، وترابط أجزائه ، وتماسك لبنائه ، اذ اللفظة فيسه تقتضى ما بعدها ، وينبىء مبتدؤه عن مقطعه ، ويخبر أون بأخيره ، ويشهد صدره بمعجزه • والنقاد يرون أن خير الكلام ما دل بعضه على بعض ، وأخذ بعضه برقاب بعض ، وخير الشعر ما تسليق بسدوره وأعجازه ، ومعانيه وألفاظه ، فتراه سلسا فى النظام ، جاريا على اللسان ، لا يتنافى ولا يتنافر ، كأنه سبيكة مفرغة ، أو وشى منمنم ، أو عقد منظم من جوهر متشاكل ، ألفاظه مطابقة ، وقوافيه متوافقة ، ومعانيه متعادلة

(٨) انظر شرح عقون الجبلان ١٠/٢ •

(٩) يس آية ٣٧ •

(١٠) انظر بديع القرآن ٩١ •

(١١) حسن التوسل ٢٦٦ •

كل شيء فيه موضوع في موضعه ، وواقع موقعه • وخير أبيات الشعر ما إذا سمعت صدره عرفت قافيته ، قال ابن نباتة السعدي :

خذها إذا أنشدت في المقوم من طرب  
صدورها عرفت منها قوافيها (١٢)

ومن ثم كان أحسن الارصاد ما كان معه من التشاكل وتآخي الألفاظ ما يسهل استخراج القافية أو الشطر بكامله ، أو كان مطردا منعكسا ، لدلالة أوله على آخره ، ودلالة آخره على أوله ، فمن الأول قول البحتري :

أحلت دمي من غير جرم وحرمت  
بلا سبب يوم اللقاء كلامي  
فليس الذي حلت به بمحسب  
وليس الذي حرمت به بحرام

فالتسليم في البيت الثاني ، وقد بلغ هذا البيت من التشاكل والتناسب حدا كبيرا ، وذلك أن من سمع النصف الأول منه عرف الأخير بكامله • ومن الثاني قول أبي نواس :

فما جازه جود ولا حصل دونه  
ولكن يصير الجود حيث يصير

لأنه متى اتفنى كون الجود يتقدم شخصنا أو يتأخر عنه فقد ثبت كونه معه وبالعكس (١٣) •

ويجانب ما للأرصاد من أثر قوي في ربط الأسلوب وقوة صياغته ترى فيه لونا من التأكيد ، فحين ينصب المتكلم في صدر كلامه ما يدل على

(١٢) الصناعتين ٣٠٢ ، ومنهاج البلغاء ٢٢٤ ، والمثل الستار ٣٠٦ ،  
والموازنة ٢٩٣/١ .  
(١٣) المصباح ١٩٩ ، ٢٠٠ .



عجزه يؤهل الملقى بذلك لما سيأتى من كلام ، فاذا ما ورد عليه دخل على ذهنه دخول المأنوس والمألوف ، فاستقر فيه وتمكن .

وبلاغة الارصاد تتوقف على مجيئة سلسا مطبوعا لا تكلف فيه ولا تعمن ، غير مؤد الى التنافر والمعاطلة فى الكلام ، وترى الارصاد البليغ واضحا فيما سقناه من أمثلة ، كما تراه فى نماذج بحرى من جيد التصدير، ومنها قول ابن الدمينسة :

وكونى على الواشين لداء شعبة  
كما أنا بالواشى ألد شغوب  
وكونى اذا مالوا عليك صليبة  
كما أنا ان مالسوا على صليب

فالببيتان مسهمان ، حيث دل اول كل منهما على آخره دلالة واضحة، من غير تكلف ولا تصنع . ومن جيد التسهيم قول الشاعر :

ولو أننى أعطيت من دهرى المنى  
وما كل من يعطى المنى بمسدد  
لقلت لأيام مضين : ألا ارجعى  
وقلت لأيام أتين : ألا ابعدى (١٤)

فالتسهيم فى البيت الثانى ، وقد جاء سلسا طيعا متوشحا بالمقابلة . فان جاء الارصاد متكلفا أو ترتب عليه تنافر فى الكلام كان معيبا ، كما فى قول أبى تمام :

صارت الكرمات بزلا وكانت  
أدخلت بينها بنات مخاض (١٥)

---

(١٤) العمدة ٣٤/٢ .

(١٥) البازل من الأبل ما دخلت فى التاسعة ، وبنات المخاض ما دخلت فى الثانية .

فقوله « بزلا » ارماد دُنْ على قوله « بنات مخاض » ، ووصف  
المكرمات بهذه الصفة قبيح ، فوق ما في البيت من تكلف الجمع بين البزل  
وبنات المخاض من أجل التشاكل والتلوين البيديعى •

وكما في قول المتنبي :

فقلقت بالهم الذى قلقت الحشا  
قلاقل عيس كلهن قلاقل

فقوله « قلاقل عيس » ارماد دُنْ على عجز البيت ، وقد ترتب  
عليه وجود تنافر الكلمات في البيت ، فصار معيبا •

## المزاوجة

وهي لغة المقارنة والمثابفة ، يقال : ازدوج الكلام وتزاوج : أشبه بعضه بعضا في السجع أو الوزن ، أو كان لأحسدي القضيتين تعلق بالأخرى (٢) . وفي اصطلاح البلاغيين : أن يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء . أي يجعل معنيان واقعان في الشرط والجزاء مزدوجين في أن يرتب على كل منهما معنى مرتب على الآخر (٣) . والأوضح في تعريفها أن يقال : هي ترتيب فعل واحد مختلف المتعلق على شرط وجزائه (٤) .

من ذلك قول البيهقي :

إذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى

أصاغت الي الواشي فلج بها الهجر (٤)

أي : إذا نهى الناهي عن حبهما فترتب على النهي اشتداد الهوى بي وملازمته لي ، استتمت الي الواشي فترتب على استماعها لزوم الهجر واشتداد القطيعة . فزاوج بين الشرط والجزاء في أن ترتب على كل منهما لجاج في شيء ، فنهى الناهي الذي هو الشرط ترتب عليه اللجاج في الهوى ، والأصاغة الي الواشي الذي هو الجزاء ترتب عليه اللجاج في الهجر .

وفي ترتيب لجاج الهوى على نهى الناهي مبالغة في اظهار حبه لها وتعلقه بها ، إذ كلما عوتب فيه ونهى عنه ازداد منه واشتد فيه كما قال القائل :

- 
- (١) لسان العرب مادة : زوج .
  - (٢) المختصر ٣١٦/٤ .
  - (٣) المعجم الوسيط مادة : زاج .
  - (٤) لج به : اشتد به ولزمه . أصاغت : استتمت ، الواشي : الإنمام الذي يفسد بين الناس وخصوصا المحبين .

أجد الملامة في هجواك لذيفة  
حيثما أذكرك فليمنى اللسوم

وفي ترتيب لزوم الهجران علي وشي الواشي مبالغة في وصفها  
بالدلال والتمنع ، فمجرد الوشاية تبعثها على الهجر ، فكيف لو رأت عبداً ؟  
وكل مبالغة منهما مستثناة في بابها (٥) .

ومن هذا قوله أيضاً :

إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها

تذكرت القربى ففاضت دموعها (٦)

أي إذا تحاربت الفرسان وتقاتلوا فترتب على هذا فيضان دماؤها  
التي سكبت في القتال ، تذكرت ما بينهم من القرابة الجامعة لهم فترتب  
على ذلك فيضان دموعها باشفاقاً على من قتل (٧) . فزواج بغير الشرط  
والجزاء في أن ترتب على كل منهما فيضان شيء ، فالاحتراب الذي هو  
الجزاء ترتب عليه فيضان الدموع .

ومن هذا قول الشاعر :

إذا ما بدت فازداد مني جمالها

نظرت لها فازداد مني غرامها

فجمع بين الشرط والجزاء في لزوم الازدياد ، ورتب على البدوي وهو  
الشرط ازدياد الجمال ، ورتب على النظر وهو الجزء ازدياد الغرام .

(٥) مواهب الفتاح ٣١٨/٤ .

(٦) احتربت : تحاربت ، والضمير يعود إلى فرسان هيجاء في البيت  
قبل السابق .

(٧) أنظر حاشية الدسوقي ٣١٨/٤ .

ومنه قسوت الشاعرا :

رب سساق كانه غصن بان  
طاب فى روضة الملاحة غرسا  
واذا ما بدى فأخجل بدرا  
لمعت كأسه فأخجل شمسا

فزاوج بين بدوه ولمعان كأسه فى أن رتب عليهما ايقاع الخجل على  
شئ ، فبدوه يخجل البدر ، ولمعان كأسه يخجل الشمس .

وجمهور البلاغيين يقصرون هذا اللون على المزاوجة بين الشرط  
والجزء فى ترتيب فعل عليهما اقتداء بالشيوخ عبد القاهر (٨) . وفكر  
السيوطى أن المزاوجة تكون فى الشرط والجزء أو ما جرى مجراها ،  
ومثل الذى جرى مجرى الشرط والجزء بقوله تعالى (٩) : «واتل عليهم نبأ  
الذى آتيناها آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين » (١٠) ،  
فى الآية الكريمة مزاوجة بين اتيان الآيات واتباع الشيطان فى ترتيب  
شئ واحد عليهما وهو الغواية ، مع مراعاة أن الانسلاخ من الآيات لون  
من ألوان الغواية .

### بلاغية المزاوجة :

والمزاوجة من الألوان البديعية التى تسهم فى ربط الكلام ، واحكام  
صياغته ، وجمع بعضه آخذا بأعناق بعض ، ويتحقق ذلك فيها عن  
طريقتين :

الأول : قيامها على الشرط والجزء ، وهما مرتبطان ارتباطا وثيقا ،  
فهما جملة واحدة لا يتم مفهومها ولا تتحقق فائدتها الا بتمامها .

(٨) انظر دلائل الاعجاز ٩٣ .

(٩) الاعراف آية ١٧٥ .

(١٠) معترك الأقران ٤١١/١ ، ٤١٢ .

والثانى : ربط كل من الشرط والجزاء بفعل واحد ، مما يزيد من تلاحم الكلام ويقوى من ارتباطه .  
والمزوجة لورق دقيق من النظم يحتاج الى تأمل ومراجعة حتى يأتى على صورته المحكمة ، وهى بهذا تعد نمطا عاليا من الكلام ، وفنا متميزا منسب .

وقد جعلها الشيخ عبد القاهر من النظم الذى يتحد فى الوضع ويدق فيه الصنع ، ومهد للحديث عنها بقوله : واعلم أنه مما هو أصل فى أن يدق النظر ، ويغمض المسلك فى توخى المعانى التى عرفت : أن تتحد أجزاء الكلام ، ويدخل بعضها فى بعض ، ويشترك ارتباطا ثانويا بآول ، وأن تحتاج فى الجملة الى أن تضمنها فى النفس وضعا واكدا ، وأن يكون ذلك فيها كأن البانى يضع بيمنه ههنا فى خال ما يضع بيساره هناك . . . . .  
وبين أن هذا يجيء على وجوه ثلثى ، ومنها المزوجة بين معنيين فى الشرح والجزء ( ١١ ) .

ومن هذا يقين لنا أهمية المزوجة فى بلاغة الكلام ، وأحكامها صنعتها واعلاء شأن نظمها .

## السجع

فن اسلوبى اشتهر في الأدب العربى ، وشاع على السنته الفصحاء قديما وحديثا ، وهو مأخوذ من سجع وفي هذه المادة دلالة على الاستواء والاستقامة والمساوية . يقال : سجع يسجع سجعا ، أى استوئى واستقام وأتسبه بعضه بعضا . وسجع الحمام : يدل على طريقة واحدة ، وسجع له سجعا : قصد ، وأصل السجع القصد المستوى على نسق واحد (١) .

والسجع في اصطلاح البلاغيين : تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد (٢) . أى أن تتفق الكلمتان الواقعتان في نهائية جملتين في الحرف الأخير منهما ، وبذلك يتم التشابه والتناسب بينهما .

ويطلق السجع أيضا على نفس الكلمة التي تتفق مع الأخرى في حرفها الأخير ، ويقال لها سجمة ، وجمعها سجمات . وفي السجع مصطلحات ينبغى الوقوف عليها وهى :

١ - القرينة : وهى القطعة من الكلام المزوجة للأخرى ، وتسمى الفقرة كذلك .

٢ - الفاصلة : وهى الكلمة الأخيرة في القرينة أو الفقرة .

٣ - التقفية : وهى توافق الفواصل في الحرف الأخير .

٤ - الروى : وهو الحرف الأخير في الفاصلة ، وهذه التسمية مأخوذة من روى القصيدة ، وهو الحرف الذى تبني عليه القصيدة وتسمى اليسته .

فقول قس بن ساعدة : من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما

(١) لسان العرب مادة : سجع .

(٢) الايضاح ١٠٦/٦ .

هو آت آت • يشتمل على ثلاث جمل ، كل جملة منها تسمى قرينة أو  
فقرة ، والكلمة الأخيرة في كل قرينة تسمى فاصلة ، وحرف التساء في  
نهاية كل فاصلة هو الروى •

والفواصل في السجع تكون ساكنة الروى موقوفا عليها بالمسكون  
حتى يظهر التناسق الصوتى في السجع ، فلو وصل الكلام المسجوع  
ببعضه وحرك روى الفواصل بحركات الاعراب فانت الخاصية الصوتية  
للسجع •

### اقسام السجع :

والسجع باعتبار اتفاق الفاصلتين أو اختلافهما في الوزن والتقفية  
على ثلاثة أقسام : المطرف ، والمرصع ، والمتوازى •

فالمطرف : ما اتفقت فيه الفاصلتان في التقفية ، واختلفتا في الوزن  
كما في قوله : « ما لكم لا ترجون لله وقارا ، وقد خلقكم أطوارا » (٣) ،  
فوقارا وأطوارا فاصلتان متفقتان في التقفية إذ تنتهيان بحرف الراء ،  
ومختلفتان في الوزن ، والمعتبر في الوزن ، الوزن العروضى الذى لا ينظر  
فيه الى اتحاد الحركة ، ولا لكون الحرف أصليا أو زائدا ، بل ينظر فيه  
الى مقابلة متحرك بمتحرك وساكن بساكن ، وليس المعتبر الوزن الصرفى  
الذى يقوم على مزاعة نوح الحركة والأصلى والزائد (٤) •

وقيل لأجرايين ما خين العنيد ؟ قاله : ما اخضر عوده ، وطان خموده ،  
وعظم عنقوده • فالفواصل الثلاث تتفق في التقفية وتختلف في الوزن •  
ومن هذا قول الحريرى : ولا يخفق أهل القبور ، سوى العمل المجرور ،

(٣) نوح آية ١٣ ، ١٤ •

(٤) حاشية السوسى ٤/٤٤٨ •



فطوبى لمن سمع ووعى ، وحقق ما ادعى ، ونهى النفس عن الهوى ، وعلم  
ان الفائز من ارعوى (٥) .

وسمى هذا اللون مطرفا لان الاتفاق بين الفاصلتين واقع في طرفيهما  
وهو الحرف الأخير منهما المعروف بالروى . وقيل غير ذلك (٦) .

والمرصع : ما اتفقت فيه الفاصلتان في الوزن والتقفية مع اتفاق  
باقي الفاظ القرينتين أو اكثرها في الوزن والتقفية كذلك . كقول  
الحريري : فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ، ويقرع لأسماع بزواجر  
وعظه . فكل الفاظ القرينتين تتفق في الوزن والتقفية . ومثله قول أبي  
الفضل الهمداني : ان بعد الكبر صفوا ، وبعد المطر صحوا . وقول  
أبي الفتح البستي : ليكن اقدامك توكللا ، واحجامك تأملا . وقول  
الصاحب : لكنه عمد للشوق فأجرى جياده غرا وقرحا (٧) ، وأورى  
زناده قدحا فقدحا . وهذا المثال مما أكثر الفاظه متفقة في الوزن  
والتقفية .

وهذا النوع اذا سلم من التكلف والاستكراه فهو أحسن وجوه  
السجع (٨) ، لظهور التناسب التام بين جميع الفاظه مما يجعل له جملا  
موسيقيا أخذا ، وسمى مرصعا تشبيها له بالعقد المرصع وهو ما يجعل  
فيه إحدى اللؤلؤتين في مقابلة الأخرى مثلها .

والمتوازي : ما اتفقت فيه الفاصلتان وزنا وتقفية كقوله تعالى :  
« فيها سرر مرفوعة ، وكواكب مرفوعة » (٩) ، فالفاصلتان « مرفوعة

---

(٥) شرح المسلمات ١٧٢/٢ .  
(٦) انظر مواهب الفتاح ٤٤٧/٤ .  
(٧) أنغر : جمع أنغر وهو الحصان الذي يكون في وجهه بياض ،  
والقرح : جمع أقرح ، وهو ما كان في وجهه بياض دون الفرة .  
(٨) انظر الصناعتين ٢٠٢ .  
(٩) الفرائد ١٤٠ ، ١٤١ .

و موضوعة « متفقتان في الوزن والتقفية » ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « اللهم انى أدرا بك في نحورهم ، وأعوذ بك من شرورهم » .  
ومنه قول الحريري : تبصر العواقب ، يؤمن المعاطب ، وقبح الجفاء ،  
ينافى الوفاء (١٠) . وسمى هذا النوع متوازيا لتوازي الفاصلتين  
وتوافقتهما وزنا وتقفيصة (١١) .

وتختلف فقر السجع طولا وقصرا ، فمنها القصيرة كما في قوله تعالى : « يا أيها المدثر ، قم فأندر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز  
فاهجر » (١٢) ، ومنها المتوسطة كما في قوله تعالى « اقتربت الساعة  
وانشق القمر ، وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ، وكذبوا  
واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر » (١٣) . ومنها الطويلة كما في قوله  
تعالى : « اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو رآكهم كثيرا لفشتلتم  
ولتتازعتن في الأمر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور ، واذ يريكهم  
اذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضى الله أمر كان مفعولا  
والى الله ترجع الأمور » (١٤) .

### السجع والشعر :

وجمهور البلاغيين يرون أن السجع مختص بالنثر ، وبعضهم يجعله  
غير مختص به فهو موجود في الشعر ومنه قول أبي تمام :

تجلى به ترشندى ، وثمرت به يدى

وغافق به غمضى ، وأورى به زندقى (١٥)

(١٠) شرح القامات ١/٢٩٩ .

(١١) مواهب الفتح ٤/٤٤٨ .

(١٢) المدثر آية ١ - ٥ .

(١٣) القمر آية ١ - ٣ .

(١٤) الأنفال آية ٤٣ ، ٤٤ .

(١٥) اثرت : صارت ذا ثروة ، والثند بكسر الهمزة القليل .

والورى : خروج النار من الزند ، والجملة كناية عن نيل المراد .

ففى البيت أربع سجمات مؤنوفة على الدال •

والسجع فى الشعر له أنواع منها :

التشطير : وهو جعل كل شطر من البيت على سجتين مخالفتين لما

فى الشطر الآخر • كما فى قون أبى تمام :

تدبير معتصم ، بالله منتقم

له مرتسب فى الله مرتسب

وقول مسلم بن الوليد :

موف على مهج ، فى يوم ذى رهج

كأنه أجب ، يسعى الى أمل

وقول البوصيرى فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم :

كالبدر فى شرف ، والزهر فى ترف

والبحر فى كرم ، والدهنر فى همم

٢ — التصريع : وهو جعل العروض مقفأة تقفية الضرب ، ويكثر فى

مطالع القصائد ، كقول امرئ القيس :

فإنبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وقول كعب بن زهير :

بانت سعاد فقلبن اليوم متبول

متيم أثرها لم يقد مكبول

وقول ثبوقى :

ريم على القاع بين البان والعلم

أهل سفك حتى فى الإسم الخرم

وتحدث ابن الاثير عن التصريح ، وذكر انه في الشعر بمنزلة السجع في النثر ، ومأثدته الدلالة ، على قافية اتقصيدة قبل كمال البيت الأول منها ، وفيه دلالة على سعة القدرة في أفانين الكلام ، ويجعله سسبع مراتب ، لا مجال للاطالة بذكرها (١٦) .

٣ - التسميط : وهو مثل التشطير الا أن السجعة الأولى من الشطر الثاني توافق السجعتين اللتين في الشطر الأول كقول صفي الدين الحلبي :

فالحق في لفسق ، والشرك في نفاق

والكفر في فرق ، والدين في حرم

وقول الخنساء :

حمل أويبة ، هباط أودية

شهاد أندية ، للجيش جرار

### السجع في القرآن الكريم :

ذهب بعض العلماء الى نفي السجع عن القرآن الكريم ، وذكروا أن ما جاء فيه على صورة السجع إنما هو فواصل وليس بسجع ، ومن حججهم في ذلك : أن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ ، وهذا تلب ما توجبه الحكمة في الدلالة ، فهو عيب ، أما الفواصل فيتبع اللفظ فيها المعنى ، فهي بلاغة وحكمة لأنها طريق الى تفهام المعاني التي يحتاج اليها في أحسن صورة يدل بها عليها (١٧) .

كما أن السجع مما كان يلقفه الكهان من العوذب ، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر ، لأن الكهانة تنفي النبوات ، وليس كذلك الشعر . وقد ذم الرسول صلى الله عليه وسلم السجع عندما جاءه

(١٦) المثل السائر ١٨ ، وظنوا البيان ٤٢٩ .

(١٧) التكت في اعجاز القرآن ١١١ ، ١١٢ .

الذين كلموه في شأن الجنين وقالوا : كيف ندى من لا شرب ولا أكل ،  
ولا صاح فاستهل ، أليس دمه قد يظل ؟ فقال : أسجاعة كسجاعة  
الجاهلية ، وفي رواية أسجما كسجم الكهان ؟ وبهذا كان السجع  
مذموماً (١٨) .

وبعض العلماء يرون أن السجع موجود في القرآن الكريم ، وأن  
السجع ليس مذموماً على إطلاقه ، بل منه نوع مذموم وهو التكلف  
المرفول الذي يكون المعنى فيه تابعا للفظ ، والقرآن الكريم منزّه عن  
هذا النوع ، ومنه نوع محمود وهو السجع البليغ الذي تأتي الألفاظ  
فيه تابعة للمعاني ، وهذا هو الموجود في القرآن الكريم ، وقد وصل فيه  
درجة الإعجاز (١٩) .

والاستدلال بحديث الجنين على ذم السجع استدلال فاسد لأن  
النبي صلى الله عليه وسلم لو أراد ذم السجع على الإطلاق لقال :  
أسجما ؟ وإنما قال : أسجما كسجم الكهان ؟ فدل ذلك على أنه أنكر  
تشادق هؤلاء القائلين بالسجع ، ومحاولتهم دفع حق وجب عليهم بطريقة  
الكهان في الجاهلية ، وكيف يذم النبي السجع وكثير من كلامه مسجوع  
من غير تكلف ولا تمعد ، وقد بلغ فيه أعلى درجات البلاغة البشرية (٢٠) .

وقد أجمع البلاغيون والنقاد على أن السجع من وجوه البديع التي  
يتميز بها الكلام إذا جاءت غير متكلفة ، والسجع المنصود من أمارات  
الفصاحة التي يقصد اليها أعلام البلاغ في بعض كلامهم ، فكيف نجد  
القرآن الكريم منه وننقيه عنه ، مع ادعائنا أنه قد اشتمل على أنواع  
البلاغة والفصاحة (٢١) .

(١٨) انظر أعجاز القرآن ٥٧ — ٦٢ .

(١٩) انظر سر الفصاحة ١٦٥ .

(٢٠) انظر المثل السائر ٧٥ ، ومقدمة تحقيق أعجاز القرآن ٧٥ .

(٢١) مقدمة تحقيق أعجاز القرآن ٧٧ .

ولعل الذي دعا بعض العلماء إلى نفي السجع عن القرآن الكريم وتسمية ما جاء على صورته فواصل ، رغبتهم في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم ، وهذا غرض قريب يتعلق بالتسمية ، ولا يؤثر في جوهر القضية ، إذ الحقيقة بأن السجع موجود في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ، بن أن بعض السور قد جاءت كلها مسجوعة على حرف واحد - تقريباً - كسورة النجم وسورة القمر ، وسورة الزكوة ، وسواء سمي هذا بالسجع أو بالفواصل فالحقيقة موجودة ، ولا مشاحة في الاضطلاع ، والذي ينبغي أن يؤكد عليه ، أن كل ما جاء من السجع في القرآن الكريم فهو من الطبقة العليا في الفصاحة والبلاغة (٢٢) .

وما دام الحديث قد تطرق إلى الفاصلة فينبغي أن تعلم أن الفاصلة القرآنية لها عدة تعريفات أشهرها : أنها آخر كلمة في الآية (٢٣) .

والفواصل القرآنية أعم من السجع حيث لا يشترط فيها التماثل في المقطع لذا فهي تنقسم إلى متماثلة ومتقاربة ، فللتماثلة ما اتحدت حروف مقطعاتها كقوله تعالى : « طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشتم ، إلا تذكرة لمن يخشى ، تنزيلاً من خلق الأرض والسماوات الطوى ، الرحمن على العرش استوى » (٢٤) ، وقوله تعالى : « والعاديات ضباباً ، فالأورق طيب المقطع ، فالنور انصبها ، فأثرون به نقماً ، فوسطن به جمعاً » (٢٥) .

والمتقاربة ما تقاربت حروف مقاطعها كقوله تعالى : « الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم » (٢٦) ، وقوله تعالى : « وآتيناها الكتاب

(٢٢) انظر ص الفصاحة ١٦٦ ، والبدیع من المعاني والألفاظ ١٢٩ .

(٢٣) البرهان ٥٣/١ ، وانظر الفاصلة في القرآن ٢٠٢ - ٢٠٠ .

(٢٤) طه آية ١ - ٥ .

(٢٥) العاديات آية ٥ من قمر .

(٢٦) الفتح آية ٢ .

المستبين ، وهديتاهما الصراط المستقيم » (٢٧) •

وتنقسم الفواصل من ناحية أوزن والتفنية الى متوازية ، ومطرفة ، ومتوازنة ، فالمتوازية : ما اتفقت في الوزن والمقطع كقوله تعالى :  
« فأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر » (٢٨) •

والمطرفة : ما اتفقت في المقطع لا في الوزن ، كقوله تعالى : « ألم نجعل الأرض مهادا ، والجبال أوتادا » (٢٩) ، وقوله تعالى : « ان المتقين في جنات ونهر ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر » (٣٠) •

والمتوازنة : ما اتفقت في الوزن دون المقطع ، كقوله تعالى : « يوم تكون السماء كالمهل ، وتكون الجبال كالعهن » (٣١) ، وقوله تعالى :  
« والليل اذا يمشي ، والنهار اذا تجلى ، وما خلق الذكور والانثى ، ان نسعيكم لشتى » (٣٣) •

والفواصل القرآنية متلائمة ومتناسبة مع ما يسبقها من كلام ، وهذا التناسب قد يكون ظاهرا واضحا ، وقد يكون خفيا يحتاج الى تأمل حتى يدرك على وجه الصحيح ، وقد بينا هذا في حديثنا عن تشابه الأطراب •

وفواصل القرآن الكريم كلها بلاغة وحكمة ، لأنها طريق الى افهام المعانى التى يحتاج اليها فى أحسن صورة يدل بها عليها ، وقد أوجز الرماني فائدة الفواصل ، وهى : دلالتها على المقاطع ، وتحسينها الكلام

- 
- (٢٧) للنبأ آية ٦ ، ٧ •
  - (٢٨) الضحى آية ٥ ، ٦ •
  - (٢٩) الصافات ١١٧ ، ١١٨ •
  - (٣٠) القمر آية ٥٤ ، ٥٥ •
  - (٣١) العسلج آية ٨ ، ٩ •
  - (٣٢) الليل آية ١ — ٤ •
  - (٣٣) انظر البرهان ٧٢/١ — ٧٧ •

بالتشاكل ، وابدائها في الآي بالنظائر (٣٤) ، والحديث عما في الفواصل  
القرآنية من بلاغة عالية ، وأغراض سامية يحتاج الى بحوث مستقلة .

### بلاغية السجع :

السجع من الفنون الاسلوبية الفطرية التي تؤثر في النفوس تأثير  
السحر ، وتلعب بالأفهام لعب الريح بالهشيم ، لما يحدثه من النغمة  
المؤثرة ، والموسيقى القوية التي تطرب لها الأذان ، وتهش لها النفوس ،  
فتقبل على السماع من غير أن يدخلها ملل ، أو يخالطها فتور ، فيتمكن  
المعنى في الأذهان ، ويتر في الأفكار ، ويعز لدى العقول ، وهذا كله  
أس البلاغة ومقصد البلغاء (٣٥) .

والسجع عنصر من عناصر التناسب في الكلام ، فالاسلوب مقسم  
الى فقر متساوية ، متشاكلة المقاطع ، متشابهة الأوزان ، متناسقة  
النغم ، وهذا مؤد الى ربط الكلام وتلاحمه .

والسجع الحسن عند البلاغيين مقاييس شكلية وأخرى معنوية .

فأما الشكلية فقد ذكروا أن أحسن السجع ما تساوت هراتنه في  
عدد الكلمات كقوله تعالى : « في سدر مخضود ، وطلح منضود ، وظل  
ممدود » (٣٦) ، ثم ما طالت قرينته الثانية كقوله تعالى : « والنجم اذا  
هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى » (٣٧) ثم ما طالت قرينته الثالثة كقوله  
تعالى : « خذوه فملوه ، ثم الجحيم صبوه ، ثم في سلسلة ذرعا سبعون  
ذراعا فاسلكوه » (٣٨) ، ولا يحسن عندهم أن تلى القرينة قرينة أقصر

(٣٤) النكت : ٦٨ ، ٦٩ . وانظر كتابيا : البحث البلاغي في ظلال

القرآن الكريم ٨٢ ، ٨٣ .

(٣٥) انظر الصبح البديعي (٩٧) .

(٣٦) الواقعة آية ٢٨ — ٣٠ .

(٣٧) النجم آية ٢٠ ، ٢١ .

(٣٨) الحاقة آية ٢ ، ٣ — ٦٦ .



منها كثيرا ، كأن يقال : خاطبني خليلي وشفاني بكلامه الذي هو كالجواهر النفيس ، فامتصيت به . أحسن تنفيس . وذلك لان السجع اذا استوفى أمده من الأولى لطولها ، ثم جاءت الثانية أقصر منها كثيرا يكون كالشيء المتبثر ، ويبقى السامع كمن يريد الانتهاء الى غاية فيعثر دونها ، والذوق يشهد بذلك ويقضى بصحته (٣٩) .

وهذه المقاييس الشكلية ينبغي ألا تكون مطلقة فقد وقع السجع في القرآن الكريم متفاوتا في طوله وقصره ، وهو بالغ غاية الحسن ، ولا يمكن التقليل من حسن بعضه ، فاسلوب القرآن الكريم في ذروة البلاغة والحسن ، وهو في كل موضع يلائم المقام الذي ورد فيه ، وهذا هو المقياس الصحيح لبلاغة الاساليب .

وأما المقاييس المعنوية : فيجب ألا تكون احدي القرينتين تكررارا للأخرى والا كان تطويلا بمعزل عن البلاغة ، كقول ابن عباد في مهزومين : طاروا واقين بظهورهم حذرهم ، وبأصلاهم نحورهم . فان الظهور بمعنى الأصلاب ، والصدور بمعنى النحور (٤٠) .

كما ينبغي لا يكون السجع متكلفا من أجل الزخرف اللفظي ، بل يجب أن يكون المعنى هو الذي يطلبه والمقام هو الذي يقتضيه ، ولا يمكن الاستغناء عنه في موضعه الذي جاء فيه ، ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس : افشوا السلام ، وأطعموا الطعسان ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام . فالسجع هنا من مقتضيات المقام ، والمعنى هو الذي قاد اليه ، ولذلك لا يمكن تغيير كلمة منه دون أن يتأثر المعنى ويضعف الاسلوب .

ومن هذا قول الأعرابي يشكو لعامل الماء : حلثت ركابي (٤١) ،

(٣٩) انظر شروح التلخيص ٤/٤٤٩ ، ٤٥٠ .

(٤٠) انظر مواهب الفتح ٤/٤٤٩ .

(٤١) حلثت ركابي : منعت ابلي من الماء والكلأ .

وشققت ثيابي ، وضربت صحابي ، فقل له العامل : وتجمع أيضا  
— ينكر عليه السجع في الكلام — فقال الأعرابي : فكيف أقول ؟ • يعني  
أن هذا الذي قاله هو صدق تعبير عن حالته ، ولا يعلم أصلح لما أراد  
التعبير عنه خيرا من هذه الألفاظ التي قالها : ولم يره بالسجع مخلا  
بمعنى ، أو محدثا في الكلام استكراها ، أو خارجا إلى تكلف واستعمال  
ما ليس بمعتاد في غرضه (٤٢) • ولذلك قبل الجاحظ : لأنه لو قال : حلثت  
أبلى أو جمالي أو نوقى أو بعرائى أو صرمتى (٤٣) ، لكان لم يعبر عن  
حق معناه ، وإنما حلثت ركابه ، فكيف يدع الركاب إلى غير الركاب ،  
وكذلك قوله : وشققت ثيابي ، وضربت صحابي (٤٤) •

كذلك ينبغي التخفف من السجع ، فلا يأتي الكلام كله مسجوعا  
ولا سيمما إذا كان طويلا ، لما في ذلك من أمارات التكلف والتصنع  
والاستكراه (٤٥) • والمحكم في ذلك هو المعنى ، فحينئذى للمتكلم أن  
يرتقل المعنى على سجيته ويدعها تطلب لأنفسها الألفاظ التي تليق بها  
مسجوعة أو غير مسجوعة ، فان العارفين بجواهر الكلام لا يرجون على  
هذا الفن ونظائره إلا بعد الثقة بسلامة المعنى وصحته (٤٦) •

وأقرأ ان شئت قول الجاحظ في أول كتاب « الحيوان » : جنبك الله  
الشبهة ، وعصمك من الحيرة ، وجع بينك وبين المعرفة سببا ، وبين  
الصدق نسبا ، ووجيب إليك التثبت ، وزين في عينك الانصاف ، وأذاقك  
حلاوة للتقوى ، وأشعر قلبك عز الحق ، وأودع صدرك برد اليقين ،

- 
- (٤٢) أسرار البلاغة ٩ ، ١ •  
(٤٣) الصرمة بالكسر : القطيع من الإبل من ٣ - ٤ • أو ٥ • أو من  
١ - ٤ •  
(٤٤) البيان والتبيين (٢٨٨) - وفيه : وخربت ثيابي ••  
(٤٥) سر الفصاحة ١٦٧ •  
(٤٦) أسرار البلاغة ٦ ، ١٠ •

وطرد عنك ذل اليأس ، وعرفك ما في الباطل من الذلة ، وما في الجهل  
من القسلة (٤٧) .

فإنك ترى الجاحظ ترك المعانى على سجيبتها ، ولم يخرق أسلوبه  
بالسجع ولم يتكلف أن يضع كلمة في غير موضعها ، أو يتمدد المجرى  
بكلمة تتفق مع صاحبيتها في مقطعها ، فجاء كلامه المسجوع وغير المسجوع  
سلسا سهلا مرتديا ثوب الحسن .

قال الشيخ عبد القاهر معلقا على هذا النص : فقد ترك أولا أن  
يوفق بين الشبهة والحيرة في الاعراب ، ولم ير أن يقرن الخلاف الى  
الانصاف ، ويشفع الحق بالصدق ، ولم يعن بأن يطلب لليأس قرينة  
تصل جناحه ، وشيئا يكون رديفا له ، لانه رأى التوفيق بين المعانى أحق ،  
والموازنة فيها أحسن (٤٨) .

وبهذه المقاييس التى قدمناها يكون السجع فنا جميلا بليغا ، يكتسب  
به اللفظ حلية بهية ، ويزداد به المعنى قوة وغضامة ، ويجعل الاسلوب  
مؤثرا في النفس ، مستوليا على الاسماع والمقول .

---

(٤٧) الحبيـــــــــــــــــوان ١ - ٣ .

(٤٨) اسرار البلاغة ٧ .

## مواضع التائق في الكلام

ينبغي للمتكلم أن يعنى في كلامه بثلاثة مواضع : الابتداء ، والتخلص ، والانتهاء ، فيتائق في سياقتها ، ويختار المعاني الملائمة لها ، والإلفاظ الدالة عليها أحسن دلالة ، ويجعلها مناسبة ومتناسبة . وذلك أن حسن الافتتاح داعية الانشراح ومطية النجاح ، ولطافة الخروج والتخلص تريح السامع وتجعل الكلام متماسكا مقترنا ببعضه ، وخاتمة الكلام أبهى في السمع والصدق بالتعنى لقرب العود بها ، فإن حسنت حسن ، وأن قبحت قبح ، والأعنان بخواتيمها كما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم (١) .

واليك تفصيل الحديث في هذه المواضع :

### ١- أحسن الابتداء :

الابتداء قول ما يقرع السمع ، فإن كان منذهب اللفظ ، صحيح المعنى ، جيد السبك ، هائلا للموضوع ، ومناسبا للمقلم ، أقبل للسامع على الكلام بانشراح فوعاه وعلم ما فيه ، وإن كان على خلاف ذلك أعرض عنه ونفسر منه .

قال ابن رشيق : الشعر قفل أوله مفتاحه ، وينبغي للشاعر أن يوجد ابتداء شعره ، فإنه أول ما يقرع السمع ، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة ، وليجعله حلوا سهلا ، وفخما جزلا .

ومن أحسن الابتداءات عند العرب قول امرئ القيس :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فهو مل

(١) انظر العمدة ٢١٧/١ ، ٢٤١ .

وذلك لانه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل  
في مصراع احد (٢) .

وأحسن منه قول النابغة :

كليسى لهم يا أميمة ناصب  
وليل أفاسيه بطيء الكواكب

وقد فضله النقاد على بيت امرىء القيس لان شطريه متناسبان  
والفاظه متلائمة ، والشطر الثانى فى بيت امرىء القيس كثير الألفاظ ،  
قليل المعنى ، غريب اللفظ (٣) .

وإذا اشتمل الابتداء الحسن على إشارة الى المقصود من تهنئة  
أو مدح أو هجاء أو عتاب أو غير ذلك سمي : براعة استهلال .

وعلى هذا فينبغى للمتكلم أن يجعل مطلع كلامه متناسبا مع ما بعده  
ومتلائما معه . ويكون دالا على موضوعه الذى هو آخذ فى التعبير عنه .

ومن براعة الاستهلال مطلع قصيدة أبى تمام فى تهنئة المعتصم بفتح  
عمورية ، بعد أن خالف رأى المنجمين الذين زعموا أنها لا تفتح فى ذلك  
الوقت ، وهو قوله :

السيف أصندق أنباء من الكتب  
فى حده الحد بين الجد واللعب  
بيض الصفائح لا سود الصحائف فى  
متونهن جلاء الشك والريب

ومنه فى الرثاء قول أوس بن حجر :

(٢) المعجزة ٢١٨/١ .  
(٣) انظر خزانة الأديب ١٩/١ ، ٢٠ .

أيتها النفس أجملى جزعا  
ان الذي تحذرين قد وقمنا

قال النقاد : لم يبتدا أحد من الشعراء بأحسن مما ابتدأ به أوس  
ابن حجر ، لانه افتتح المرثية بلفظ نطق به على المذهب الذي ذهب اليه  
منها في القصيدة ، فأشعر بك براده في أول بيت (٤) .

ومن جيد الابتداءات المشتملة على براعة الاستهلال قول حافظ  
أبراهيم في تحية علم هجرى

أطل على الأكوان والخلق تنظر  
هلان رآه المنسليمون فكبروا

وقول شوقي في همزيته :

ولد زهير الكائنات ضياء  
وفم الزمان تبسم وثناء

وقول في الأزهري  
قم في فم الدنيا وحى الأزهر  
واثين علي سمع الزمان الجوهر

الابتداءات العجيبة :

وقد يلحق بعض الشعراء العيب والذم بسبب ابتداءاتهم القبيحة  
من جراء الغفلة والنسيان أو الخلطة في الطبع أو الاستغراق في الصنعة

وأعمال قوانين البلاغة . ومن أمثلة ذلك :

(١) ١٨١٧ قس...

(٤) حلية الحاضرة ٢٠٦/١ - ١٨١١ قس...

دخل جرير على عبد الملك بن مروان فابتدأ ينشده :

أتصحو أم فؤادك غير صباح  
عشية هم صبحك بالسرواح

فقال له عبد الملك : بل فؤادك أنت يا بن الفاعلة ، وكأنه استنقل  
هذه المواجهة مع أنه لا يعيب عنه أن الشاعر يخاطب نفسه .

ودخل ذو الرمة على عبد الملك بن مروان فأنشده قصيدته :

ما بال عينك منها الماء ينسكب  
كأنه من كلى مفسرية سرب

وكانت عين عبد الملك بها رمش وهي تدمع دائماً فظن أنه قد عرض  
به فقال له : بل عينك أنت ، وأمر باخراجه .

وقيل أنه لما بنى المعتصم قصره ببغداد ، وجلس فيه في يوم حفل  
مع عظماء دولته ورجاله أنشده إسحاق الموصلي :

يا ذلر غيرك البسلى ومحبسك  
يا ليت شمسك منى ما الذى أبلاك

فتطير المعتصم بهذا الابتداء وأمر يهدم القصر (٥) .

وكان على هذا الشاعر أن يبتدأ ابتداءً مناسباً للمقام كالذى قاله  
أشجع السلمى :

قصر عليك تحية وسلام خلعت عليك جمالها الأيام

وقد عاتبه المنتقاد على المتبني بعض ابتداءاته ومنها قوله في مدح  
كلميسور :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا  
وحسب المنيا أن يكن أمانيا

فالمقنبي وأن كان يخاطب نفسه على سبيل التجريد إلا أن هذا  
الابتداء غير ملائم للمدح ولا يتناسب مع مخاطبة الملوك وأولى به أن  
يكون بداية لقصيدة في الرثاء • أو الهجاء •

### فواتح سور القرآن الكريم :

قد أجمع البلاغيون والنقاد على أن فواتح سور القرآن الكريم  
بلغت أعلى درجات البلاغة ، وجاءت فاتحة كل سورة في غاية التلاؤم  
والتناسب مع ما تتضمنه السورة من أحكام وعظات وقصص وأمثال •

وقد ألف ابن أبي الأصبع كتابا في فواتح سور القرآن الكريم  
سماه الخواطر السوانح في أسرار الفواتح • بين فيه أسرار الفواتح في  
سور القرآن الكريم وذكر أن الله تعالى قد افتتح سور القرآن الكريم  
بشرة أنواع من الكلام لا يخرج شيء من السور عنها : الأول : الثناء  
عليه تعالى ، والثاني : حروف التهجي ، والثالث : النداء ، والرابع :  
الجميل الخبرية ، والخامس : القسم ، والسادس : الشرط ، والسابع :  
الأمر ، والثامن : الاستفهام ، والتاسع : الدعاء ، والعاشر : التعليل (٦) •  
وقد أفاض في تفصيل ذلك وبين أسرار هذه الفواتح بدقة وعناية •

وابتداءات سور القرآن الكريم توقظ السامعين ، وتنبههم إلى  
ما يأتي في سوره من تشريعات وعظات •

فابتداء سورة النور : ﴿ سورة أنزلناها وفوضناها وأنزلنا فيها  
آيات بينات لعلكم تذكرون ﴾ (٧) ، يشير إلى عظمة هذه السورة وأهميتها

(٦) ينظر الخواطر السوانح : تحقيق : محمد جني شرف •

(٧) النور آية ١ •



ما تتضمنه من أحكام وتشريعات وآداب وعظائم فيها أصلاح للأسرة  
والمجتمع ووقايه وحماية لأعراض المسلمين وشرفهم .

وابتداء سورة التوبة : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم  
من المشركين » (٨) ، يدل على إعلان المقاطعة للمشركين ، والأمر بقتالهم  
واسقاط عهودهم ، وهذا ما فصلته السورة وبينته في آياتها بوضوح .

وهكذا ابتداءات جميع سور القرآن الكريم ، إذ تدبرتها جملتها  
وتفصيلها ومفرداتها ومركباتها ، ومعجماتها ومعرباتها ، ونظمت في  
أعداد حروفها وما يوافق أعدادها من العدد الحسابي وما نسبت إليه من  
المعاني . رأيت من البلاغة والتفنن في أنواع الأثر ما تقتصر عنه  
العبارة (٩) .

## ٢ - حسن التخلص :

ويسمى « الخروج » وهو انتقال الشاعر من فن إلى آخره بأحسن  
أسلوب مع التلطف بحيث لا يشعر السامع بالانتقال لشدة الالتئام كأنهما  
أفرغا في قالب واحد (١٠) .

والتلطف في الخروج وحسن التخلص يدل على حذق الشاعر وقوة  
تصرفه ويحرك نشاط السامعين ويساعد على اصغائهم .

وأحسن التخلص ما وقع في بيت واحد ومنه قول مسلم بن الوليد  
يمدح يحيى البرمكي :

(٨) التوبة آية ١ .

(٩) يدعى القرآن ٦٤ .

(١٠) علوم البلاغة ٣٩١ .

أجذك ما تدريين أن رب لييلة  
كأن دجاها من قرونك تتشر (١١)  
سهرت بها حتى تجلت بفجرة  
كفرة يحيى حين يذكر جعفر

فقد تخلص من النسيب بالانتقال من غرة الصبح الى المدوح بعد  
أن جعل غرة الصبح كغرتة فكان في الانتقال من الأول الى الثاني مناسبة  
من جهة أن لكل غرة تشبه الأخرى (١٢) .

ويليه في الحسن ما يأتي في بيتين كقول المتنبي يمدح المغيث العجلي:  
مرت بنا بين تربيتها فقلت لها  
من أين جانس هذا الشاعر العربا  
فاستضحكت ثم قالت كالمغيث يرى  
ليث السرى وهو من عجل إذا انتسبا

فقد تخلص من النسيب الى المدح بالاستفهام وجوابه وهما في  
بيتين .

ومن التفصلات المختارة قول أبي تمام :  
يقولون في قومس قومي وقد أخذت  
منا السرى وخطا المهريه القود (١٣)  
أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا  
فقلت كلا ولكن مطلع الجسود

---

(١١) أجذك : بكسر الجيم وفتحها وهو مشتق من على نزع الخائض  
أى : أبجذك . والقرون : خصل الشعر .  
(١٢) بغية الايضاح ١٥٤/٢ .  
(١٣) قومس : موضع متسع بين خرابستان وبلاد الجبل . والمهريه :  
الأبل النسوية الى مهرة ، والقود : الطويلة الظهور والأعناق .

وقد تخلص الشاعر بالانتقال من مطلع الشمس الى الممدوح بأن  
جمعه مطلع الجود .

وقد اختلف في وقوع التخلص في القرآن الكريم فقيل لا يقع فيه  
لانه يقع في الغالب متكلفا والقرآن منزه عن ذلك وقين : انه قد وقع فيه  
كما في قوله تعالى في أول سورة يوسف : « الر تلك آيات الكتاب المبين  
انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ، نحن نقص عليك أحسن القصص  
بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين ، اذ قال يوسف  
لأبيه يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى  
ساجدين » فالسورة موضوعة لقصة يوسف ، وقد افتتحت بذكر  
القرآن الكريم وبعض ما يتصل به ثم تخلص الى قصة يوسف هذا  
التخلص البديع (١٤) . ومنه قوله تعالى : « سأل سائل بعذاب واقع ،  
للكافرين ليس له دافع ، من الله ذى المعارج ، تعرج الملائكة والروح  
اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » (١٥) ، ذكر أولا عذاب  
الكافرين ونه لا دافع له من الله ، ووصف الله تعالى بذى المعارج تخلصا  
الى قوله « تعرج الملائكة والروح اليه » وهذا من أطف التخلص  
وأحسنه (١٦) .

وقد يقع التخلص معييا لم يوفق الشاعر فيه ، فيتبع ويذم ، ومنه  
قول أبى الطيب :

ها فانظري أو غظني بنى ترى حرقا

من لم يذق طرعا منها فقد والأ (١٧)

عل الأمسير يرى ذلى فيشقيج لى

الى التى تركنتى فى الهوى مثلا

(١٤) بغية الايضاح ١٥٥/٤ .

(١٥) المعارج آية ١ - ٤ .

(١٦) الاقصى القريب ٨٤ .

(١٧) الخرق : الجمع حرقه ، ما يجسده الملائكة من الامم الحب او  
الحزن ، وال : نجسا .

فقد تمنى أن يكون الأمير قوادا له .

والتخلص فن بدعى ذهب اليه المحدثون من الشعراء وقلما فات واحدا منهم في انتقاله من غرض الى غرض . أما الشعراء القدماء فلم يذهبوا هذا المذهب في الخروج من غرض الى غرض ، بل نجد أكثرهم يخرج من وصف الأبل وذكر الديار والنسيب الى ما قصد اليه بقوله :  
دع ذا ، وعد عن ذا ، وما أشبه ذلك وهذا قد سماه البلاغيون الاقتضاب .

فالاقتضاب : هو انتقال الشاعر من فن الى فن آخر من غير تمهيد أو تخلص حسن ، وهو مذهب الشعراء الأوائل ومن يليهم من المضمومين ومن يتقلدون طريقتهم من المحدثين \*

ومن الاقتضاب قول الشاعر :

فدع ذا وسل الهم عنك بجسرة  
ذمول اذا صام النهار وهجرا (١٨)

ونظيره قول حسان :

فدع هذا ولكن من لطيف  
يؤرقنسى اذا ذهب العشاء

فانتقل من وصف الديار وما كانت عليه الى ذكر من يهواها بقوله  
« فدع هذا » وهو من قبيل الاقتضاب .

ومن الاقتضاب قول أبي تمام :

لو رأى الله في الشيب خيرا  
جاورته الأبرار في الخلد شيئا

---

(١٨) الجمرة : الثلاثة الطويلة الغضبية ، البيتول : الثلاثة التي  
تسير سيرا حثيفا .

كل يوم تبدى صروف الليالى  
خلقا من أبى سعيد غويينا

فقد انتقل الى المدح اقتضابا من غير تخلص •

ومن الاقتضاب ما يقرب من التخلص وهو فصل الخطاب ، ويكون  
كقول القائل : بعد حمد الله أما بعد • ومن الفصل الذى هو أحسن من  
الوصل لفظة هذا ، وهى علاقة وكيدة بين الخروج من كلام الى كلام  
آخر غيره كقوله تعالى : « هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب » (١٩) •

ومنه قوله تعالى : « هذا وان للطاغين لشر مآب » (٢٠) أى الأمر  
هذا أو هذا كما ذكر • فانتقلت الآيات من غرض الى غرض عن طريق  
لفظة « هذا » وذلك من فصل الخطاب الذى هو لطف موقعا من  
التخلص (٢١) •

وبهذا ترى أن القرآن الكريم لم يترك واديا من أودية البلاغة الا  
أخذ منه بنصيب وعبر عنه تعبيرا معجزا •

ومنه استعمال « أيضا » وهذا كثير فى كلام المتأخرين ولغية ربط  
بين الكلام السابق واللاحق •

### ٣ - حسن الانتهاء :

وهو أن يختم المتكلم كلامه ختاما حسنا فى الفاظه ومعانيه ، ملائما  
لما قبله ومناسبا للموضوع الذى يقول فيه ، لان ختام الكلام أخسر  
ما يعيه السمع • ويرتسم فى النفس فان كان مختارا مستوفيا شروط

(١٩) ص ٤٩ •

(٢٠) ص ٥٥ •

(٢١) المثل للستر ٢٨٢ •

الحسن جبر ما سبته من تقصير ، ورسخ في الذهن ؛ وإن كان بخلاف ذلك ترك انطباعا سيئا ، وربما أنسى محاسن ما قبله .

ومن الانتهات الحسنة قول أبي نواس :

وانى جديير اذ بلغتك بالنسى  
وانت بما آملت منك جديير  
فان تولنى منك الجمين فأله  
والا فانى عبادر وشيكور

ومنها شعور أبي تمام :

فما من ندى إلا إليك مخرقة  
ولا رفعة إلا إليك تسير

وإذا تضمن الانتهاء ما يشعر بانتهاء الكلام وتمامه سمي : براعة المقطع ومنه قول أبي نواس :

بقيت للمسلم الذي تهدي له  
وتقاصت عن رب يومك الأيام

ومنه قول الشاعر :

بقيت بقاء الدهر يا كهل أمسه  
وهذا دعاء للبرية شامل

وقول الآخر :

فلاحظت لك الهجاء سرجا  
ولا ذقت لك الدنينا فراقا

### خواتم سور القرآن الكريم :

وقد جاءت خواتم السور مثل فواتحها في الحسن ، فتضمنت المعانى البديعة مع ايدان السامع بانتهاء الكلام حتى لا يبقى معه للنفوس تشوف الى ما يذكر بعد .

وخواتم السور القرآنية تدور بين الأدعية والوصايا ، والفرائض ، والتحميد والتهليل ، والمواعظ ، والوعد والوعيد ، وغير ذلك مما يناسب جو السورة نفسها من بدايتها الى نهايتها (٢٢) .

ومن ختام السور القرآنية قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » وهذا ختام سورة آل عمران ، وقد تضمن الختام وصية بالصبر والمصابرة والمرابطة والتقوى وهي تتلاءم مع جو السورة حيث عرض فيها حديث النصر والهزيمة في بدر وأحد وما في ذلك من دروس وعبر .

وقوله تعالى : « هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب » وهذا ختام سورة ابراهيم . وهو مناسب لما في السورة من تهديد ووعيد للكافرين ، وترهيب بمشاهد يوم القيامة .

وقوله تعالى : « وقف رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين » وهذا ختام سورة المؤمنون . وفيه دعاء بالمغفرة والرحمة ، وثناء على الله تعالى بأنه خير الراحمين استجلاباً لرحمته تعالى ، وذلك عقيب ذكر ما يلحق الناس من هول يوم القيامة .





## الفصل الثاني

### فنون التخيل والايهام

يلعب الخيال دورا كبيرا في الأعمال الأدبية ، ويحظى الشعر منه بنصيب وافر ، وقد جعله « هازم القرطاجنى » قوام لغة الشعر ، ومدار جودتها ، فلا تحبب اللغة الى النفس ما قصدت تحبيبه اليها ولا تكره اليها ما قصدت تكريهه الا بحسن الخيال (١) .

والفنون البديعية التى يبرز فيها التخيل والايهام كثيرة منها :  
التورية — والمشاكلة — وحسن التعليق — والتجريد — وتأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه — والتوجيه — وتجاهل العارف — والجناس .  
وظهور عنصر الايهام فى هذه الفنون لا يعنى أنها موقوفة عليه ، فكثير منها يلعب دورا له شأنه فى ربط الاسلوب وتحقيق التناسب بين اجزائه وعناصره ، كما سيتضح لنا عند الحديث عن بلاغتها ، وانما آثرنا بحثها فى هذا الفصل لظهور ما فيها من ايهام وتخيل .

---

(١) منهاج البلاغاء ٧٣ .

## التورية

وتسمى الايهام ، والتخييل ، والمغالطة المعنوية وغير ذلك . ورجح الحموي مصطلح التورية لقربه من مطابقة المسمى (١) . وهي مصدر وريت الخبر تورية اذا سترته وأخفيته وأظهرت غيره ، كأن المتكلم يجعل المعنى المقصود وراءه بحيث لا يظهر .

والتورية في اصطلاح البلاغيين : أن يطلق لفظ له معنيان : قريب وبعيد ، ويراد به البعيد منهما ، اعتمادا على قرينة خفية . والمراد بالقريب ما قريب من الفهم لكثرة استعمال اللفظ فيه ، ويسمى « المورى به » أى الذى حصل به الخفاء ، والمراد بالبعيد ما بعد عن الفهم لقلّة استعمال اللفظ فيه ، ويسمى « المورى عنه » أى الذى وقع عليه الخفاء . والمعنى القريب في التورية يستر المعنى البعيد ويخفيه ، حتى كأن المعنى البعيد وراءه وخلفه وهذا وجه المناسبة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للتورية . واشترط خفاء القرينة لان وضوحها يجعل المعنى البعيد ظاهرا غير مستقر ، فلا يكون في الكلام تورية (٢) .

ومن أمثلة التورية قول أبى بكر رضى الله عنه وهو في طريق الهجرة وقد سئل عن النبي صلى الله عليه وسلم من هذا ؟ فقال : هاديهينى . فكلامه له معنى قريب ، هو الدليل الذى يدلّه على الطريق في السفر ، وهذا المعنى غير مراد ، وله معنى بعيد ، هو : الهادى الذى يهديه الى الاسلام ، وهذا المعنى هو المراد .

---

(١) انظر حدائق السحر ١٣٥ ، ومفتاح العلوم ٢٠١ ، والمثل الستار ٢٥٨ ، وخزانة الأئمة ٢٩/٢ .  
(٢) حاشية النسوقى ٢٢٣/٤ .

ومنها قول المتنبي :

برغم شبيب فارق السيف كفه  
وكانا على العلات يصطحبان  
كان رقاب الناس قالت لسيفه  
رفيقك قيسى وأنت يمانى (٣)

ففى لفظ « يمانى » تورية ، ومعناه القريب السيف اليمانى ، ومعناه البعيد الرجل المنسوب الى اليمن ، وهو المعنى المراد . والمتنبي يريد أن يقول : ان شبيبا لما قتل وفارق السيف كفه بعد ان كانا صاحبين ، كان الناس أوقعت بينهما ، فقالوا للسيف أنت يمانى وصاحبك قيسى ، ونظرا لما بين القيسيين واليமானيين من العداوات ، جانبه السيف ، وفارقه (٤) .

**أقسام التورية :**

قسم البلاغيون التورية الى أربعة أقسام :

١ - التورية الجردة :

وهى التى لم يذكر فيها لازم من لوازم المورى به ، أو المورى عنه أو ذكر فيها ملائم لكن منهما .

ومن أمثلتها قول النبى صلى الله عليه وسلم فى خروجه الى بدر وقد قيل له : ممن ، نتم ؟ فقال : من ماء . ففى لفظ ماء تورية ومعناه القريب اسم بطن من بطون العرب ، ومعناه البعيد أنهم مخلوقون من ماء (٥) ، وهذا المعنى هو المراد ولم يذكر قبل التورية ولا بعدها لفظ يلائم المعنى القريب أو البعيد ، فالتورية مجردة .

(٣) شبيب هذا هو : شبيب بن جرير العقيلي ، خرج على كافر وحاصر دمشق وقتل فى حصارها ، وكان أصله من قيس وقيس من عدنان ، واليمن من قحطان وكانت بين القبيلتين حروب وعداوات شديدة . شرح ديوان المتنبي ٣٧٣/٤ .

(٤) المثل السائر ٢٥٨ .

(٥) انظر المثل السائر ٢٥٩ .

ومن أمثنتها قول أبي بكر الصديق رضى الله عنه الذى ذكرناه آنفاً  
ومنها قول القاضى عياض فى نسخة أزهت فيها بالأشجار مبكرة :

كان نيسان أهدى من ملايسه  
لشهر كانون أنواعاً من الخلل  
نو الغزاة من طول الأذى خرفت  
فما تفرق بين الجدى والحمل

ففى الفاظ الغزاة والجدى والحمل تورية ، ومعناها القسريين  
الحيوانات المعروفة ، ومعناها البعيد : الشمس وبرج الجدى وبرج  
الحمل ، ولم يذكر الشمساء قبل التورية ولا بعدها ما يناسب المعنى  
القريب أو المعنى البعيد ، ومن ثم فالتورية مجردة ، وقد عد الخطيب  
التورية فى لفظ الغزاة من قبيل المرشحة ، حيث ذكر بعينها ما يلائم  
المعنى القريب وهو : الجدى والحمل (٦) ، وفى هذا نظر لان شرط  
الترشيح أن تكون دلالة على المعنى القريب صريحة لا تحتمل الاشتراك ،  
والجدى والحمل مشتركان بين الحيوانين المعروفين والبرجين الفلكيين ،  
فدلالتها غير صريحة ، وعلى هذا فليس من قبيل الترشيح (٧) .

ومن هذا قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر يصف وأديا :  
ويطمعه من واد يروك حسنه  
ولا سيما إن جاد غيث مبكر  
به الفضل يبدو والربيع وكم غدا  
به العيش يحيى وهو لا شك جعفر

ففى كل من : الفضل ، والربيع ، ويحيى ، وجعفر تورية ، فهؤلاء  
الأربعة من كبار رجال البرامكة ، وهذا هو المعنى القريب ، أما المعنى

(٦) الأيضاح ٤٠/٦ .

(٧) ينظر خزنة الأديب ٢٤٤/٢ ، وفنن الختام ١٦٤ .

البعيد فالفضل يعنى الزيادة ، والربيع فصل من فصول السنة ، ويحيى  
بمعنى يعيش ، وجعفر هو النهر • ولم تقترن التورية بما يلائم واحدا من  
المعنيين فهى مجردة •

ومثال المجردة التى ذكر فيها ملائم لك، من المورى به والمورى عنه  
قول الشاعر :

ومولع بفخاخ يمسدها وشبـاك  
قالت لى العين ماذا يصيد قلت كـراكى

ففى لفظ « كراكى » تورية ، ومعناه القريب : انه جمع كركى ،  
وهو طائر رمادى اللون يأوى الى الماء ، ومعناه البعيد : النوم ، وقد  
ذكر ما يلائم المعنى القريب وهو « يصيد » وما يلائم المعنى البعيد وهو  
« العين » ، ومثل هذه التورية التى يذكر فيها ملائم لكل من المعنيين  
تورية مجردة •

ومنها قول البحتري :

وراء تسدية الوشاح مليية  
بالحسن تملح فى القلوب وتعذب

ففى لفظ « تملح » تورية ، فانه يحتمل أن يكون من الملوحة ، وهو  
المعنى القريب ، ولازمه « تعذب » ، وأن يكون من الملاحه ، وهو المعنى  
البعيد ، ولازمه مليية بالحسن ، فاجتمع فى الكلام ملائم للمعنى القريب،  
وملائم للمعنى البعيد ، فالتورية مجردة •

٢ — التورية المرثسة :

وهى التى ذكر معها ما يلائم المعنى القريب — المورى به — وهذا

الملائم قد يذكر قبل التورية أو بعدها • فمثال ما ذكر فيه الترشيح قبلها  
قون الشاعر :

حملناهم طرا على الدهم بعدما  
خلعنا عليهم بالطعان ملايسا

فالدهم جمع أدهم ، وفيه تورية ، ومعناه القريب الفرس الأسود ،  
ومعناه البعيد قيد الحديد وهو المراد • وذكر قبل التورية ما يلائم المعنى  
القريب وهو « حملناهم » فالتورية مرشحة •

ومن هذا قول الشاعر :

فلما نأت عنك العشيرة كلها  
أنخنا فحانفنا السيوف علا الدهر  
فما أسلمتنا عند يوم كريهة  
ولا نحن أغضينا الجفون على وتر

فالتورية في لفظ « الجفون » ومعناه القريب جفن العين ، وقد رشح  
بذكر الاغضاء قبله لانه مما يلائمه ، ومعناه البعيد جفن النيف وهو  
المسراد •

ومن هذا قول ابن عبد الظاهر :

شكرا لنسمة أرضكم كم بلغت عنى تحيية  
لا غرو أن حفظت أحبا ديث الهوى فهي الذكبة

ففي لفظ « الذكبة » تورية ، ومعناه القريب سرعة للفطنة والفهم ،  
ومعناه البعيد سطوع الرائحة ، وقد ذكر قبل التورية ما يلائم المعنى  
القريب وهو قوله « حفظت أحاديث الهوى » •

ومثال ما ذكر فيه الترشيح بعد لفظ التورية قول الشاعر :

مذهمت من وجدى فى خالها  
ولم أصل منه الى اللثم  
قالت قفوا واستمعوا ما جرى  
خالى قد هام به عمسى

ففى لفظ « خالى » تورية ، ومعناه القريب خال النسب ، وقد  
رشح بذكر العم بعده ، ومعناه البعيد نكتة سوداء فى الخد وهو من  
علامات الحسن والجسك .

### ٣ — التورية المبيضة :

وهى التى ذكر معها ما يلائم المعنى البعيد — المورى عنه —  
وسميت بذلك لان المورى عنه قد تبين وظهر بذكر لازمة ، ولولاه لكان  
خفيا (٨) . وهذا الملائم قد يكون قبل لفظ التورية ، أو بعده . فمثال  
ما جاء فيه الملائم قبل لفظ التورية قول الحموى :

قالسوا أما فى جلق نزهة  
تتسبك من أنت به مغسرى  
يا عاذلى دونك من لحظسه  
سهما ومن عارضه سطرًا

ففى السهم والسطر تورية ومعناها القريب سهم اللحظ وسطر  
العارض ، ومعناها البعيد موضعان مشهوران بمتزهات دمشق وهذا  
هو المراد ، وقد ذكر قبل التورية ما يلائم هذا المعنى ويبينه وهو النزهة  
فى جلق أى دمشقى .

(٨) انظر شرح عقود الجمان ٩٨/٢ .

ومن هذا قول السيوطى فى رثاء « غصون » أم أولاده :  
يا من رآنى بالهموم مطوقا  
وظللت من فقدى غصونا فى شجون  
تُتلومنى فى عظم نوحى والبكا  
شأن المطوق أن ينوح عى غصون

فالتورية فى لفظ « غصون » فى البيت الثانى ومعناه القريب غصون  
الأشجار ، ومعناه البعيد مرثية السيوطى ، وقد بين ذلك بذكر ما يلائمه  
وهو « فقد غصون » وما ناله من هموم وما جرى له من نوح وبكاء .

ومثال ما جاء فيه الملائم بعد لفظ للتورية قول الشاعر :

أرى ذنب السرحان فى الأفق ساطعا  
فهو ضمن أن الغسزلة تطلع

والشاهد هنا فى موضعين أحدهما « ذنب السرحان » فإنه يحتمل  
أول ضوء الفجر وهذا معناه البعيد المورى عنه ، وقد ذكر لازمة بعده  
على جهة التبيين ، وهو « ساطعا » ويحتمل ذنب الذئب ، وهذا معناه  
القريب المورى به وهو غير مراد (٩) . وثانيهما فى لفظ « الغسزلة »  
ومعناه البعيد الشمس وقد بين بقوله « تطلع » ومعناه القريب الحيوان  
المعروف ، وهو غير مراد .

ومن هذا قول ابن سناء الملك :

لما والله لولا خسوف سخطك  
لهسان على ما ألقى برهطك  
ملك الخائفين فتت عجبيا  
وليس هما سوى قلبى وقرطك



ففى لفظ « الخافقين » تورية ومعناه القريب المشرق والمغرب ،  
ومعناه البعيد قلبه وقرط مصبوبة وقد بين ذلك بالنص عليه فى آخر  
البيت .

#### ٤ - التورية المهيبة :

وهى التى لا تقع التورية فيها ولا تنهياً الا بلفظ قبلها او بعدها ،  
ولولا أحدهما لفاتت التورية ، أو تكين التورية فى لفظين لولا كل منهما  
ما وجدت التورية فى الآخر . وعلى هذا فهى ثلاثة أنواع (١٠) :

الأول : ما تهيات فيه التورية بلفظ قبلها كقول ابن سناء الملك  
يمدح الملك المظفر صاحب حماة :

وسيرك . فينا . سيرة . عهية  
فروحت عن قلب وفرجت عن كسرب  
وظهرت فينا من سميك سنة  
فأظهرت ذلك الفرض من ذلك النذب

فالتورية فى «الفرض والندب» ومعناها القريب الحكمان الشرعيان  
ومعناها البعيد : الفرض بمعنى العطاء ، والندب الرجى السريع فى  
قضاء الحوائج ، وهذا هو المراد ، ولولا ذكر « السنة » قبل التورية  
ما تهيات التورية ولا فهم من الفرض والندب الحكمان الشرعيان اللذان  
صحت بهما التورية .

والثانى : ما تهيات فيه التورية بلفظ بعدها كقول على كرم الله  
وجهه فى الأسمعت بن قيس : انه كان يحوك الشمال باليمين . فالتورية  
فى لفظ « الشمال » ومعناه القريب ضد اليمين ، ومعناه البعيد جمع

(١٠) انظر هذه الأنواع فى خزانة الأصبه ٢/٢٤٧ ، ونفس الختام ١٧١ ،  
وشرح عقود الجمان ٢/٦٨ .

شملة وهو المراد ، ولولا ذكر « اليمين » بعد « الشمال » ما فهم السامع معنى اليد الذى صحت به التورية وتهيات • ونحوه قول الشاعر :

لولا التطير بالخلاف وأنهم

قالوا مريض لا يعود مريضا

لقضيت نحبي في جنابك خدمة

لأكون مندوبا قضى مفروضا

فالتورية في لفظ « مندوبا » ومعناه القريب الحكم الشرعى ، ومعناه البعيد الميت الذى ييكنى عليه ، ولولا ذكر المفروض بعد المندوب ما تنبه السامع لعنى المندوب القريب الذى تهيات به التورية •

والثالث : ما تقع فيه التورية في لفظين لولا كل منهما ما تهيات التورية في الآخر ، ومثال ذلك قول عمر بن أبى ربيعة لما تزوج سهيل الثريا وكان دميما وكانت في غاية الحسن :

أيها المنكح الثريا سهيلا

عمرك الله كيف يلتقيسان

هى شامية اذا ما استقلت

وسهيل اذا استقل يمسانى

فالتورية في « الثريا » و « سهيل » وذلك لان الثريا يحتمل أن تكون ثريا السماء وهذا معناها القريب ، وأن تكون بنت على بن عبد الله ابن الحارث وهذا معناها البعيد المراد ، وسهيل يحتمل أن يكون نجم السماء وهذا معناه القريب ، وأن يكون سهيل بن عبد الرحمن بن عوف ، وهذا معناه البعيد المراد ، ولولا ذكر كل واحد من اللفظين ما تهيات الآخر للتورية ، وما تنبه السامع للمعنى القريب الذى جعل كلا من اللفظين يصلح للتورية • والتورية هنا لا تصلح أن تكون مرشحة ولا مبينة ، لان الترشيح والتبيين لا يكون كل منهما الا بلازم غاض •

والفرق بين اللفظ الذى تنتهياً به التورية واللفظ الذى تترشح به واللفظ الذى تتبين به : أن اللفظ الذى تقع به التورية مهياة لو لم يذكر فى الكلام ما تهيات التورية أصلاً وما وجدت ، واللفظ المرشح أو المبين يقوى التورية ، فلو لم يذكر لكنت التورية موجودة (١١) .

### التورية فى الأساليب وبلافتها :

إذا فتشنا عن التورية فى القرآن الكريم وجدنا أنها قليلة فيسه ، بل ان الأمثلة القرآنية التى ذكروها للتورية لم يقطع العلماء بتخريجها عليها ، بل خرجوها على وجوه أخرى غير التورية ، ولعل من أسباب هذا ما فى التورية من خفاء وإيهام لا يتلاءم مع ما بنى عليه الذكر الحكيم من وضوح يبسر هدانيته لكل طالب وراغب .

ومما ذكروه من أمثلتها القرآنية قوله تعالى : « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار » (١٢) ، ففى « جرحتم » تورية ومعناه القريب شق بعض البدن ، ومعناه البعيد ما اكتسبتم من الذنوب من جرح الرجل أى اكتسب ، فهو جارح . وقوله تعالى : « والنجم والشجر يسجدان » (١٣) ، ففى « النجم » تورية ومعناه القريب نجم السماء ، ومعناه البعيد ما لا ساق له من النبات . وقوله تعالى على لسان أولاد يعقوب لأبيهم : « قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم » (١٤) ، ففى الضلال تورية ومعناه القريب ضد الهدى ، ومعناه البعيد جبسه ليوسف (١٥) .

- 
- (١١) خزائن الادب ٢/ ٢٤٩ .
  - (١٢) الأنعام آية ٦٠ .
  - (١٣) الرحمن آية ٦ .
  - (١٤) يوسف آية ٩٥ .
  - (١٥) انظر بديع القرآن ١٠٢ .

وتقدر التورية في الشعر العربي القديم ، وقد جعلوا منها قول  
عمرو بن كلثوم :

مشعشة كان الحص فيها  
إذا ما الماء خالطها سخينا (١٦)

فالتورية في لفظ « سخينا » ومعناه القريب نه صيغة مبالغة من  
انسخونة ضد البرودة ، ومعناه البعيد أنه من السخاء الذي هو الكرم  
وهو المعنى المراد (١٧) .

وقول النابغة الغبياني :

خيل صيام وخيل غير صائمة  
تحت العجاج وأخرى تملك اللجما (١٨)

أراد بالصيام هنا القيام ، والتورية في قوله « تملك اللجما »  
حيث وري بها عن صيامها (١٩) .

وأعل تدرتها في الشعر القديم راجعة الى أنها لون يحتاج في المجيء  
به الى عمق في التفكير وطول تدبر في الكلفات ومعانيها ، والشاعر  
العربي القديم منطبع يمين الى التعبير الفطري الذي لا يكبد مشقة  
في التفكير .

ومن هنا رأينا التورية تكثر في شعر المتأخرين الذين يعمدون الى  
الصنعة ، ويدورون في فلك الصبغ البيديعي ، ويذهبون الى الغار .  
والتعمية في شعرهم معجيين بقدرتهم على ذلك ، ومن هؤلاء القاضي

(١٦) الحص : الزعفران وهو ذو لون أصفر .

(١٧) انظر خزنة الأنب ٤١/٢ .

(١٨) العجاج : الغبار . واللجم : جمع لجسم ، جديدة توضع في ثم

الفسرس .

(١٩) انظر البيديع في نقد الشعر : ١٠٠ .

الفاضل ، وصلاح الدين الصفدى ، وابن نباته ، وابن سناء الملك ،  
وعز الدين الموصلى ، والسراج الوراق ، وأبو الحسن الجزار ،  
ونصير الدين الحمصى .

وقد أطلت صاحب خزانة الأدب في ذكر أمثلة للتورية وردت على  
السنة هؤلاء الشعراء وغيرهم (٢٠) ، وحنها بالثناء البالغ طبقا لمقاييس  
الجودة في عصره ، والحقيقة أن أكثرها مصنوع جاءت فيه التسورية  
متكيفة متعمدة مما حظ من شأنها . وجعلها لا تعدو أن تكون تلاعبا  
بالألفاظ ومباراة كلامية يفصح بها الشاعر عن قدرته على الإنجاز  
والإيهام .

ومثل هذا لا ينقص من قدر التورية كفن بديعى له سحره وجماله  
إذا ورد في الكلام سهلا سلسا بعيدا عن شطط التكلف وهوان الابتذال ،  
مشيرا إلى معنى لطيف ، أو موحيا بشيء طريف ، أو رامزا إلى ما لا  
يمكن الإفصاح به .

وللتورية مقامات تحسن فيها . بل ربما تتعين دون سواها من  
الأساليب ، فالتعبير المستور عن المطالب ، والغزل العفيف ، والمسامرات  
بين الأخوان ، والسخرية والاستهزاء بذوى الجاه والسلطان ، والثورة  
على الأعداء والظالمين ، ونحو ذلك حقول خصبة تزدهر فيها أساليب  
التسورية .

ومن لطيف التورية قول صلاح الدين الصفدى :

بسمهم أجفسانه رمانى ففتبت من هجره وبينه  
ان مت مالى سواء خصم لانه قتلتى بعينه

فعينه يحتمل أن يكون ذات المحبوب وهو المعنى القريب ، وأن  
يكون عين المحبوب وهو المعنى البعيد المراد .

وقول نصير الدين الحمصامى :

جدوا لنسجع بالمديح على علاكم سرمداً  
فالطير أحسن ما تغرد عندما يقح الندى

فالندى معناه القريب القطرات التى تتساقط آخر الليل ، ومعناه  
البعيد الكرم •

وقول أبى الحسين الجزار :

كيف لا أشكر الجزارة ما عشت حفاظاً وأرفض الآدابا  
وبها صارت الكلاب ترجينى وبالشعر كنت أرجو الكلابا

فلفظ الكلاب الثانى تورية ومعناه القريب الحيوان المعروف  
ومعناه البعيد لثام الناس وأصحاب النفوذ الذين لم يلبوا رغبات  
الشاعر •

والتورية لون بديعى لطيف ، يداعب العقول ، ويروض الألفهام بما  
فيه من خداع وإيهام ، وتفنن فى الكلام واتساع فيه • وهو من أهلى  
ما استعمل من الكلام والطفه ، ويبدل على تصرف بالغ ، وقسوة على  
تصريف الألفاظ ، واقتدار على المعانى (٢١) •

وللتورية أثر جليل فى تمكين المعانى وتثبيتها ، فهى تحتساج فى  
ادراكها الى فكر وتأمل ، لذا تبعث المنطقى على الهاب عقله ، وشحذ  
فكره ، وتحت على التدبير وإطالة النظر فيما يعرض عليه حتى يهتدى  
الى المعنى المراد ، فانما ما اهتدى اليه بعد هذا الجهد عرف قدره  
وأحسن بقيمته ، فثبت فى ذهنه وتأكد لديه •

(٢١) انظر المثل السائر ٢٥٨ ، والطرار ٦٣/٣ ، ٦٣ •

## المشاكلة

وهي لغة المماثلة ، وفي اصطلاح البلاغيين : ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديرا (١) . نقول : أساء الى فأساءت اليه ، تقصد أنك عاقبته بإساءته وكان الأصل أن تقول : أساء الى فعاقبته ، ولكنك عبرت عن العقوبة بلفظ الإساءة على سبب المشاكلة ، لوقوعه في صحبة الإساءة الأولى . وتقول للجائع : أسقيك ماء ، فيقول لك : بل أسقني طعاما ، فعبر بالسقى عن الإطعام مشاكلة لسقى الماء حيث وقع في صحبته .

ولا يقصد بلفظ الغير نفس اللفظ المذكور في الكلام دون سواه ، بل تأتي المشاكلة أيضا بلفظ يكون مضادا للمذكور أو مناسبا له . فمن المضاد قول القاضي شريح لرجل شهد عنده : انك لسبط الشهادة ، فقال : انها لم تجعد عنى . فعبر بالجمودة مشاكلة للسبوبة وبينهما تضاد ، وسيأتى بيان لهذا المثال ، ومن المناسب ، ما ورد أن رجلا قال لو هب : ليس قد ورد أن لا اله الا الله مفتاح الجنة ؟ فقال وهب : بلى ، ولكن من مفتاح الا له أسنان ، فان جئت بالأسنان فتح لك والا لم يفتح لك . فعبر بالأسنان مشاكلة للتعبير بالمفتاح ، وهما متناسبان (٢) .

### والمشاكلة على قسمين :

١ - تحقيقه ، وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا . فاللفظ الذي شوكل ونسج على هيئته موجود حقيقة في الكلام . كقوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى

(١) الايضاح ٢٦/٦ .

(٢) مواهب الفتح ٢١٠/٤ ، والمراد بالأسنان الأضراس المعتبرة في

الاسلام .

عليكم « (٣) ، فقوله « فاعتدوا » وارد على سبيل المشاكلة ، حيث سمي  
جزء الاعتداء اعتداءً مشاكلة لقوله « اعتدى » المذكور في الكلام .  
ونظير هذا قوله تعالى : « وجزاء سيئة سيئة مثلها » (٤) ، إذ اطلق  
لفظ السيئة الثاني على الجزء المقابل للسيئة الأولى على سبيل المشاكلة .  
وفي التعبير عن المجازاة بالاعتداء وبالسيئة إشارة الى أن الجزء من  
جنس العمل ، ودعوة الى الصبح والعمو والزهد في المجازاة ، لأنها وإن  
كانت مباحة إلا أنها وسمت بأنها عدوان وسيئة . وفي اللفظين بجانب  
المشاكلة مجاز مرسل علاقته السببية ، حيث ذكر السبب وهو الاعتداء  
والسيئة ، وأريد المسبب وهو الجزء والعقوبة .

ومن هذا قوله تعالى : « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم  
به » (٥) ، ففي قوله « عاقبتم » مشاكلة ، حيث عبر به لوقوعه في  
صحبة « عاقبتم فعاقبوا » والمراد به العدوان أي بمثل ما اعتدى به  
عليكم . وفيه أيضا مجاز مرسل علاقته السببية ، حيث ذكر المسبب وهو  
العقوبة وأريد السبب وهو العدوان .

وقوله تعالى : « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » (٦) ، فإله  
تعالى يُبطل مكر أهل الكتاب وعاقبهم عليه ، وسمى هذا في جانب الله  
تعالى مكرًا لوقوعه في صحبة مكرهم المذكور وذلك على سبيل المشاكلة ،  
وفي التعبير به إشارة الى أن الله تعالى قد قابل عملهم بعمل من جنسه  
أشد وأنكى ، وفي اللفظ مع المشاكلة مجاز مرسل علاقته السببية ، فالمر  
سبب في الايقاع بهم .

ومن المشاكلة التحقيقية قوله تعالى : « فأعرضوا فأرسلنا عليهم  
سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشيء من

(٣) البقرة آية ١٩٤ .

(٤) الشورى آية ٤٠ .

(٥) النحل آية ١٢٦ .

(٦) آل عمران آية ٥٤ .



سدر قليل « (٧) ، فتسمية البديل جنتين — وهو بديل سيء — من قبيل المشاكلة ، وفي التعبير عنه بالجنتين تهكم بهم وسخرية منهم (٨) .

ومنها قوله تعالى : « ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم » (٩) ، فالمنافقون يذكرون الرسول صلى الله عليه وسلم بالسوء ، ويتكرون ذلك امامه ، ومن حابه صلى الله عليه وسلم لم يكن يواجههم بما يقولون ، فكانوا يظنون انه صدقهم ، وانه يصدق كل ما يسمع ويقال من غير تدبر فقلوا : انما هو اذن سامعة . فأمره الله تعالى ان يرد عليهم ردا بليغا « اذن خير لكم » كأنه قيل : نعم هو اذن ولكن نعم الأذن ، انه اذن في الخير والحق وفيما ينبغي سماعه وقبوله لا في غير ذلك (١٠) . فوصف النبي صلى الله عليه وسلم من قبل الله تعالى بأنه اذن وارد على سبيل المشاكلة لما قاله المنافقون ، وفيه إغمام والجام لهم .

ومنها قول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحد علينا

فجهل فوق جهل الجاهلينا

فقوله « فجهل » وارد على سبيل المشاكلة لقوله « لا يجهلن » لأنه ليس جهلا ولكنه مجازاة ورد للعدوان والجهل .

وروى عن أبي الرقعمق أنه قال : كان لي اخوان أربعة وكنت أتادمهم أيام كافور الاخشيدى ، فجاعنى رسولهم في يوم بارد وليست لي كسوة تحصننى من البرد ، فقال : اخوانك بقراون عليك السلام

(٧) سبأ آية ١٦ .

(٨) انظر البديع في ضوء أساليب القرآن ٧٧ .

(٩) التوبة آية ٦١ .

(١٠) تفسير أبي السعود ٧٧/٤ .

ويقولون لك : قد اصطبحنا اليوم وذبحنا شاة سميئة فاشتة علينا  
ما نطبخ لك منها ، قال : فكتبت اليهم :

اخواننا قصدوا الصبوح بسحرة  
فأتى رسولهم الى خصوصا  
قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه  
قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

فذهب الرسول بالرقعة فما شعرت حتى عاد ومعه أربع خلع وأربع  
صرر في كسرة عشرة دنائير ، فلبست إحدى الخلع وصرت اليهم (١١) .

ففي قوله « اطبخوا » مشكلة تحقيقية ، وكان الأصل أن يقول :  
« خيطوا لي جبة وقميصا » لكنه قال « اطبخوا » مشكلة لقولهم « نجد  
لك طبخه » . واطلاق الطبخ على الخياطة من قبيل الاستعارة بجامع  
المنفعة في كل ، وهذا لا يتنافى مع كون اللفظ واردا على سبيل  
المشكلة لما قبله .

وعلى منوال هذا البيت قال ابن جابر الأندلسي :

قالوا اتخذ دهننا لقلبك يشنفه  
قلت ادهنوه بخدما المتورد

فغير بقوله « ادهنوه » مكان « داووه أو اشفوه » مشكلة لقولهم  
« اتخذ دهننا » .

ويعد من المشكلة الحقيقية ما لم يصرح فيه باللفظ الذي شوكه  
ولكنه في حكم المصريح به لظهور الدلالة عليه ، كقول أبي تمام :

من مبلغ أفناء يعرب كلهما  
أنى بنيت الجبل قبل المنزل

(١١) معاهد التنصيص ٢/٢٥٢ ، وأبو الرصيق : أحمد بن محمد  
الأنطاكي من شعراء النونية ( ت ٢٩٩ هـ ) .

ففي قوله « بنيت الجار » مشاكلة ، لان الجار لا يبني ، وانما الذي يبني الدار ، وعبر ببناء الجار مشاكلة لقوله « قبل المنزل » لان تقديره : قبل بناء المنزل ، والمقدر كالمذكور ، لذا فالمشاكلة تحقيقية . ونظير هذا قول الصحابي بن عباد في شأن قاض شهد عنده رجل برؤية هلال عيد الفطر فلم يقبل شهادته وأنكر ظهور الهلال :

أتسرى القمصاصي أعمى ام تسراه . يتصامى  
سرق العييد كأن لا عييد أموال اليتامى .

فقوله « سرق العييد » مشاكلة ، اذ العييد لا يسرق والذي يسرق المال ونحوه ، وقد جعل اخفاء العييد سرقة على سبيل المشاكلة ، لوقوعه في صفة ما يسرق وهو مال اليتامى ، وان كان لم يصرح بلفظ السرقة في جانب المال فهو مفهوم من الكلام فهما واضحا يعني عن التصريح به ، والتقدير : سرق العييد كما سرق أموال اليتامى . وفي التعبير بالسرقة مبالغة في ذم القاضى والتشنيع والتشهير به وبمساوئه التي التي تتلقى مع ما وكل اليه من اقامة العدل ونصيب الحق .

والغالب في الاساليب أن يتأخر اللفظ الذي تقع فيه المشاكلة عن اللفظ الذي يشاكله ، وقد يتقدم لفظ المشاكلة كما في قول أبي تمام ، والصابغ بن عباد ، وكما في قول الرسول صلى الله عليه وسلم « خفوا من الأعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملاوا » ففي قوله « لا يمل » مشاكلة لان الملل لا ينسب الى الله تعالى ، ولكن المجنون لا يقطع عنكم فضله أو ثوابه حتى تملاوا عبادته . وانما عبر بالملل على سبيل المشاكلة لقوله « حتى تملاوا » الذي جاء بعده في الكلام . ونجد ذلك في قوله تعالى : « فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا » (١٢) ، ففي « ننساهم » مشاكلة ، وهو واقع في صفة « نسوا » ، والمعنى : نجازيهم وبما فعلهم جزاء نسيانهم يوم القيامة . وعدم الاستعداد له .

٢ - تقديرية : وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تقديرا : فاللفظ الدال على الغير غير مذكور في الكلام ، ولكن دلت عليه قرأتين الأحوال : ومن هذا قوله تعالى : « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » (١٣) ، فصبغة الله أي تطهير الله ، وصبغة مصدر مؤكد لمضمون قوله « آمنا بالله » (١٤) ، لأن الايمان يطهر النفوس ، وقد استعمل الصبغ في التطهير على سبيل المشاكلة لوقوعه في صحبة صبغة النصارى المفهوم من الحال ، وهي هنا مشاكلة تقديرية ، لأن لفظ الصبغ لم يتقدم ، ولكن دلت عليه قرينة الحال وهي سبب النزول ، وذلك أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه العمودية ، ويقولون : هو تطهير لهم ، فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم : قولوا - آمنا بالله - وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا ، وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا ، فو يقول المسلمون : صبغنا الله بالايمان صبغته ، ولم نصبغ صبغتكم (١٥) .

واطلاق الصبغ على التطهير من قبيل الاستعارة المبنية على تشبيهه للتطهير من الكفر بالايمان بصبغ الغموس في الصبغ الجسى ، بجامع ظهور أثر كل منهما على صاحبه ، وهذا لا ينافي كونه من المشاكلة التي يراعى فيها اعتبار الصحبة دون نظر الى كون اللفظ حقيقة أو مجازا (١٦) .

ومن المشاكلة التقديرية أن ترى انسانا يغرس شجرا ، فتقول لأخر اغرس الى الكرام كهذا . وتريد باغرس اصنع العسروف الى الكرام ، وعبرت عن الصنع بالغرس لصاحبته للغرس الحاضر ولو لم

(١٣) البقرة آية ١٢٨ .  
(١٤) البقرة آية ١٣٦ ، ومصدر الآية « قولوا آمنا بالله وما نزلنا اليهنا . . . » .  
(١٥) الكشاف ٣١٦/١ .  
(١٦) مواهب الفتح ٣١٢/٢ .

يذكر في الكلام ، فكانك قلت : هذا يخرس الأستجار فاخرس أنت  
المسروف مثله (١٧) .

وحكى أن بعض الولاة كان يخرس سيلا في جامع ببنّاد ، فوقف  
عليه وأنشد :

ان الولاية لا تدوم لواحد  
ان كنت تتكبره فأين الأول ؟  
واخرس من الفط الجميل غرامسا  
فاذا عزلت فانها لا تصزل

فأقام « اخرس » مقام اصنع ، ليشاكل فعل الوالى (١٨) .

### المشاكله والجناس والطباق :

قد تجتمع المشاكله مع الجناس في موطن واحد ، كما في قوله  
تعالى : « وجزاء سيئة سيئة مثلها » (١٩) ، فاللفظان متحدران في  
الحروف مختلفان في المعنى ، فالسيئة الأولى بمعنى الاعتداء ، والثانية  
بمعنى الجزاء ورد الاعتداء ، وهذا من قبيل الجناس ، كما أن في اللفظ  
الثاني مشاكله كما قدمنا ، ولا تعارض بينهما ، ففقر اللفظين بجناس  
باعتبار اتحادهما في الشكل واختلافهما في المعنى ، وفي اللفظ الثاني  
مشاكله باعتبار مجيئه على شكله ما تقصمه لوقوعه في صحبته .

كما قد تجتمع المشاكله مع الطباق ، وذلك اذا كانت المشاكله  
قائمة بين لفظين متضادين ، كما في قول القاضى شريح لرجله شريح

---

(١٧) السيلبق ٢١٤/٤ .  
(١٨) الاشرات والتنبهات ٢٦٨ ، والسيل : شوك ابيض طويل  
لذا نزع خرج منه مثل اللبن .  
(١٩) السورى آية ٤٠ .

أما في قول المتن «اللفظ المستعمل في الشهادة» فقالان الرجل : إنما لم تضعه عنى (٢٥) .  
 فبين السبوطه والجموده طباق لانهما متضادان (٢٦) ، وفي لفظ «تجمعد»  
 مشاكلة باعتباره واقعا فيرجحبه السبوطه بولا تعارض بين المشاكلة  
 والطباق من حيث التضاد ، والمشاكلة من حيث مماثلة اللفظ لا تقدمه .  
**المشاكلة بين الحقيقة والجاز :**

من المفهوم ان اللفظ المستعمل قيما وضع له في اصطلاح التخاطب  
 يكون حقيقة لغوية ، وان اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح  
 التخاطب لعلاقة وقريفة فائقة من ازيادة المعنى الوضعى يكون مجازا  
 لغويا . واللفظ الذي وقعت فيه المشاكلة مستعمل حتما في غير ما وضع  
 له ، وبذلك لا يكون من قبيل الحقيقة . وبناء على هذا اعتبره قوم من  
 قبيل المجاز اللغوى ، وخرجوا بعض أمثلة المشاكلة على الجاز للرسول  
 لعلاقة المجاورة أو السببية كما بينا في اطلاق السببة على جزائهما ،  
 والاعتداء على جزائهما ، والتعوية على الاعتداء . كما خرجنا بعض  
 أمثلها على الاستعارة كما بينا في اطلاق الطبخ على الخياطة ، والخبز  
 على الظهور . ويتبدل في بعض الأحيان بين المشاكلة وبين الاستعارة ،  
 ونجد في بعض النسخ المشاكلة بين قبيل الاستعارة ، وهذا  
 يستلزم تباين المشاكلة لا لتقصدها للمبالغة كالاستعارة المذكورة في علم  
 البيان (٢٧) .

وبعض الجاهل يرى ان المشاكلة من حيث هي مشاكلة ليست من  
 قبيل الحقيقة والجاز عارضا لانها مجرد ذكر المخاطب بلفظ غريبة

(٢٥) السبوطه في الأصل : استرسال الشعر وامتداده ، والراد هنا :  
 استمرار الشهادة وامتداد حفظها وعدم التمهين فيها . والجموده في  
 الأصل : التواء الشعر ، والراد بقوله لم تضعه عنى : أتى جامعا لشهادتى  
 ليست قاصرة عن أركانى .  
 (٢٦) البديع من المعنى والالفاظ ٢٦ .  
 (٢٧) الاشارات والتنبهات ٢٦٨ .

لاصطحابهما ، وهذا ليس معتبرا في علاقات المجاز (٢٣) • وعلى هذا تكون المشاكلة واسطة بين الحقيقة والمجاز كما قالوا في الكناية انهما واسطة بين الحقيقة والمجاز (٢٤) •

وما يجب ان نؤكد عليه انه لا تعارض بين المشاكلة والمجاز ، فكل منهما ينظر الى اللفظ من ناحية معينة ، المجاز من حيث استعمال اللفظ في غير ما وضع له ، والمشاكلة من حيث مماثلة اللفظ لا هو واقع في صحبته (٢٥) •

### بلاغة المشاكلة :

والمشاكلة لون بدعي خلاب يثير الانتباه ، وينشط العقول ، ويستدعي التفكير والتدبير ، وذلك لان المعنى المراد يظهر في لفظ غير اللفظة ، فيرداء غير ما لو فقه ، ولباس غير معتاده مما يثير انتباه المتلقي ، ويستدعي اصغاه ، ويبحث عقله على للتفكير في اللفظ المراد من غير المعنى المراد منه ، فاذا علمه بعد ذلك تاكد لديه وثبت عنده •

ومن ناحية اخرى تخدع المشاكلة المتلقي ، ففي النظرية الاولى يتوهم ان المعنى الثاني هو عين الاول ، ولكنه بعد اقامة النظر واعمال الفكر يعلم انه غيره ، وان اللفظين وان كانا على شاكلة واحدة ، الا ان معنى كل منهما يختلف عن الآخر ، وهذا ادعى الى ان المشاكلة المعاني ورسوخها في الالمن •

والمشاكلة من الالوان التي تربط للكلام بين معانيها وتعمل على تلاحم اجزائه ، بما فيها من تامل للفظي ، وتلاصق شكلها الما وقعت في منحيته من الالفاظ •

(٢٣) انظر شروح التلخيص ٢٠٩/٤ ، ٣١٠

(٢٤) البديع من المعاني والالفاظ ٢٨ ، ص ١١٣ ، باستثناء

(٢٥) انظر نظرات في البيان ٢٢٨ ، ص ١٠١ ، لعل

### حسن التعليل

وهو أن يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي (١) ،  
فيعلك الشيء بعلة خيالية مناسبة ، تحتاج الى تأمل في ادراكها لما فيها  
من لطف ودقة ، ومن ذلك قول ابن المعتز :

صعدت شريير وأزمنت هجرى  
وصفت ضمائرها الى الصدر  
قالت كبرت وشبت قلت لها  
هذا غبار وقائع الدهر

فرد على من صحتة وعابته بالكبر والشيب ، بأن ما علاه ليس من آثار  
الكبر والشيب كما تدعى ، ولكنه غبار وقائع الدهر ، وهذه كما ترى  
علة خيالية لا أساس لها من الحقيقة ، ولكن فيها لطف وطرافة .

ولحسن التعليل باعتبار الوصف الممال الأربعة أقسام :

الأول : أن يكون الوصف ثابتا ولا تظهر له في الصادة علة غير  
العلة الخيالية المدعاة . كقول أبي الطيب :  
لم يتحك نائلك السحاب وانما  
حمت به فصبيها . الرخصاء .

فنزول المطر من السحاب صفة ثابتة له لا يظهر لها في العادة علة ،  
وان كان العلماء قد عللوا نزوله بتلاقي السحاب بطبقة جوية ذات درجة  
حرارة معينة ، الا أن هذه العلة غير ملحوظة عادة عند الناس . وقد  
جعل الشاعر علة نزول المطر من السحاب ما حصل له من الحمى بسبب

(١) الايضاح ١٧/٦

(٢) حمت : أصابتها الحمى ، الرخصاء : عرق الحمى .



عدم محاكاته عطاء المدوح ، وهذا الطر هو عرق الحمي التي أصابته  
وهذه علة خيالية لا أساس لها من الحقيقة .

وكقول أبي تمام :

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى

فالسيل تحرب للمكان العالي

فخلو الكريم عن الغنى وصف ثابت لا يظهر له في العبادة علة ،  
وقد تخيل الشاعر له علة غير حقيقية ، بناها على قياس تخيلى ، فالغنى  
لا يصيب الكريم ولا يستقر لديه ، كما لا يستقر السيل على الأماكن  
العالية ، بل سرعان ما ينحدر إلى الأماكن المنخفضة . وقد أسخ هذا  
القياس على الحكم قوة وكساه ثوبا من الحقيقة .

ومنه قوله أيضا :

ان ريب الزمان يحسن أن يهـ

سدى الرزايا الى ذوى الأحساب

فلهذا يجف بعد اهتزاز

قبل روض الوهاد روض الروابي

فمن عادة الزمان أن ينزل المصائب على ذوى المكانة العالية  
والحسب الكريم ، ويترك ما عداهم من الوضعا ، وهذا صفة لا تظهر  
لها علة في العبادة ، وقد عللها الشاعر بقياس خيالى حيث قاسها على  
جفاف رياض الأماكن المرتفعة قبل جفاف رياض الأماكن المنخفضة .  
وعلى الرغم من أن هذا القياس تخيلى إلا أنه أبرز الحكم في معرض  
الحقيقة التي لا يمارى فيها أحد .

ومنه قول ابن نباتة السعدى في صفة فرسن

وأدهم يستعد الليل منه  
وتطلع بين عينيه الثريا  
سرى خلف المسباح يطير مشيا  
ويطوى خلف الأملك طيسا  
فلما خاف وثك للفوت منه  
تثبت - بالقسائم والمهيسا

فببياض غرة الفرس وقوائمه صفة ثابتة لا يظهر لها في العادة علة ،  
وقد تخيل الشاعر لهذا الوصف علة غير حقيقية وهي : أن الصبح هيشما  
خشى أن يسبقه الفرس تشبث بقوائمه ووجهه ليمسوقه عن السبق ،  
فانطبعت هذه الأظراف بلونه الأبيض .

الثاني : أن يكون الوصف ثابتا وتظهر له في العادة علة غير العلة  
الخيالية التي يدعيها القائل . مثال ذلك قول أبي الطيب :  
ما به قتل أعاديه ولكن  
يتقى أخلاف ما ترجو الذئاب

فالذي يتعارفه الناس أن الرجل إذا قتل أعاديه تارادته هلاكهم ،  
ودفع مضارهم عن نفسه ، وليتسلم من أذاهم ويأمن جانبهم ، وقد ادعى  
المتنبى أن العلة في قتل هذا المدحوح لأعدائه غير ذلك ، أنه يقتلهم كي  
لا يخيب رجاء الثأب فيه ، حيث عهدته مومض طيها في الرزق بما قتاله  
من قتل أعدائه ، وهي علة متخيلة ذهب إليها الشاعر ليحقق من وراءها  
لطائف معنوية منها المتباعدة في وصف مدحوحه بالسخاء والجود ، وتمتقيق  
الرجاء والقدرة على هزيمة الأعداء ، وأنه أيسر ممن يسرف في القتل  
غيفا وحفا ولكن الغرض تجليل (٣) .

ومنه قول أبي طالب التاموني في بعض الوزراء ببخارى :

مغرم بالثناء صب بكسب الـ  
مجد يهتسز للسماح ارتياها  
لا يذوق الاغفاء الا رجاء  
أن يرى طيف مستميح رواها

فابتغاء النوم وصف ثابت وعلته معروفة وهي طلب الراحة من  
عناء العمل ونحو ذلك ، وقد علله الشاعر بعلة أخرى من نسج خياله  
هي : رجاء المدح أن يرى طيف العفاة الذين يحضرون اليه لنيل  
عظاياهم . والتقييد بالرواح مشير الى أن المعناة انما يقصدونه في صدر  
النهار على عادة الملوك ، معاذة كان الرواح تلوها ، فهو يشغلق اليهم ،  
فينام ليأنس برؤية طيفهم (٤) .

وأصل هذا المعنى وهو داخل في هذا الضرب قول مجنون ليلى :

وانى لاستغشى وما بى نعمة  
لعل خيالاً منك يلقى خيالها

حيث جعل علّة النوم رجاء أن يرى طيف محبوبته ، وان كانت  
العلّة هنا لا تبعد عن العادة بعدها في قول المأموني ، فإنه قد يتصور أن  
يريد المغرم المتيم اذا بعد عهده بحبيبه أن يراه في المنام ، فيريد النوم  
لذلك خاصة (٥) .

ومن لطيف هذا الضرب قول ابن المعتز :

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم  
من كثرة القتل نالها الوصب

(٤) انظر المسابق ٢٥٨ .

(٥) الايضاح ٦٠/٦ .

حمرتها من دمباء من قتلت  
والدم في النصف شاهد عجب (٦)

فحمة العين وصف ثابت وعلته الحقيقية ما يقع في العين من قذى  
أو ما يصيبها من رمد ، ولكن الشاعر ادعى لذلك علة خيالية ، هي :  
أن هذه الحمة ناشئة من كثرة ما أسالت من دماء العشاق .

ومنه قول الشاعر :

أنتى تؤنبنى بالبكاء فأهلا بها وبثأنيها  
تقول وفي قولها حكمة أتبكي بعين ترائى بها  
مقلت إذا استحسننت غيركم أمرت الدموع بتأديها

فدمع العين انما ينزل بسبب فراق الأحبة وهجرانهم ونحو ذلك ،  
ولكن الشاعر علله بعلة خيالية هي أنه يؤدب عينه بالدموع عقابا لها على  
استحسنائها غير المحبوب .

الثالث : أن يكون الوصف غير ثابت وأريد اثباته وهو ممكن .  
كقول مسلم بن الوليد :

يا واثيا حسنت حيناً أسعته

نجى حذارك أنساني من الغرق (٧)

فاستحسن أساءة الواثي وصف غير ثابت ، ولم يعهد الناس أن  
انسانا استقبلها بالرضا والسرور ، ولكن هذا ممكن لا يدخل في حيز  
المستحيل ، وقد علق الشاعر استحسنانه أساءة الواثي بعلة مقبولة هي

---

(٦) اشتكت : مرضت . والنصل : السيف ، وأطلق هنا على العين  
على سبيل الاستعارة لتشابهها له في القتل .  
(٧) حذارك : حذارى أياك . انساني : إنسان عيني وهو ما يرى في  
سوادها أو هو سواد العين .

أن حذره من الواشى منعه من البكاء ، فسلم انسان عينه من الغرق في  
الدموع ، وهذا شيء يشكر الواشى عليه .

ومنه قول عنتره :

ولقد ذكرتك والرمساح فواهل  
منى وبيض الهند تكلمت من دمي  
فودجت تقبيل السيوف لانها  
لمعت كسارق ثغر المتسهم

فمحبية تقبيل السيوف وصف غير ثابت لكنه ممكن ، وقد علق  
الشاعر محبته هذا القمل بأن السيوف تلمع أكثر محبوبته لذا فهو  
يود تقبيلها .

ومن هذا قول الشاعر :

أهلا وسهلا بالمشيب فانه  
سمة العفيف وخلية الزهاد

فالترحيب بالمشيب وصف غير ثابت ، ولكنه ممكن ، وقد علق  
الشاعر ترحيبه به لما يسبغه على المرء من سمات العفاف وصفات الزهاد .

ومنه قول الآخر :

جزى الله الشدائد كل خير  
وإن جرعتني عصي بريقتي  
وما شجركي لها إلا لانسى  
عرفت بها عدوى من صديقتي

فدعوته للشدائد بالخير وشكره لها شيء غير معهود في طباع  
الناس وإن كان غير مستحيل ، وقد علق الشاعر صدور ذلك منه بأنها  
دلته على أصدقائه وأعدائه فلم يعد يخدع بأدعياء الصداقة .

ومنه قول الأضير :  
عداتي لهم فضل، طيب ومنمة  
فلا أذهب الرحمن عنى الأعدايا  
هم بحثوا عن زلتى فاجتنبتها  
وهم نافسونى فاكسبت المعاليا

فلا اعتراف بفضل الأعداء ، والدعاء لهم شيء خير من اليهود ، لكنه  
ممكن الحدوث ، وقد علق الشاعر صدور ذلك منه بأن الأعداء كانوا  
سببا في اجتنابه الزلات واكتسابه المعالي ، اذ كانوا وراءه بالرصاص  
يتبعون سقطاته ، وينافسونه في الفضل .

الرابع : أن يكون الوصف غير ثابت وأريد اشياء وهو غير ممكن  
ومثل له الخطيب بقول الشاعر :

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته  
لما رأيت عليها عقد منتطق (أ)

فنية الجوزاء بخدمة الممدوح وصف غير ثابت ، وغير ممكن  
لاستحالة عقلا وهو خارج ، ولكن الشاعر ادعى ثبوته بعلق لطيفة هي رؤية  
الجوزاء منتطقة ، وهذا أمانة استمدادها لخدمة الممدوح .

واعترض على الخطيب بأن المقوم من البيت على ما هو نص «أو»  
من امتناع الجزاء لا امتناع الشرط ، أن تكون نية الجوزاء خدمته علة  
لرؤية عقد النطاق عليه ، وبرؤية عقدا النطاق عليه أي الحالة الشبيهة  
بانتطق المنتطق . وهذا ثابت تصدق عليها بنية خدمة الممدوح ، فيكون

١٨٦ الجوزاء : بزج طالع الجوزاء نجومه تسمى نطق الجوزاء ، وتواصل  
النطاق ما يشبه في الوسيط

من الضرب الأول من حسن التعليل، وهو ما كان في الوصفه الثابت  
الذي لا تظهر له في المعادة غلة (٩) .

وقيل في الرد على هذا ، ان « لو » في البيت لتيست لامتناع الجواب  
لامتناع الشرط ، بل الاستدلال بانتفاء الجزاء على انتفاء الشرط كما  
في قوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » (١٠) ، فالانتطاق  
وان كان معلولا مسببا عن النية في الخارج ، يجعل غلة للعلم بوجود  
النية . ، لانه يستدل بوجود المسبب على وجود السبب ، وبانتفاء الملازم  
على انتفاء الملزوم (١١) . ولم يسلم هذا الرد من الاعتراض والملاحقة  
على عادة الشراح والمحققين (١٢) .

ومثل هذا قول أبي الحسن التهامي :

لو لم يكن أقحسوانا ثغر مبسمها  
ما كان يزداد طيبا ساعة السحر

فجعل ثغرها أقحسوانا ، وهو لا يمكن أن يكون كذلك ، ولكنه للتخص  
لعدواه غلة لطيفة هي ازدياد ثغرها طيبا ساعة السحر كرهوز الأحموان .

ومنه قول محمد بن هانيء :

قد طيب الأفواه طيب ثنائك  
من أجل ذا تجد الثغور عذابتا

فطيب الثناء لا يطيب الأفواه ، ولكن اشعر أثبت ذلك بدليل  
غذوية الثغور .

(٩) المطبول ٤٢٧ ، ٤٢٨ .

(١٠) الانبياء آية ٢٢ .

(١١) شروح التلخيص ٤/٢٨٠ - ٢٨١ .

(١٢) انظر السابق ٤/٢٨٢ ، والمطول ٤٢٨ .

والحق البلاغيون بحسن التعليق ما كان الأمر المدعى فيه مبنيا على  
الشك لا على القطع كما في الصور السابقة ، ومن هذا قول أبي تمام :

ربى شفعت ريح المسبا لرياضها  
الى المزن حتى جادها وهو هامع  
كان السحاب الغرغرين تحتها  
حبيبا فما ترقا لهن مدامع (١٣)

فقد علل على سبيل الشك نزول المطر من السحاب بأنها غيبت تحت  
تلك الربي حبيبا فهي تبكى عليه باستمرار (١٤) .

ومنه قول أبي الطيب :

رحل الخزاء برحلتى فكأنتى  
أتبعته الأنفاس للتشيع (١٥)

فعلة تصيد الأنفاس في العادة هي التعسر وانتاسف ، لكن  
الشاعر عللها بأنها خرجت تشيع الصبر لما رحل فهو رقيقها داخل الصدر،  
وذلك قضاء لحق الصحبة . ومنه قوله أيضا :

وكان كل سحابة وكفت بها  
تبكى بعيني عروة بن حزام (١٦)

فعل على سبيل الشك نزول المطر من السحاب بأنه يبكى بعيني  
عروة بن حزام وهذا كناية عن كثرة ما ينزل منه من الماء .

(١٣) المزن : السحاب الأبيض ، والهامع : المطر بكثرة والغر :  
السحاب ذو المطر الغزير ، وترقا : مخفف ترقا أى تسكن . والضمير في  
تحتها للربي .

(١٤) معاهد التنصيص ٦٩/٣ .

(١٥) الخزاء : الصبر . والتشيع : التويع .

(١٦) وكفت بها : أى تطرقت إليها . وعروة بن حزام أحد عشاق العرب  
المشهورين وصاحبته عفرام .



ومنه قول ابن نباتة السعدي في وصف فرس :  
فكأنما نظم الصباح جبينه  
فأقتص منه فخاض في أحشائه

فعل على سبيل الشك بياض غرة الفرس وقوائمه بأن الصباح  
اعتدى على الفرس ولطمه في جبينه فأبيضت جبهته ، فأراد الفرس أن  
يقتص منه لنفسه فهاجم الصباح وخاض بقوائمه في أحشائه فأبيضت  
كذلك .

وانما كان هذا النوع ملحقا بحسن التعليل ولم يكن منه لان في  
حسن التعليل ادعاء لتحقيق الأمر وإصرارا على هذا الادعاء ، وأداة  
الشك تتنافى مع هذا الإصرار ، فلما اشتمل هذا اللون على أداة الشك  
جعلوه ملحقا بحسن التعليل وليس منه .

وينبغي التنبيه الى الاختلاف بين حسن التعليل والتعليل الحقيقي ،  
فحسن التعليل الذي شرحناه اون بديهي يقوم على التخيل والادعاء  
لا على الحقيقة ، والعلل فيه على خيالية غير مطابقة للواقع كما رأينا  
فيما عرضناه من أمثلة . ومن هنا لا توجد لحسن التعليل شواهد في  
القرآن الكريم لانه لون مرتبط بالخيال والبعد عن الواقع والحقيقة ،  
والقرآن الكريم كتاب الحق الذي ينطق بالحق ، ويتحدث بالحقيقة .

لما التعليل الحقيقي ففيه يعلل الشيء بعلمته الحقيقية التي  
لا يشوبها شيء من الخيان ، وقد جاء بكثرة في القرآن الكريم ، وأفرد  
له الزركشي بابا بين فيه الحكمة من ذكر الشيء مطلقا ، وفصل فيه  
الطرق الدالة على العلة (١٧) . وخطب العمري بين أمثلة التعليل  
الحقيقي وحسن التعليل ، وبحث ذلك تحت عنوان التعليل ومثل له

بقوله تعالى : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » (١٨) • وعلق عليه بقوله : فسبق الكتاب من الله تعالى علة النجاة من العذاب ، كما مثل له بقول البحتري :

ولو لم تكن ساخطا لم أكن  
لذم الزمان وأشكو الخطوبيا

وعلق عليه بقوله : فوجود سخط المدوح هو علة في شكوى الشاعر (١٩) •

وواضح أن التعليل في الآية تعليل حقيقي ، ولا صلة له بحسن التعليل ، في بيت البحتري فهو مبني على التخييل والادعاء ، وكان على الحموي أن يفصل بينهما •

#### حسن التعليل في الاساليب وبلاغته :

يرتبط حسن التعليل بقدر من الفكر والتأمل ، وشيء من الصنعة ، ومن هنا ندر وجوده في الشعر القديم ، وأخذ في الازدياد والانتشار لدى شعراء العصر العباسي وما تلاه من عصور • فنجد منه نماذج جيدة في موضوعات مختلفة لدى مسلم بن الوليد ، وأبي تمام ، والبحتري ، وابن المعتز ، وابن الرومي ، والمتنبي ••• وغيرهم • ومن رواه قول مسلم بن الوليد :

ان يعمدوا فوقى لغير نزاهة  
وعلو مرتبة وعز مكان  
فالنار يعلوها الدخان وربما  
يعلو الغبار عمائم الفرسان

(١٨) الأنفال آية ٦٨ •  
(١٩) خزائن الأدب ٢/٣٩١ •

فهو لا يحبا بمن يفتخرون فوقه دون استحقاق ، ولا يقيم لهم وزنا ،  
لان انوار يعلوها الدخان ، والخبار يطو عمائم الفرسان •

وقول أبي تمام :

ولا يروعك ايماس القتير به

فان ذلك ابتسام الراى والأدب (٢٠)

فبياض الشيب فى الممدوح ينبى ألا يضيف ، فهو نور العقل  
والأدب قد انتشر ، وبان من وجهه وظهر •

وقول البحترى :

وبياض البازى أصدق حسنا

ان تأملت من سواد الخراب

فهو لا يرى فى الشيب بأسا ، لان اللون الأبيض مفضل على  
الأسود ، وبياض البازى أبهى وتحسن فى الميون من سواد الخراب •

وكان عبد الملك بن ادريس الحريرى بين يدى المنصور أبى عامر  
فى ليلة يبدو فيها القمر تارة ويختفى بالسحاب تارة ، فأنشد على  
البديهة :

أرى بدر السماء يلوح حيناً

ويبدو ثم يلتحف السحابا

وذاك لانه لما تبدى

وأبصر وجهك استحيا وغابا (٢١)

فعل اختفاء البدر فى السحاب باستحياك من الممدوح لما أبصر

(٢٠) القتير : الشيب .

(٢١) معاهد التنصيص ٣/٧٤ .

وجبه الذي يفوق البدر في النضارة والضياء . وقال أبو الحسن النوبختي  
في هذا المعنى :

لم يطلع البدر إلا من تشوقه  
أليك حتى يوافي وجهك النضرا  
ولاً تغيب إلا عند خجلته  
لما رآك فولى عنك واستترا

فعل طلوع البدر بتشوقه لرؤية مخاطبه ، واستتاره بخجله من  
حسنه لما رآه .

وقد أكثر الشعراء المتأخرون في عصور الضعف الأدبي من هذا  
الفن وتباروا في الاتيان به دون احتراز عن التكلف ، والغلو ، ودون  
مبالاة بكونه سمياً خالياً من الطرافة والاطافة ، فجاء كثير منه معيباً على  
الرغم مما تضمنه من خيال . من ذلك قول الشاعر :

بكت ففدك الدنيا قديماً بدمعها  
فكان لها في سالف الدهر طوفان

فعل الطوفان الذي أهلك الكافرين من قوم نوح عليه السلام  
بكونه دموعاً قديمة الدنيا بكت بها مقدماً فقد هذا الرجل العظيم وهذا  
غلو ممقوت ليس فيه ما يؤهله للقبول .

### وقول الأخر

تجاسر عود اللهو يشبه صوتها  
فمن أجل هذا أصبح العود يضرب

د يضرب على أوتاره ليصدر عنه الصوت الجميل الذي يطرب  
ولكن من علل ضربه بأنه تجراً على محاكاة صوت تلك المغننية ،

فأدب بالضرب على أوتاره ، وهي وإن كانت علة خيالية إلا أنها خالية  
من التلطف والخلابة ولا تتفعل بها النفس •

وحسن التعليل لا يكون فنا جميلا إلا إذا صدر عن شخص  
صادق ، وتضمن معنى لطيفا وعلّة طريفة ، وفائدة شريفة ، وكان له وقع  
في النفس وتأثير فيها •

وقد أكد الشيخ عبد القاهر على هذا في حديثه عن التخييل والتعليل  
في بيت المتنبي :

ما به قتل أعاديه ولكن  
يتقى اضلاف ما ترجو الذئاب

فبعد أن بين أن المتنبي تجاوز العلة الحقيقية في قتل الأعداء  
وادعى علة متخيلة ذكر أن هذا لا يقبل ولا يكون حتى يكون في استئناف  
العلة المدعاة فائدة شريفة فيما يتمل بالمدوح ، أو يكون لها تأثير في  
الذم (٢٢) ، وما أسبه ذلك حسب أغراض الكلام ومقاصد القائلين •

ولحسن التعليل المقبول شأن جليل في صنعة الشعر ، وإخراجه  
من قيود البراهين العقلية والحجج المنطقية إلى التطبيق في سماء الخيال،  
حيث يجد عالما غير محدود ينمو فيه ويزدهر ، والصنعة إنما يمتد باعها ،  
وينشر شعاعها ، ويتسع ميدانها ، وتتفرع أفرانها حيث تعتمد الاتساع  
والتخييل ، ويدعى الحقيقة فيما أصاه التقريب والتمثيل ، وحيث يقصد  
التلطف والتأويل ، ويذهب بالقول مذهب المبالغة ... في سائر المقاصد  
والأغراض ، وهناك يجد الشاعر سبيلا إلى أن يبدع ويزيد ، ويبدىء  
في اختيار الصور ويعيد ... ويكون كالمعترف من غدير لا ينقطع ،  
والمستخرج من معدن لا ينتهى (٢٣) •

(٢٢) اسرار البلاغة ٢٥٧ .

(٢٣) اسرار البلاغة ٢٣٧ .

### التجريد

التجريد أسلوب بديع استعمله فصحاء العرب استعمالاً فطرياً ،  
وجرى على السنة شعرائهم ، وبرز على وجه الخصوص في مطالع  
قصائدهم .

ومن قديم ما ورد منه قول امرئ القيس :

تطاون ليك بالاثمد ونام الخلى ولم ترقيد

وقول علقمة بن عبدة :

طحا بك قلب في الخسان طروب

بعيد الشباب عصر جان مشيب

وقول الخنساء :

قذى بعينك أم بالعين عوار

أم ذرفت إذ خلت من أهلها الدار

وغير ذلك مما يضيق المقام عن ذكره .

وورد هذا الأسلوب في القرآن الكريم بنسبة غير قليلة (١) ،  
وظل دائراً على السنة الشعراء والفصحاء لى يومنا .

والتجريد مأخوذ من « جرد » وهي تدور حول القشر والنزع  
وتأخذ شيء عن شيء ونحو ذلك . يقال : جرد الشيء وجرده أى قشره ،  
وجرد الجلد وجرده ، أى نزع عنه الشعر ، والجرود : الذى يجرد عنه  
الخوص ، ولا يسمى جروداً ما دام عليه الخوص وإنما يسمى سعفاً ،

(١) ينظر لأفوائد ١٦٨ . وقد عرضنا لأسلوب التجريد وبلاغته في  
بحث موسع ضمن كتابنا : بحوث في البلاغة والنقد .

وكل شيء قشرته عن شيء فقد جردته عنه ، والجرد : أخذ الشيء عن الشيء عسفا وجرفا (٢) .

والتجريد عند البلاغيين مأخوذ من ذلك ، فهو عندهم : أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها فيه (٣) .

وبمقتضى تعريف التجريد يكون لهذا الأسلوب ثلاثة أركان (٤) :

المجرد منه : وهو الموصوف المنتزع منه أمر آخر .

المجرد : وهو الأمر الذي انتزع من الموصوف .

الصفة : وهي التي يراد بيانها والمبالغة فيها .

فاذا قلت : لى من محمد صديق حميم . فالمجرد منه : محمد .  
والمجرد : صديق حميم ، والصفة : الصداقة .

وإذا قلت سألت بخالد البحر . فالمجرد منه : خالد . والمجرد : البحر . والصفة : الكرم .

### أقسام التجريد :

ذكر الخطيب أن التجريد أقسام ، ولم يحصر عدد هذه الأقسام ، ولم يحدد ضوابطها ، وإنما ذكر أمثلة لسبعة أقسام ، وأهتم شرح التلخيص ببيان ضوابطها ، وهي على النحو التالي :

١ - ما يكون بمن التجريدية ، نحو قولهم : لى من فلان صديق حميم .

(٢) لسان العرب : مادة جرد .

(٣) الأيضاح ٥٤/٦ .

(٤) ينظر عروض الأراج ٣٥٧/٤ ، والبدائع من المعاني والاصطلاح ٧٧ .

أى بلغ فلان من انصداقة حدا صح معه أن يستخلص منه صديق  
آخر مثله في الصداقة (٥) • ومنه قول الشاعر :

ترى منهم الأسد الغضاب إذا سطوا  
وتتظر منهم في اللقساء بدورا

ولم يمثلوا لهذا القسم الا بما دخلت فيه « من » على المنتزع  
منه • و « من » في هذه الحالة تكون للابتداء ، لان المنتزع مبدؤه  
ونشأته من المنتزع منه الذى هو مدخول « من » ، وأما جعلها للبيان  
فلا تفيد المبالغة ، فان بيان شيء بشيء لا يدل على كمال المبين في  
الوصف بخلاف جعله مبتدأ ومنشأ لذى وصف ، فانه يدل على كمال  
ذلك الشيء باعتبار ذلك الوصف ، فاذا قيل : لى من فلان صديق  
حميم ، فكانه قيل : خرج لى من فلان وأثنى منه صديق آخر ، ولا شك  
أن هذا يفيد المبالغة في وصف فلان بالصداقة (٦) •

وكلام اليرمخشري يقتضى أنها بيانية ، حيث قال في قوله تعالى :  
« هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين » (٧) يحتمل أن تكون « من »  
بيانية كأنه قيل : هب لنا قررة أعين ثم بين القررة بقوله « من أزواجنا »  
وهو من قولهم : رأيت منك أسدا ، (٨) أنت أسد (٨) •

والأحسن أن تكون ابتدائية لما قدمناه ، ولأن من البيانية شرطها  
أن يتقدم عليها المبين (٩) ، وهذا مخالف لما نحن فيه •

وهذا القسم لا يقصد منه تشبيه الشيء بغيره • وزعم بعضهم  
أنه على حذف المضاف فمعنى قولهم : لقيت من زيد أسدا ، لقيت من

(٥) بغية الإيضاح ٤/٤٤ . والطول ٤٢٢ .

(٦) القرآن آية ٧٤ .

(٧) مواهب المتاح ٤/٣٤٩ . وحاشية للسوقى ٤/٢٤٩ .

(٨) الكشاف ٣/١٠٢ .

(٩) عروس الأعراف ١/٣٥٧ :



لقائه أسدا ، وانعرض تشبيهه بالأسد . ولا يخفى ضعف هذا التقدير في مثل قولنا : لى من فلان صديق حميم ، لفوات المبالغة في تقدير : حصل لى من حصوله صديق (١٠) .

٢ - ما يكون بالباء التجريدية الداخلة على المنتزح منه نحو قولهم : لئن سألت فلانا لتسألن به البحر . فقد بالغ في أتصافه بالسماحة حتى انتزح منه بحرا في السماحة (١١) .

والباء هنا يناسبها أن تكون للمصاحبة ، أى لتسألن مع فلان حين سؤالك له بحرا آخر معه ، أى شخصا كريما كالبحر مصاحبا له . ويحتمل أن تكون لاسببية ، أى لتسألن بسببه البحر . بمعنى أنه كان سببا لوجود بحر آخر معه مجردا منه مماثلا له في كونه يسأل (١٢) .

ويشير كلام الزمخشري الى أنها سببية ، حيث قال في قوله تعالى : « فاسأل به خيرا » (١٣) أى فاسأل بسؤاله خيرا كقولك : رايت به أسدا لى برؤيته (١٤) .

وهذا القسم يقصد فيه تشبيه الشيء بغيره (١٥) ، وهذا واضح من كلامهم السابق في بيان معنى الباء . ومن قول الدسوقي ان كان المراد بالسؤال في قوله لتسألن به البحر ، سؤال دفع الحاجة فيكون التشبيه بالبحر في السماحة ، وان كان السؤال لدفع الجهل فيكون التشبيه بالبحر في كثرة العلم (١٦) .

(١٠) المطول ٤٢٢ .

(١١) بغية الايضاح ٤٤/٤ . والمطول ٤٢٢ .

(١٢) مواهب اللقاح ٣٥٠/٤ . وحاشية الدسوقي ٣٥٠/٤ .

(١٣) الفرقان آية ٥٦ .

(١٤) الكشاف ٦٨/٣ .

(١٥) عروس الأفراح ٣٥٠/٤ .

(١٦) حاشية الدسوقي ٣٥٠/٤ .

وقد بين الامام عبد القاهر أن قولهم : لقيت به أسدا ورأيت به  
لهيئا ، من قبيل التشبيه (١٧) .

٣ — ما يكون بدخول الباء التجريدية على المنتزح نحو قول  
الشاعر :

وشوهاء تعدو بي الى صارخ الوغى  
بمستلثم مثل الفنيق المرهل

والشوهاء : الفرس القبيحة المنظر لسعة أشداقها أو لما أصابها  
من شدائد الحرب ، وتعدو بي : تسرع بي ، وصارخ الوغى : المستغيث  
في الحرب ، والمستلثم : لابس اللامة وهي الدرع ، والباء للمصاحبة ،  
والفنيق : الفحل المكرم من الابل ، الذي ترك أهله ركوبه تكرامة له ،  
والمرهل : المرسل عن مكانه غير المربوط .

أى : تعدو بي ومعنى من نفسى لكمال استعدادها للحرب لابس  
درع . وبذلك بالغ في وصف نفسه بالشجاعة والاستعداد للحرب حتى  
انتزح منها مستعداً آخر لابساً لامة (١٨) .

وهذا القسم لا يدل على التشبيه ، والباء فيه للمصاحبة والملابسة،  
ولا يناسبها هنا إلا هذا المعنى ، لأنها لو جعلت للسببية كان التقدير :  
تعدو بي بسبب مستلثم ، فيكون المستلثم الذى هو المنتزح سبباً للمجرد  
منه وهو الذى يلبس اللامة حقيقة ، والمقرر أن المجرّد منه هو السبب  
والمنشأ لا العكس ، وأذلك جعلت الباء للمصاحبة (١٩) .

٤ — ما يكون بدخول « فى » على المنتزح منه نحو قوله تعالى :

(١٧) أسرار البلاغة ٢٩١ .  
(١٨) بغية الأيضاح ٤/٤٥ ؛ وائلطول ٤٣٢ .  
(١٩) مواهب الفتح ٤/٢٥١ . وينظر عروض الأراج ٤/٢٥٠ .

« لهم فيها دار الخلد » (٢٠) ، أى : للكافرين في جهنم دار الخلد ، وجهنم — أعادنا الله منها — هي نفسها دار الخلد ، لكن انتزعت منها دار أخرى مثلها ، وجعلت معدة فيها لأجل الكفار ، وفي ذلك تهويل لأمرها (٢١) ، وبيان لكونها محلا لخلاودهم .

و « في » هنا للظرفية ، وقد بولغ في وصف جهنم بكونها دارا ذات عذاب مخلد حتى صارت بحيث تفيض وتصدر عنها دار أخرى هي مثلها في اللزوم وقوة العذاب بلا ضعف مع التخليد (٢٢) .

وهذا القسم لا يقصد فيه تشبيهه بشيء غيره (٢٣) ، وقد أشار الامام عبد القاهر الى ذلك في بيانه للآية السابقة (٢٤) .

• — ما يكون بدون توسط حرف من حروف التجريد نحول قول قتادة بن مسلمة الحنفى :

فلئن بقيت لأرسلن بغزوة  
تحوى الغنائم أو يموت كريم

وتحوى الغنائم : تجمعها . والجملة صفة غزوة ، وأو بمعنى الا ، والفعل يموت منصوب بأن مضمرة والتقدير : الا أن يموت كريم . والتجريد في قوله : أو يموت كريم ، حيث عنى بالكريم نفسه ، فكأنه انتزع من نفسه كريما مبالغة في وصفها بالكرم ، ولذلك لم يقل أو أموت ، كما هو مفهوم من الكلام إذ المعنى : لأجمن الغنائم أو أموت . فترك هذا وعبر بطريقة التجريد للمبالغة في وصف نفسه بالكرم ،

(٢٠) فصلت آية ٢٨ .

(٢١) بغية الايضاح ٤/٤٥٠ ، والمطول ٤٣٣ .

(٢٢) مواهب الفتاح ٤/٣٥٢ .

(٢٣) عروس الامراء ٤/٣٥١ .

(٢٤) ينظر أسرار البلاغة ٢٩١ .

لدلالة الانتزاع على أنه بلغ في الكرم إلى حيث يفيض ويخرج عنه كريم  
آخر مثله في الكرم (٢٥) .

وعلى هذا قراءة من قرأ « فإذا انشقت السماء فكانت وردة  
كالدهان » برفع « وردة » بمعنى : فحصلت سماء وردة ، وهما شيء  
واحد . فيكون ذلك من قبيل التجريد بغير حرف من حروف التجريد .

وقيل تقدير البيت : أو يموت منى كريم ، وتقدير الآية : فكانت  
منه وردة كالدهان وعلى هذا يكون التجريد في البيت والآية بواسطة  
« من » التجريدية ، والخطيب نظر في ذلك (٢٦) . وفسر السعد هذا  
النظر بأن التجريد حاصل والمعنى تام بدون هذا التقدير ، ولا قرينة  
عليه (٢٧) ، ومن ثم فلا حاجة إليه .

وهذا القسم لا يدل على التشبيه (٢٨) .

٦ — ما يكون بطريق الكناية نحو قول الأعشى :

يا خير من يركب المطى ولا

يشرب كأسا بكف من بخلا

والشاهد في قوله : ولا يشرب كأسا بكف من بخلا . فهو كناية  
عن شربه الكأس بكف كريم . والشأن أن الإنسان يشرب بكف نفسه ،  
فانتزع الشاعر من ذلك المدح شخصا كريما يشرب من كفه المدح  
مبالغة في كرمه ، فصار الأصل : ويشرب بكف كريم ، ثم عبر عن ذلك  
المعنى بالكناية ، بأن أطلق المألوم وهو تسمى الشرب بكف البخيل وأراد  
اللازم وهو الشرب بكف الكريم (٢٩) .

(٢٥) المطول ٤٣٣ ، وموأهبت الفتاح ٢٥٢/٤ :

(٢٦) بغية الايضاح ٤٠/٤٥ ، ٤٦ .

(٢٧) مختصر السعد ٣٥٤/٤ ، والمطول ٤٣٣ .

(٢٨) بغية الايضاح ٤٥/٤ ، وعروس الأبراج ٢٥٢/٤ .

(٢٩) المطول ٤٣٣ ، وخاتمة الخصوم ٢٥٤/٤ .

ونحو هذا قول الشاعر :

ان تلقنى لا ترى غيرى بناظرة  
تنس اسلح وتعرف جبهة الأسد

والشاهد في قوله : وتعرف جبهة الأسد . حيث كنى بذلك عن معرفة الأسد نفسه ، فكأنه قال : وتعرف الأسد (٣٠) . وهو يقصد بالأسد نفسه ، فانترع من نفسه أسدا على سبيل التجريد مبالغة في شجاعته ، والتقدير : وتعرف منى الأسد .

وهذا القسم كالذي قبله لا يقصد به التشبيه (٣١) ، والتجريد فيه بغير حرف ، الا أن الذي قبله تجريد بمنطوق ، وهذا تجريد بمفهوم ، لان قوله : بكف من بخلا . ليس فيه تجريد ، بل مفهومه أنه يشريها بكف من لم يبخل ، فكأنه جرد من نفسه غير بخيل ، وأثبت بالمفهوم أنه يشريها بكفه (٣٢) .

٧ — ما يكون بمخاطبة الانسان نفسه . كقول الأعشى :

ودع هريرة ان اركب مرتحل  
وهل تطيق وداعا أيها الرجل

وكتول أبي الطيب :

لا خيل عندك تهديها ولا مال  
فليسعد النطق ان لم يسعد الحال

فقد انتزع من نفسه شخصا آخر مثله في فقد الخيل والمال ووجه اليه الخطاب (٣٣) .

---

(٣١) بغية الايضاح ٤/٤٦ .  
(٣٢) ينظر أسرار البلاغة ٢٩١ .  
(٣٣) عروبي الأفراس ٤٤/٣٥٥ .  
(٣٣) بغية الايضاح ٤/٤٦ ، ٤/٣٧ ، والطول ٤٢٢

وهذا القسم لا يدل على التشبيه ، وبيان التجريد فيه : إن المتكلم  
ينتزع من نفسه شخصا آخر مثله في الصفة أتى سيق لها الكلام ثم  
يخاطبه ، فمخاطبة الانسان نفسه تستلزم التجريد (٣٤) •

وأشار السبكي في بيانه لهذا القسم الى أمرين :

الأول : أن هذا اللون من التجريد قد يكون بغير المخاطبة •

والثاني : وجه المبالغة في هذا اللون من التجريد • حيث قال :  
فإن قيل أين المبالغة في التجريد بخطاب الانسان لنفسه ؟ قلت : كأنه  
يجعل نفسه لكامل الادراك كأن فيها نفسا أخرى • ومن أحسنه قوله  
تعالى : « يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها » (٣٥) ، صيرها لشدة  
جدالها كأنها تجادل عن غيرها (٣٦) •

وبهذا تنتهي أقسام التجريد السبعة التي مثل لها الخطيب وقصلاها  
شرح تلخيصه ، وأشار السبكي الى أقسام أخرى للتجريد ، فبعد أن  
انتهى من شرح الأقسام السبعة المذكورة قال : وبقي من أنواع التجريد  
أن يقصد التشبيه ويكون بمن أو في نحو : رأيت من فلان أو فيه البحر •  
أو لا يقصد التشبيه ويكون بالباء أو في نحو : لي به أو فيه صديق  
حميم (٣٧) •

وبهذا تكون أقسام التجريد عند السبكي عشرة هي :

١ - ما يكون بمن ولا يقصد به التشبيه • نحو : لي من محمد صديق  
حميم •

(٣٤) الطول ٤٣٤ ، ومواهب الفتاح ٣٥٦/٤ .

(٣٥) النحل آية ١١١ •

(٣٦) عروس الأعراس ٣٥٧/٤ .

(٣٧) عروس الأعراس ٣٥٧/٤ .

- ٢ — ما يكون بمن ويقصد به التشبيه • نحو : رأيت من خالد البحر •
- ٣ — ما يكون بالباء الداخلة على المنتزح منه ولا يقصد به التشبيه •  
نحو لى بمحمد صديق حميم •
- ٤ — ما يكون بالباء الداخلة على المنتزح منه ويقصد به التشبيه •  
نحو : لتسألن به البحر •
- ٥ — ما يكون بالباء الداخلة على المنتزح كقول الشاعر :  
وشسوها .. الخ •
- ٦ — ما يكون بفي ولا يقصد به التشبيه • نحو : لى فى محمد  
صديق حميم •
- ٧ — ما يكون بفي ويقصد به التشبيه • نحو : رأيت فى محمد  
البحر •
- ٨ — ما يكون بغير حرف •
- ٩ — ما يكون عن طريق الكناية •
- ١٠ — ما يكون بمخاطبة النفس ، وهذه الأقسام الأخيرة لا يقصد بها  
التشبيه ، وأمثلتها قد تقدمت •

### التجريد والالتفاتات :

أثار سراح التلخيص مسألة اجتماع التجريد والالتفاتات فى  
توضيحهم للتجريد فى قول قتادة بن مسلمة :

فلئن بقيت لأرحان بغزوة تحوى الغنائم لو يموت كريم

فقوله : أو يموت كريم • شاهد للتجريد بدون حرف ، حيث عنى  
بالكريم نفسه ، والتقدير : أو أموت • فجرد من نفسه كريما مبالغة فى  
وصفها بالكرم • وهو فى ذات الوقت يصلح شاهداً للالتفاتات ، حيث

انتقل من التكلم في « لأرحلن » الى الغيبة في « يموت » ، ولو سار  
الكلام على مقتضى الظاهر لقال أو لموت .

ومن هنا أثرت المناقشات حول هذه المسألة . وللبلاغيين فيها  
رأيان :

الأول : رأى الجمهور وهو انه لا تعارض بين التجريد والالتفات  
فيمكن اجتماعهما .

وكلام السكاكي في الالتفات يفهم منه ذلك ، حيث أشار في كلامه  
عن التفاتات امرىء القيس الى ما فيها من تجريد . ففى تعليقه على  
أبيات امرىء القيس :

تطاول ايلك بالائمـد      ونام الخلى ولم ترقـد  
ويات ويات له ليـله      كليـلة ذى العائر الأرمـد  
وذلك من نبأ جـاضى      وخبرته عن بنى الأـسود

يقول : وليس ابن الحجر الكندى يبعد — وهو المشهود له في شأن  
البلاغة ، اذا التفت تلك الالتفات وكان يمكنه ألا يلتفت لبته ... — أن  
يكون حين قصد تهويل الخطب واستفخاذه في النبأ الموجه والخبر  
المفجج ... فعل ذلك منها في التفاتة الأول على أن نفسه وقت ورود ذلك  
النبأ عليها ولها وله التلكى ، فأقامها مقام المصاب الذى لا يتسلى  
بعض التسلى الا بتفجع الملوك له ، وتحزنهم عليه ، وأخذ يخاطبه :  
بتطاول ايلك ، تسلية . أو نبه على أن نفسه لفظاعة شأن النبأ ، أو  
استسعارها معه كمدا وإرتماضا ، أبدت قلقا ... وضجرا ... وكان  
من حقها أن تتثبت وتتصبر ... فحين لم تفعل ذلك شككته في أنها  
نفسه ، فأقامها مقام مكروب ذى حرق ، قائلا له . تطاول ايلك ،  
مسـليا ...



أو نبه في التفاتة الأول على أن نفسه حين لم تثبت ولم تقتصر ،  
غايته ذلك فأقامها مقام المستحق للعتاب فأثلا له على سبيل التوبيخ  
والتعير : تطاول ليك (٣٨) .

فهذا التحليل ناطق بوجود التجريد بجانب الالتفات ، حيث أقام  
الشاعر نفسه مقام المصاب أو المكروب أو المستحق للعتاب ، وخاطبه  
بقوله : تطاول ليك ... وهذا ما جعل السبكي يقسول : وقد صرح  
السكاكي بلفظ التجريد في أثناء كلامه عن الالتفات في أبيات امرئ  
القيس (٣٩) .

وبجانب ما ذكره السكاكي نرى عددا من ابلاغيين يمثلون في  
التجريد بيت قتادة بن مسلمة (٤٠) ، مع جواز تخريجه على الالتفات ،  
وهذا يشعر بأنهم لا يرون مانعا من اجتماع التجريد والالتفات .

والى هذا الرأي ذهب السبكي ، وبين أن بينهما عموما وخصوصا  
من وجه ، فيوجد التجريد دون الالتفات كقولك : رأيت منه أسدا ،  
ومثل : تطاول ليك ... على رأى الجمهور في الالتفات . ويوجد  
الالتفات دون التجريد نحو قوله تعالى : « والله الذى أرسل الرياح  
فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت » (٤١) ، ففى « سقناه » التفات  
لا تجريد . ويجتمع الالتفات والتجريد نحو قوله تعالى : « انا اعطيناك  
الكوثر فصل لربك وانحر » (٤٢) ، ففى « ربك » التفات وتجريد ، ونحو  
قول الشاعر : طحا بك قلب فى الحسان طروب ... ففى « بك » التفات  
على رأى السكاكي وتجريد (٤٣) .

(٣٨) مفتاح العلوم ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(٣٩) عروس الأبراج ٤٧٧/١ .

(٤٠) ينظر حسن التوسل ٢٨٦ ، وبغية الإيضاح ٤٥/٤ .

والتبيين ٢٩١ .

(٤١) تلمس آية ٩ .

(٤٢) الكوثر آية ١ ، ٢ .

(٤٣) عروس الأبراج ٤٧٦/١ .

والى مثل هذا ذهب السعد ، اذ يرى أن التجريد لا ينافى الالتفات،  
ومن ثم يمكن اجتماعهما ، بئ هو واقع بأن يجرد المتكلم نفسه من ذاته  
ويجعلها مخاطبا لنكتة كالتوبيخ في : تناول ليك بالاثمد • والتشجيع  
والنصح في قوله :

أقول لها إذا جشأت وجاءت  
مكانك تحمدي أو تستريحي (٤٤)

ويرى السعد أنه لا تجريد في قوله تعالى : « أنا أعطيناك الكوثر  
فصل لربك وانحر » وإنما فيه الالتفات من التكلم الى الغيبة فقط •

لانه لا معنى للانتزاع فيه بأن يقال : انتزع تعالى من ذاته ربا  
مبالغة في ربوبيته للنبي صلى الله عليه وسلم ، لانه يلزم الأمر بالصلاة  
للرب المنتزع (٤٥) • وبذلك خالف رأى السبكي في الآية •

والثاني : رأى السيد الشريف ، وهو عدم اجتماعهما وفي ذلك  
يقول : المقصود من الالتفات المشهور عند الجمهور ارادة معنى واحد  
في صور متفاوتة استجابا لنشاط السامع له ، واستدرازا لاصغائه اليه ،  
والمقصود من التجريد المبالغة في كون الشيء موصوفا بصفة ويلوغه  
النهائية فيها بأن ينتزع منه شيء آخر موصوف بتلك الصفة ، فمبنى  
الالتفات على ملاحظة اتحاد المعنى ، ومبنى التجريد على اعتبار التغاير  
ادعاء ، فكيف يتصور اجتماعهما ! نعم ربما أمكن حمل الكلام على كل  
واحد منهما بدلا عن الآخر ، وأما أنهما مقصودان معا فكلا ، مثلا اذا  
عبر المتكلم عن نفسه بطريق الخطاب أو الغيبة : فان لم يكن هنالك  
وصف يقصد المبالغة في اتصافه به لم يكن ذلك تجريدا أصلا ، وان كان  
هنالك وصف يحتمل المقام المبالغة فيه : فان انتزع من نفسه شخصا

(٤٤) لفظ ————— قول ٤٣٣ .

(٤٥) المطول ٤٣٣ . وحاشية السوتى ٢٥٣/٤ .

آخر موصوفا به فهو تجريد وليس من الالتفات في شيء ، وإن لم ينتزع  
بل قصد مجريد الالفتان في التعبير عن نفسه كان الالتفاتا (٤٦) .

وبذلك يرى السيد أن التجريد والالتفات متناهيان ، لأن الالتفات  
مبنى على ملاحظة اتحاد المعنى ، والتجريد مبنى على اعتبار التشاير  
ادعاء ، فلا يتصور اجتماعهما معا في آن واحد . لكن يمكن حمل الكلام  
على كل واحد منهما بدلا من الآخر .

ورد السيد على القول بدلالة كلام السكاكي على اجتماعهما فقال :  
فإن قيل كلام المفتاح حيث قال في بيان الالتفات : فأقامها مقام المصاب ،  
يدل على أنه تجريد أيضا فيجتمعان . قلنا : معنى كلامه : أنه أقام  
نفسه مقام المصاب ، لا أنه جرد منها مصابا آخر ليكون تجريدا ، فما  
ذكره فائدة اطلاق لفظ المخاطب على المتكلم ، وبيان الثبوت الخاصة  
بالالتفات في هذا الموضع . وإن شئت زيادة توضيح فاعلم أن قوله :  
تطاول ليك . . أن حمل على الالتفات ، كان فيه إيهام الخطاب وملاحظة  
أن المراد به نفس المتكلم ، ولم يكن هناك مبالغة في اتصافه بالمحزونية  
بطريق انتزاع محزون آخر منه ، وإن حمل على التجريد كان فيه دعوى  
الخطاب واظهار أن المراد به معايير المتكلم منتزع منه ، وكان فيه مبالغة  
في اتصافه بالمحزونية بطريق الانتزاع (٤٧) .

فالسيد يرى أن كلام السكاكي لا يدل على أن في قول امرئ  
القيس تجريدا ، بل هو بيان لفائدة الالتفات . وهذا غير دقيق لأن  
السكاكي أشار بوضوح إلى أن الشاعر انتزع من نفسه شخصا آخر ،  
وبين ذلك ثلاث مرات ، كما هو واضح من كلامه الذي سقناه آنفا .

وقد دافع عبد الحكيم وغيره عن وجهة نظر السعد في أنه لا تنافي

---

(٤٦) حاشية السيد الشريف على المطول ٢٣٣ .  
(٤٧) حاشية السيد على المطول ٢٤٣ .

بين التجريد والالتفات فيمكن اجتماعهما ، وبينوا أن اجتماعهما واقع في صورة يكون الأسلوب المنتقل إليه دالا على صفة كما في قول قتادة : أو يموت كريم . فهو الالتفات من حيث أنه انتقل من التكلم للغيبة ، وتجريد من حيث التعبير بصيغة الصفة لأجل المبالغة في الكرم (٤٨) .

وردوا على السيد الشريف في حكمه بالتنافي بينهما : إذ أن قوله : أن الالتفات يقتضى الاتحاد والتجريد يقتضى التناهي ولو ادعاء فيبينهما تناف ، مردود عليه باختلاف جهة وجود كل منهما في التعبير ، وبذلك لا يكون بينهما تناف ، لأن التناهي إنما يلزم لو كان اعتبار المتناهيين من جهة واحدة بحسب اقتضاء المقام ، وهنا ليس كذلك ، لأن الالتفات من حيث أنه انتقل من التكلم للغيبة لأجل تجديد الأسلوب ، والتجريد من حيث التعبير بصيغة الصفة لأجل المبالغة فيها ، فاجتماعهما في مادة واحدة لا ضرر فيه ، لأن كل واحد منهما باعتبار خاص به (٤٩) .

كما أن المراد بالاتحاد في الالتفات الاتحاد في نفس الأمر ، لا الاتحاد فيه وفي الاعتبار . والتعدد في التجريد تعدد بحسب الاعتبار لا في نفس الأمر أيضا حتى ينافي الالتفات ، فالحاصل أنه تجريد نظرا للتناهي الادعائي ، والتفات نظرا للاتحاد الواقعي (٥٠) .

واللفظ في بيت قتادة يحتمل كليهما بالانفراد ، ويحتمل الجمع بينهما ، وهو أكمل فعليه يحمل (٥١) .

وبذلك يترجح رأى الجمهور الذي يقتضى بإمكان اجتماع التجريد والالتفات لعدم التناهي بينهما ، والنكات البلاغية لا تتراحم ، ويمكن اجتماعها نظرا لاعتباراتها المختلفة .

---

(٤٨) حاشية عبد الحكيم على الطول ٥٠٤ ، وحاشية النسوتى ٣٥٣/٤ .

(٥١) المرجعان السابقان .

تجريد ~~الشيء~~ ٣٦ ، ٣٦٥ .

(٥١) تقرير الانبئى ٣٩٥/٤ .

### بلاغة التجريد وأغراضه :

التجريد أسلوب بديع يكسو العبارة حسنا وجمالا ، ويبرز المعنى قويا بالغنا غايته ، وينبه الأسماع ويؤثر في النفوس . ومن هذه الجهات الثلاث تأتي بلاغة التجريد .

فأما أنه ينبه الأسماع ويؤثر في انفسوس فبما فيه من إيهام وخذاع أن هناك مخاطبا يوجه اليه الكلام ، أو حقيقة غير المتحدث عنها لها من الصفات أكثر مما لها . وهذا يستدعي التنبيه والتيقظ ، وينشط الفكر للوقوف على حقيقة الأمر ، كما أن المخاطب يسمع من خلال التجريد خلاف ما يترقب ويراجه بغير ما يتوقع فينشط ويصغى الى الكلام ، حيث يترقب أن يتحدث المتكلم عن نفسه فإذا هو يخاطب غيره .

كما أن هذا الأسلوب يحدث افتنانا في الكلام وتدوينا في التعبير وفي هذا تجديد لنشاط السامع ، فإن نقل الكلام من أسلوب الى أسلوب يكون أحسن نظرية لنشاط السامع ، وأكثر ايقاظا للاصغاء من اجرائه على أسلوب واحد (٥٢) .

وأما أنه يبرز المعنى قويا بالغنا غايته ، فلأنه يقوم على أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمال الصفة فيه حتى أنه ليتجرد منه مثله فيها . والمقرر في العقول أن الأصل والمنشأ لما هو مثله يكون في غاية القوة حتى صار يفيض بمثالاته ، فإذا أخذ موصوف بصفة من موصوف آخر بها فهم أنك بالفت في وصفه حتى صيرته في منزلة هي أن من كانت فيه تلك الصفة صار متصفا بتفريع أمثاله عنه ، فهي فيه كأنها تفيض بمثالاتها لقوتها ، كما تفيض الأشعة عن شعاع الشمس ، وكما يفيض الماء عن ماء البحر (٥٣) .

(٥٢) الكشف ٦٤/١ . وكلام الزمخشري وإن كان في الالتفات إلا أنه ينطبق أيضا على التجريد ، حيث يشتركان معا في ذلك عندما يضمن في أثناء الكلام .

(٥٣) عروس الأعراف ٢٤٨/٤ . وحاشية البسوتي ٢٤٩٠٢٤٨/٤ .

فعندما تقول : لك في محمد البحر ، فقد جمعت مفعدا بالغيا في الكرم والعطاء مبلغا عظيما ، حتى انه صار أصلا ومنشأ لهذه الصفة يفيض منها على غيره ويمد منها سواه ، ومن ثم انتزعت منه البحر الذي هو مضرب الأمثال في العطاء والجود •

كما أن فيه مبالغة بنقل الشيء من حقيقة الى حقيقة أخرى ، فاذا قلت : لئن أقيت زيدا ليلقيك منه الأسد ، فقد جعلته يرى منه الأسد ، على القطع ، فيخرج الأمر عن حد التوهم في مثل : كأن زيدا الأسد ، الى حد اليقين هنا (٥٤) • واذا قلت : لى في دارى بيت السرور ، فقد بالغت حتى جعلت بيت السرور حقيقة أخرى موجودة في دارك هي محل سرورك ومقر فرحك ، مع أن بيت السرور هو دارك نفسها •

ثم ان هذا الاسلوب يحتاج في ادراكه والوقوف على مراد المتكلم الى مزيد من الفكر والروية ، وذلك باعث على تمكينه في النفس ، وتثبيته في الفهم ، للحصول على المراد بعد جهد وكد •

كما أن أكثر صورته تبرز المعانى مصورة بما فيها من دلالة على التشبيه ، فتكون أكثر وضوحا ، وأسرع ادراكا ، تقول : وجسدت في الاسلام وطنا ، ولقيت بالمسامين اخوانا ، ورأيت من العلم نورا ، فتخرج المعانى في صورة محسنة ، قوية الظهور بالغة التأثير •

وفي مخاطبة النفس عن طريق الغير تعميم في الخطاب ، واشراك للغير في فعل المطلوب ، وحث لكل سامع على الادلاء بدلوه فقول  
أبى نسواس :

دع الأطلال تسفيها الجنوب      وتبلى عهد جدتها الخطوب  
وخل لراكب الوجداء أرضا      تخب به النجبية والنجيب

فيه دعوة لكل شاعر أن يدع الوقوف على الأطلال ويسكاه الديار  
على عادة الشعراء العرب في مطالع قصائدهم ، وفي هذا افصاح عن  
شدة ثورته على هذه العادة ، ورغبته في هدمها والقضاء عليها •

وقول شسوقي :

قم في فم الدنيا وحي الأزهرا  
وانثر على سمع الزمان الجوهرا  
واجعل مكان الدر ان فصلته  
في مدحه خسرز السماء النيرا

فيه دعوة لكل سامع أن يفعل ذلك ، وان كان الشاعر يخاطب  
نفسه على سبيل التجريد • وفي هذا مزيد اهتمام بشأن الأزهر. واعلاء  
مكانته ورفع لوائه ، والتعريف بأمجاده وماثره •

وقول حافظ ابراهيم في الشكوى :

ماذا أصبت من الأسفار والنصب  
وطيك العمر بين الوغد والخبيب ؟

فيه تعميم للتحسر والندم على فوات العمر وضياعه دون فائدة ،  
وذلك عن طريق الاستفهام من كى مخاطب عما أصابه من أسسافاره  
ونصسبه •

وأما أنه يحسن العبارة فلما فيه من دقة في الصياغة تجعل له وقعا  
مؤثرا في النفس ، فقولنا : لي منك صديق حميم ، ووجدت فيك أخا لم  
تلده أمي ، يفضل قولنا : أنت صديقي الحميم ، ووجدتك أخا لأم تلده  
أمي ، لما فيه من احكام في الصياغة ، وجمال في المبني وغزارة في  
المعنى ، وبعد عن الاساليب المعتادة المتعارفة بين عامة الناس •

وقد بين ابن الأثير أن التجريد فائدتين : التوسع في الكلام ،  
والتمكن من اجراء الأوصاف المضمودة على النفس (٥٥) • وهاتان  
الفائدتان قاصرتان في بيان أغراض هذا الأسلوب لبيح الذي تتأتى  
بلاغته من جهات عديدة كما أوضحنا •

وكان الطيبي أكثر دقة في بيان أغراض التجريد ، وإن كان لم  
يبين إلا الأغراض التي تتأتى من مخاطبة الانسان نفسه ، فذكر منها :  
التوبيخ ، والنصح ، والتعريض ، والتعريض ، والتمكين من اجراء  
الأوصاف على النفس (٥٦) •

ونقول ان للتجريد فائدتين أساسيتين لا ينفك عنهما أسلوب وارد  
على نهجه هما :

١ — التوسع في الكلام والافتتان فيه •

٢ — المبالغة في وصف المنتزع منه بما يقصد من صفات •

وتأتى بجانب هاتين الفائدتين أغراض متنوعة تدل عليها سياقات  
الكلام وقرائن الأحوال • ومنها ما ذكره الطيبي وغيره من البلاغيين •  
وممن اهتموا بذكر بعض أغراض التجريد السيوطي في شرح عقود  
الجمالان • حيث ذكر أن التجريد على قسمين :

الأول : أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله مبالغة في كمالها  
نحو لى من فلان صديق حميم ، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم :  
« اياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا » •

والثانى : أن تجرد نفسك فتخاطبها كأنها غيرك وذلك لنكت منها :

---

(٥٥) المثل السائر ٢/ ١٦٠ •  
(٥٦) اللبىسان ٢٨٧ — ٢٩٠ •



قصد النصح لها كقوله :

لقول لها وقد جشأت وجاشت  
مكانك تحمدي أو تستريحي

لما أراد أن يوطن نفسه على احتمال المكروه جردها مخاطبا لها  
نصحا •

ومنها قصد التوبيخ كقول امرئ القيس :

تطاول ليك بالائمد ونام الخلى ولم ترقد

خاطب نفسه على جهة التجريد موبخا لها ، فان نفسه نفس ملك  
فكان من حقها الصبر وعدم الجزع •

ومنها التعريض بآخر كقوله :

أتبكي على ليلى وأنت تركتها  
وكنت عليها بالمال أنت أقدر

ومنها قصد التحريض كقول أبي الطيب :

لا خيل عندك تهديها ولا مال  
فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

جرد نفسه وخاطبها على جهة التحريض على مدح المدوح •

وادعى السيوطي ان هذه النكت من زياداته ، وأيده المرشدي في  
ذلك (٥٧) ، وهذا غير صحيح فقد سبق أن ذكرها الطيبي كما أشرنا  
أنفنا •

### تأكيد المدح بما يشبه الذم

وهو من الفنون البديعية التي بحثها ابن المعتز ، وتحدث بعض البلاغيين عنه تحت عنوان الاستثناء (١) . وهو من الاساليب الخادعة، حيث يوهم صدر الكلام أن عجزه من قبيل الذم فاذا به من قبيل المدح . فحين تقول : لا عيب في محمد الا أنه أمين . فبداية كلامك توهم أنك لا ترى فيه عيبا الا عيبا مستفكرا بعد الاستثناء . فاذا قلت : انه أمين ، زال الوهم ، وتبين المتلقى أنك ماض في مدحك له على نهج بديع من الكلام .

وتسمية هذا اللون بتأكيد المدح بما يشبه الذم . باعتبار الأعم الأغاب لانه يقع في غير المدح والذم كما ستري في بعض الأمثلة التي سنعرضها ، ومن هنا يحسن أن يسمى : تأكيد للشيء بما يشبهه نقيضه (٢) .

وهذا الفن على ثلاثة ضرب :

الأول : أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها . كقول النابغة الذبياني :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم  
بهن فلول من اقتراع الكتاب

فنفى العيب عنهم ، ثم استثنى من ذلك صفة مدح على تقدير دخولها في العيب ، وهي صفة الشجاعة ، التي يدك عليها ما بسيوفهم من آثار ضرب الخصوم ومقارعتهم في الحروب ، ولما كان دُخُولُ

(١) انظر البديع ٦٢ ، والصناعتين ٢٢٤ ، والعمدة ٢/٤٨ .

(٢) انظر الطول ٤٣٩ .

الشجاعة في العيب محالا كان ثبوت العيب فيهم محالا ، وبهذا تأكد مدحهم ، وخلوصهم من كل صفات العيب .

ومثله قول الشاعر :

ولا عيب فيكم بغير أن ضيوفكم  
تعاب بنمسيان الأجابة والوطن

: فنفي عنهم العيب ، واستثنى منه ، صفة الكرم . وهي صفة مدح ، بعد أن أوهم السامع أن المستثنى منه صفة ذم ، كآفة . قال لا عيب في هؤلاء القوم الا هذا العيب . وهو أنهم كرماء . ولما كان دخول الكرم في العيب محالا كان ثبوت العيب لهؤلاء الخاطئين محالا كذلك .

وقد نسج كثير من الشعراء على هذا المنوال ، فقال ابن الرومي :

ليس به عيب سوى أنه  
لا تقع العين على شبيهه

فجعل انفراد به بالحسن دون أن يكون له قرين في ذلك عيبا مستثنى من عموم العيوب التي نفاها ، ولما كان هذا الوصف ليس بعيب على الحقيقة فقد ثبت إتصافه بالحسن على نهج مؤكد .

وقال أبو هسان :

ولا عيب فينا غير أن سماحننا  
أضر بنا ، والبأس من كل جانب  
فأفنى الردى أرواحنا غير ظالم  
وأفنى الندى أموالنا غير عائب

فاستثنى من العيب المنفى السماح والبأس ، فأوهم السامع أنهما من قبيل العيب ، ولكن دخولهما في العيب محال ، فوجود العيب في هؤلاء القوم محال كذلك .

وقال ابن نباتة المصري :

ليس فيه عيب سوى أن احسنا  
ن يديه يستعبد الأهرار

فالصفة المستثناة ليست بعيب ، وهذا تأكيد لمحجه عن طريق يوهوم  
الذم ، وبه يثبت نفى العيب عنه نفيا قاطعا .

ومن هذا الضرب قوله تعالى : « لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما ،  
الا قليلا سلاما سلاما » (٣) ، فقد نفى عنهم سماع اللغو والتأثيم ،  
واستثنى من ذلك سماع السلام وهذا من قبيل تأكيد المدح بما يشبه  
الذم ، لان في كل من المنفى والمثبت مدح وتكريم لجماعة السابقين .

ونظيره قوله تعالى : « لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما » (٤) ،  
فسماع اللغو منفي منهم ، وسماع السلام ثابت لهم ، وكلاهما مدح  
وتكريم لأهل الجنة .

والذى ذكرناه في الآيتين السابقتين هو الظاهر المتبادر وان أمكن  
تخريجها على وجه آخر (٥) .

ومنه قوله تعالى : « لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى » (٦)  
فالآية بشارة لأهل الجنة بخلودهم فيها ، حيث نفى عنهم ذوق الموت ،  
واستثناء الموتة الأولى من قبيل تأكيد الشيء بما يشبه ضده ، زيادة  
تحقيق انتفاء ذوق الموت عن أهل الجنة ، فكأنه قيل : لا يذوقون الموت  
البتة ، يعنى ان كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها فانهم يذوقونها ،  
لكنها ليست كذلك لضى وقتها في الدنيا (٧) .

(٣) الواقعة آية ٢٥ ، ٢٦ .

(٤) مريم آية ٦٢ .

(٥) انظر الايضاح ٧٦/٦ ، والطول وحاشية السيد عليه ٤٤١ .

(٦) الدخان آية ٥٦ .

(٧) انظر التبيان ٣٩٢ ، والتحرير والتنوير ٣١٤/٢٥ .

وسر التأكيد في هذا الضرب أمران :

١ — أنه كدعوى الشيء ببيئة وبرهان ، حيث يستدل فيه على نفي العيب عن المدوح بتطبيق وجوده على المحال ، لأن المتكلم عن ثبوت العيب الذي هو نقيض المدعى على كونه استثنى عيبا ، وكونه عيبا محالا ، والمعلق بالمحال محال ، فيكون ثبوت العيب محالا وبذلك يلزم ثبوت نقيضه وهو عدم العيب (٨) .

٢ — أن الأصل في مطلق الاستثناء ان يكون متصلا ، بأن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه ، فإذا نطق المتكلم بأداة الاستثناء توهم السامع قب ذكر ما بعدها أن ما يأتي بعدها مخرج مما قبلها فيكون شيء من الذم ثابتا ، فإذا جاء بعد الأداة صفة مدح وتحول الاستثناء من الاتصال إلى الانقطاع جاء التأكيد ، لما في الاستثناء من زيادة المدح على المدح ، والاشعار بأنه لم يجد صفة ذم يستثنىها ، فاضطر إلى استثناء صفة مدح وتحويل الاستثناء إلى الانقطاع (٩) .

يضاف إلى ذلك ما في الأسلوب من الخلافة والطرقة ، واشتماله على عنصر المفاجأة والمباغطة الذي يثير الانتباه ، ويوقظ الحس .

والثاني : أن يثبت لشيء صفة مدح ، وتعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له . كقول النبي صلى الله عليه وسلم : أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش (١٠) . فوصف نفسه بصفة من صفات المدح وهي الأفصحية ، ثم أتى بأداة الاستثناء ، وهذا يشعر بأنه أراد اثبات صفة أخرى مغايرة لما قبلها ، فلما أثبت أنه من قريش ، وقريش أفصح

(٨) انظر حاشية السوتى ٢٨٨/٤ .

(٩) انظر مختصر السعد ومواهب الفتح ٢٨٨/٤ ، ٢٨٩ .

(١٠) بيد هنا بمعنى غير الاستثنائية . وتأتي حرفا تعليل بمعنى

من أجل .

العرب كان ذلك تأكيدا للمدح ، حيث أصبح مدحا على مدح ، ومزيلا  
لما توهمه السامع .

ومن هذا قول النابغة الجعدي :

فتى كملت أخلاقه غير أنه  
جواد فما يبقى من المال باقيا

فقد أثبت له كمال الاخلاق ، ثم استثنى فأوهم أنه سيثبت صفة  
مغايرة لما تقدم ، ولكنه ثبت صفة مدح أخرى وهي الجسود ، فتأكد  
المدح بمدح آخر جاء على خلاف ما يتوقع السامع .

ومنه قول الشاعر :

يسمى به البرق الا أنه فرس  
في صورة الموت الا أنه رجل

فالاستثناء في الشطرين يوهم أن المستثنى شيء معيب ، لكنه  
جاء على خلاف المتوهم ، فتأكد به المدح .

والضرب الأول أفضل من هذا الضرب قوة وتأكيدا ، لأنه يفيد  
التأكيد من جهتين كما تسلفنا ، وهذا الضرب لا يفيد إلا من جهة  
واحدة هي : أن ذكر أداة الاستثناء قبل ذكر المستثنى يوهم اخراج  
ما بعدها مما قبلها ، فإذا جاء على خلاف ذلك أفاد التأكيد . ولا يفيد  
التأكيد من جهة أنه كدعوى الشيء ببينة وبرهان كما في الضرب الأول ،  
وذلك لأن مبنى الضرب الأول على اعتبار أن الأصل في الاستثناء  
الاتصال ، بخلاف هذا الضرب فإن مبناه على اعتبار أن الأصل في  
الاستثناء الانقطاع ، فتقدير الاتصال هنا غير ممكن ، لعدم عموم  
الصفة الواقعة قبل الأداة ، فلا يتصور شمولها لما بعدها بخلاف الضرب  
الأول ، فإن تقدير دخول ما بعد الأداة فيما قبلها ممكن لكونه من المصنفات

العامّة ، نحو : ولا عيب ... (١١) .

والثالث : أن يؤتى بمستثنى فيه معنى المدح معمولاً لفعلٍ فيسه معنى الذم ويكون الاستثناء حينئذ مفرغاً ، ومنه قوله تعالى : « قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل من قبل » (١٢) ، فإن الاستثناء بعد الاستفهام الخارج مخرج التوبيخ والانكار على ما عابوا به المؤمنين من الايمان . يوهم بأن يأتي بعده ما يوجب أن ينقم على فاعله مما يذم به ، فلما أتى بمسند الاستثناء ما يوجب مدح فاعله كان الكلام متضمناً للمدح بما يشبه الذم (١٣) .

ومنه قوله تعالى : « وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا » (١٤) ، أي ما تعيب منا إلا أصل المناقب والمفخر كلها ، وهو الايمان بآيات الله عز وجل (١٥) . وهذا ليس بعيب ، فلا عيب فينا يستوجب النقمة .

ومن هذا قوله تعالى : « وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد » (١٦) ، وقوله تعالى : « وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » (١٧) ، وقوله تعالى : « الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله » (١٨) ، أي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب التمكين والاقرار لا موجب الاخراج والتسيير (١٩) .

---

(١١) البديع في ضوء اساليب القرآن ٨٥ . وانظر مواهب اللساح

٣٩٢/٤ .

(١٢) المسدّة آية ٥٩ .

(١٣) بديع القرآن ٥٠ .

(١٤) الاعراف آية ١٢٦ .

(١٥) الكتاب ١٠٤/٢ .

(١٦) البسروج آية ٨ .

(١٧) التوبة آية ٧٤ .

(١٨) الحج آية ٤٠ .

(١٩) الكتاب ١٦/٣ .

والتأكيد في هذا الضرب من الوجهين المذكورين في الضرب الأول ،  
وذلك أنه كدعوى الشيء ببيينة ودليل ، لان الشيء فيه معق على محال  
فيكون محالا ، ولان فيه اشعارا بطلب ذم وعيب فلم يجده فاستثنى  
المسوح (٢٠) .

والاستدراك يجرى مجرى الاستثناء في باب تأكيد المدح بما يشبه  
الذم ، لانهما من واد واحد ، اذ كل منهما لاخراج ما هو بصدد الدخول  
في شيء وهما أو حقيقة (٢١) ، فانك اذا قلت : زيد شجاع لكنه قليل  
الحيلة ، فقد اخرجت صفة يتوهم أنها داخلة في الشجاعة ، مثلما نقول:  
جاء الطلاب الا زيدا ، فتخرج زيدا من مجيء انطلاب .

وعلى هذا فاذا جئت بصفة مدح لو نحوها ثم جئت بعدها بأداة  
استدراك توهم السامع أن ما بعد أداة الاستدراك مخرج من الصفة  
الأولى وليس من قبيلها ، فاذا جاء على نمطها وشاذلتها تأكد المدح بمدح  
آخر . مثال ذلك أن تقول : صديقي بحر في العلم لكنه جبل في العلم ،  
فقد أوهمت بالاستدراك أنك ستذكر عيبا في صديقك ، لكنك ذكرت مدحا  
آخر ، فأكدت مدحك الأول بمدح ثان .

ومن هذا قول بديع الزمان الهمذاني :

هو البدر الا أنه البحر زاخر

سوى أنه الضرغام ، لكنه الويل

فالاستدراك بلكن يجرى مجرى الاستثناء بالا وسوى ، وعلى  
هذا فالاستثناءان والاستدراك في هذا البيت من قبيل تأكيد المدح بما  
يشبه الذم ، وهو من الضرب لثاني ، لان الشاعر أثبت صفة مدح ثم  
عقبها بأداة استثناء جاء بعدها صفة مدح أخرى ، لذا جعوا التأكيد

(٢٠) مواهب القفاح ٣١٤/٤ .

(٢١) انظر السابق .



فيه من الوجه اذى ذكروه في الضرب الثاني ، وهو أنه مشعر بطلب  
استدراك ذم ، فلم يجده فاضطر إلى استدراك مدح ، فكان كلامه  
مدحا على مدح .

ومثله قول ابن قلاقس :

هو الثغر إلا أنه الفجر طالعا  
على أنه الكافور لكنه البسدر

ومثله قول السرى الرفاء :

أما ترى الثلج قد خاطت أنامه  
ثوبا يزر على الدنيا بأزرار  
نار ولكنها ليبت بمبديّة  
نورا ، وماء ولكن ليس بالجارى

### تأكيد الذم بما يشبه المدح

وهذا اللون عكس سابقه ، وماض على متواله في التقسيم  
والفائدة ، فهو على أقسام ثلاثة :

الأول : أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم ثابتة  
له بتقدير دخولها في صفة المدح المنفية . كقولك : فلان لا خير فيه إلا  
أنه يسىء إلى من أحسن إليه ، فنفيت عنه الخيرية ، ثم استثنيت صفة  
ذم أخرى وهي اسأته إلى من أحسن إليه ، ولما كانت الاساءة للمحسن  
لا تدخل في باب الخير بحال من الأحوال كان وجود الخير فيه محالا .  
والتأكيد فيه حاصل من وجهين : وذلك لأنه كدعوى الشيء ببينة ، حيث  
يعلق وجود الشيء على محال . ولأن الاستثناء يشعر بأن المتكلم طلب

صفة مدح مغايرة للذم السابق ، فلما لم يجدها استثني ذمها ، فجاء  
الكلام ذمها على ذم على وجه أبلغ (٢٢) .

ومن هذا قول الشاعر :

فان من لامني لا خير فيه سوى  
وصفي له بأخس الناس كلوم

فنفى الخير عن لامة ، واتى بالاستثناء موهما ان فيه صفة خير،  
ولكنه أتى بصفة سوء وضم تؤكد عدم خيريته ، فأكد ذمه بضم آخر .

ومثله قول الآخر :

وظن السوء لا يأتي بنفع  
سوى اشعال نار البغض فينا

فنفى عن ظن السوء أي نفع ، الا صفة يتوهم السامع في بادىء  
الأمر أن فيها نفعاً ، وهي اشعال نار البغض ، ولما كان وجود النفع في  
هذه الصفة محالاً كان وجود النفع في ظن السوء محالاً ، وبهذا تؤكد  
ذمه .

ومن هذا قول الشاعر :

خلا من الفضل غير أني  
أراه في الحمق لا يجارى

فذمه أولاً بخلوه من الفضل ، وأكد ذمه بالحمق على نهج لطيف  
كما أوضحنا في الأمثلة السابقة .

والثاني : أن يثبت للشيء صفة ذم ، وتعقب بأداة استثناء تليها

---

(٢٢) انظر مواهب الفتح ، وحاشية النسومي ٢٩٦/٤ .

صفة ذم أخرى • كقولك : لئلا خائن الا أنه جاهل • فوصفته أولا بالخيانة ، وأتيت بأداة الاستثناء فأشعرت السامع أنك ستثبت له صفة مدح بعدها ، ولكنك أثبت له صفة ذم ، فأكدت ذمك الأول له بضم آخر على نمط بليغ •

ومنه قول القائل :

هو الكذب الا أن فيسه ملالة

وسوء مراعاة وما ذك في الكذب

فذمه أولا بأنه الكذب لوّما وخسة ، ثم ذمه بعد أداة الاستثناء بما ليس في الكذب من صفات الذم ، فأنزله دركا صحيحا • والتأكيد في هذا الضرب من وجه واحد وهو أن الاستثناء مشعر بمجىء صفة مدح فتأتى صفة ذم ، وبذلك يتأكد الذم بضم آخر على وجه دقيق • ومنه قول الأخر :

لئيم الطبع سوى أنه

جبان يهون عليه الهوان

فذمه باللؤم ثم استثنى فأوهم أن فيه صفة مدح ولكن وصفه بالجبن فأكد بذلك ذمه الأول •

والثالث : أن يؤتى بمستثنى فيه معنى الذم معمولا لفعل فيه معنى المدح ، ويكون الاستثناء حينئذ مفرغا • كقولك : لا يستحسن منه الا جهله ، ولا يحمد منه الا لؤمه • ولا يشكر منه الا انكاره المسروف • فالاستثناء في كل هذا مفرغ ، والعامل صفة مدح منفية ، والمستثنى صفة ذم وبها يتأكد ذمه على نهج بليغ • والتأكيد في هذا الضرب يأتي من وجهين كالضرب الأول •

والاستدراك في هذا الباب كالاستثناء كما مر بك في الباب السابق،

ومنه قول الشاعر :

يا رسولا أعداؤه أراذل النا  
س جميعا لكنهم في الجحيم

فأثبت لهم صفة ذم ثم استدرك بصفة ذم أخرى ، وهو من  
الضرب الثاني •

وزاد بعضهم ضربا رابعا هو : أن يؤتى بصفة ذم مثبتة ثم بصفة  
بعدها توهم رفع صفة الذم ، ثم يعلق بها ما يبين أنها ذم ، فتكون ذما  
بعد ذم كقولك : رأيت عنق زيد عاطلا فطليته بانصفع • فأثبت صفة  
ذم وهي كونه عاطلا ، ثم أثبت تحليته فأوهمت رفع الذم ، فلما قلت :  
بالصفع تبين أن هذه التحلية ذم آخر أكد الأول • ومنه قول الشاعر :

يا زاعما أنك لى ناصح  
انى بهذا غير مفرور  
لما بدا قببح الذى قلته  
حسننت ذاك القبول بالزور

والشاهد في البيت الثاني ، حيث ذمه أولا بقبح قوله ، ثم أثبت  
تحسينه ، فأوهم زوال الذم ، ثم بين أن هذا التحسين نابع من قول  
الزور ، فبين أنه ذم آخر تؤكد به الذم الأول • وهذا الضرب أبلغ في  
الذم لما فيه من التهمم والاستهزاء (٢٣) •

بلاغة تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه :

علمت من خلال حديثنا عن ضروب هذين اللونين ما فيهما من تأكيد  
وتقوية في أثبات المراد مدحا أو ذما أو غيرهما • وتبينت السر في افادتهما  
التأكيد ، فبعض ضروبهما يفيد التأكيد من نأخيتين : أنه أثبات الشيء  
ببينة وبهان ، بتعليق وجوده على المحال ، وأن النطق بأداة الاستثناء

يوهم أن ما بعدها مخرج مما قبلها ، ولكنه هنا يأتي من جنسه ، إذا  
يكون مؤكداً ومقرراً له ، فإن كان مدحاً تؤكد المدح ، وأن كان ذمماً تؤكد  
الذم ، وبعض ضروبهما يفيد التأكيد من ناحية الاستثناء ، وعلى كل  
ففى الأسلوبين تأكيد وتقوية .

وفى هذين اللونين البديعيين طرف من الخداع والخلابة، ومشمتملان  
على عنصر المفاجأة والمباغطة ، فتأتى النتيجة فيهما غير متوقعة ، وعلى  
خلاف ما تفيد المقدمات ، وهذا يثير الفكر ، ويوقظ العقل ، ويشوق  
النفس ، ويدفع الى التأمل والتدبر ، والاندماج فى خبايا الأسلوب  
لكشف الحقيقة .

والنونان يساعدان على ربط الكلام ، ويعملان على تقوية أواصر  
العلاقة بين مفرداته من خلال الاستثناء الذى يجعل ما قبله شديداً  
الصلة بما بعده ، إذ بهما تكتمل الفائدة ، ويتحدد المراد .

وإذا كان عنوان هذين اللونين يوحى بقصرهما على معانى المدح  
والذم الا أن التحقيق يبين عدم اقتصرهما على ذلك ، فبأحيان فى كافة  
المعانى ، وقد نبه العلامة التفتازانى على هذا الأمر الدقيق ، فذكر أن  
هذه التسمية جارية على الأعم الأغلب ، والا فقد يكون ذلك فى غير  
المدح والذم ، ويكون من محسنات الكلام كقوله تعالى : « ولا تتكفوا  
ما نكح آبائكم من النساء الا ما قد سلف » (٢٤) ، يعنى ان أمكن لكم  
أن تتكفوا ما قد سلف فانكفوه ، فلا يحل لكم غيره ، وذلك غير ممكن ،  
والغرض المبالغة فى تحريمه (٢٥) .

وبناء على هذا اختار التفتازانى أن يسمى تأكيد الشيء بما يشبه

• (٢٤) النساء آية ٢٢

• (٢٥) المطسول ٤٣٩ .

نقيضه ، وهي تسمية جديدة بالقبول ، لأنها تجمع اللونين تحت عنوان واحد ، تتضوى تحته معانى المدح والذم وغيرها •

ومن حديث البلاغيين عن هذين اللونين نراهم جعلوا الاستثناء عنصرا أساسيا فيهما ، إلا أنه لا مانع من مجيئهما بخير أداة استثناء ، وقد مثل بعضهم لتأكيد الذم بما يشبه المدح بقول ابن أبي الأصبح (٢٦):

خير ما فيهم ولا خير فيهم  
أنهم غير مؤثمي المغتساب

فنفى عنهم الخير ولأثبت لهم صفة بادية أنها خير ، وهي أنهم لا ينكرون على من عاب أحدا في مجالسهم ولا يمنعونه عن ذلك ، وهي صفة لا خير فيها كذلك وبها تؤكد ذمهم •

ويمكن أن يأتي هذا في تأكيد المدح بما يشبه الذم كأن تقول :  
شر ما فيه ولا شر فيه كرمه الزائد • أو تقول : أعيب فيه ولا عيب فيه  
صفحة عن المسيء • وبهذا تتسع دائرة التعبير في هذا الفن الخلاب •

\* \* \*

## الجناس

ويسمى المجانسة ، والتجنيس ، والتجانس • وهو مصدر جانس الدال على المشابهة والمشاكله • وتقرب تعريف له عند البلاغيين : هو التشابه في اللفظ مع الاختلاف في المعنى • والجناس من الألوان التي عرفها البحث البلاغي في خطواته الأولى ، فذكره الخليل بن أحمد ، وألف الأصمعي كتاب الأجناس (١) ، وتحدث عنه ابن المعتز ضمن أبواب البديع الخمسة التي ذكرها وعرفه بقوله : أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام ، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها ، وضرب له أمثلة كثيرة (٢) • وتواصل حديث البلاغيين عنه حتى قل أن يخلو كتاب قديم من الحديث عنه •

والجناس أقسام مختلفة إليك بيانها :

ينقسم الجناس بداية إلى قسمين : تام ، وغير تام •

### أولا - الجناس التام :

وهو ما اتفق فيه اللفظان في نوع الحروف ، وعددها ، وهيئتها ، وترتيبها • ومنه قوله تعالى : « ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة » (٣) ، فقد اتفق لفظا « ساعة » في الآية الكريمة في نوع الحروف ، وعددها ، وهيئتها ، وترتيبها ، واختلفا في المعنى • فالساعة الأولى بمعنى « القيامة » ، والثانية : الساعة الزمنية •

والجناس التام على ثلاثة أنواع : المائل ، والمستوفى ، والمركب •

(١) البديع ٢٥ •

(٢) البديع ٢٥ - ٣٥ •

(٣) السور آية ٥٥ •

فالمئات : أن يتفق اللفظان في نوع الكلمة بأن يكونا أسمين ،  
أو فعلين ، أو حرفين ، فمثال : لجناس بين اسمين الآية الكريمة السابقة ،  
ومنه قوله تعالى : « يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ، يقلب الله الليل  
والنهار ان في ذلك لعبرة لأولى الأبصار » (٤) . فالأبصار الأولى :  
الأنظار ، والأبصار الثانية : العقول .

ومنه قول الشاعر :

حَدَقَ الْأَجْسَالُ أَجْسَالًا وَالْمَهْوَى لِمَرْءٍ قَتَانًا

فالأجسال الأولى جمع أجل بكسر فسكون وهو القطيع من البقر  
الوحشى والثانية جمع لجل بفتح الهمزة والجيم وهو منتهى العمر .  
والمراد أن عيون النساء الشبيهة بعيون البقر الوحشى جالبات  
للموت .

ومنه قول أبى تمام :

إذا الخيل جابت قسطل الحرب صدعوا

صدور العوالى في صدور الكتائب (٥)

والجناس بين لفظى : صدور ، وصدور ، فالأول بمعنى : أعالى ،  
والثانى بمعنى : نحور . والمعنى : إذا الخيل دخلت غبار الحرب أمال  
المحاربون لأعالى الرماح في نحور الكتائب المعادية .

ومثال الجناس بين فعين قولك : الجندى يضرب في البيداء فلا  
يضل ، ويضرب في الهيجاء فلا يكل . فيضرب الأولى بمعنى يقطع  
ويسير ، والثانية بمعنى يحمل على الأعداء . ومنه قولك : لا قال لديهم  
قال لهم . فالأول من القيلولة ، والثانى من القول .

(٤) النسرور آية ٤٣ ، ٤٤ .

(٥) قسطل الحرب : غبارها ، صدعوا : أمالوا . صدور العوالى :

أعالى الرماح . صدور الكتائب : نحورها .



ومنه قول الشاعر :

يا اخوتي منذ بانث النجب  
وجب الفؤاد وكان لا يجب  
فارقتكم وبقيت بعدكم  
ما هكذا كان الذي يجب .

والجناس بين يجب ويجب ، فالأولى بمعنى يضرب ويخفق ،  
والثانية بمعنى يلزم .

ومنه قول الشاعر في ذم من يتعاطى قون الشعر وليس بشاعر

والمعدوم من الابداع قد كثروا  
وهم قليلون ان عدوا وان حصروا  
قوم لو انهم ارتاضوا لما قرضوا  
أو أنهم شعروا بالانقص ما شعروا

والجناس بين شعروا وشعروا ، فالأولى بمعنى : أحسوا ، والثانية  
بمعنى لم يقولوا الشعر .

والجناس بين حرفين مختلف في وروده ، فبعضهم يرى أنه لا يمكن  
تصوره لان الحروف معلومة الصيغ مضبوطة ، فلا يتفق ورود كلمتين  
من الحروف قد تساوت حروفهما وصيغتهما مع الاختلاف في المعنى (٦) .

وبعضهم يرى امكان وجوده بين معاني الحرف الواحد ، حيث  
ان الحرف الواحد يأتي بمعان متعددة ومنه قولهم : قد يوجد الكريم  
وقد يعثر الجواد ، فان قد الأولى للتكثير ، والثانية للتقليل ، ومنه  
قولهم تذرع بالصبر تظفر به ، فإباء الأولى للتعدية ، والثانية للسببية .

---

(٦) جنان الجناس ٢١٠ .

وعلى كل فهذه الصورة من الجناس لا ضرورة لها ، فأمثلتها نادرة  
ومتكافئة غالباً .

والمستوفى : أن يختلف اللفظان في نوع الكلمة بأن يكون أحدهما  
اسماً والآخر فعلاً أو أحدهما حرفاً والآخر اسماً أو فعلاً .

فمثال الاسم مع الفعل قول أبي تمام :

ما مات من كرم الزمان فانه

يحييا لدى يحيى بن عبد الله

فيحيا : فعل مضارع ، ويحيى : اسم الممدوح .

ومثله قول الآخر :

وسميته يحيى ليحيا فلم يكن

الى رد أمر الله فيه سبيل

ومنه قول الغزى :

لو زارنا طيف ذات الخاء أحيانا

ونحن في حفر الأجداث أحيانا

ومنه قول الآخر :

دهرنا أمسى ضنيننا باللقا حتى ضنيننا

يا ليالى الوصل عودى واجمعيننا اجمعيننا

ومثال الفعل مع الحرف قولك : علا محمد صلى الله عليه وسام على

جميع الأنام . فعلا : فعل ماض بمعنى ارتفع ، وعلى : حرف جر .

ومنه قول الشاعر :

ولو أن وصلا علوه بقربه

لأئن من حمل الصبابة والجهوى

فان الأولى : حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر • وأن الثانية : فعل ماض من الآنين • ومثال الاسم مع الحرف قوله صلى الله عليه وسلم : انك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله تعالى الا أجرت بها حتى ما تجعل في فكي امرأتك •• ففي الأولى حرف جر ، والثانية اسم بمعنى الفسـم •

وهذا النوع والذي قبله من الأنواع النادرة في الاساليب الادبية.

والركب : أن يكون كلا اللفظين أو أحدهما مركبا ويسمى جناس التركيب • وهو على قسمين :

١ — أن يكون أحد اللفظين مركبا •

٢ — أن يكون اللفظان مركبين •

القسم الأول : ما كان أحد اللفظين مركبا وهو على ثلاثة أنواع مرقر ، ومنتشابه ، ومفسروق •

فالمرقو : ما كان اللفظ المركب فيه مركبا من كلمة وجزء كلمة • كما في قول الحريري :

ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه

بدمع يحاكي الويل حال مصابه

ومثل لعينك الحمام ووقعه

وروعة ملقاة ومطعم صابه

والجناس بين : مصابه في نهاية ابيتين ، والأول لفظ مفرد ، من صاب المطر اذا انصب ، والثاني لفظ مركب من اليبس في نهاية لفظ « مطعم » وصاب وهو شجر مر شديد الحرارة •

والمتشابه : ما كان اللفظ المركب فيه مركبا من كلمتين مع تشابه اللفظين في الخط ، كما في قول الشاعر :

إذا ملك لم يكن ذاهبة  
فدعه فدولته ذاهبة

فاللفظ الأول مركب من كلمتين هما : ذا بمعنى صاحب و « هبه »  
بمعنى عطاء ، واللفظ الثاني مفرد وهو اسم فاعل من ذهب وهما  
متشابهان في الخط .

والمفروق : ما كان اللفظ المركب فيه مركبا من كلمتين مع اختلاف  
اللفظين في الخط كما في قول الشاعر :

كلكم قد أخذ الجا م ولا جام لنا  
ما الذي ضر مدير الـ جام لو جامنا

فاللفظ « جام لنا » في البيت الأول مركب من كلمتين : « جام » بمعنى  
كأس ، و « لنا » جار ومجرور ولفظ « جامنا » في البيت الثاني مفرد  
وهو فعل ماض من المجاملة واللفظان مختلفان في الخط . ومدير الجام  
هو الساقى .

ومنه قول الشاعر :

لا تعرض على الرواة قصيدة  
ما أم تكن بالنعث في تهذيها  
فاذا عرضت الشعر غير مهذب  
عدوه منك وساوسا تهذى بها

فاللفظ « تهذيها » في البيت الأول مفرد ، وهو مصدر هذب والضمير  
مضاف إليه بمثابة جزء منه . واللفظ « تهذى بها » في البيت الثاني  
مركب من كلمتين « تهذى » فعل مضارع من الهذيان و « بها » جار  
ومجرور وقد اختلف اللفظان في الخط .

والقسم الثانى من المركب : هو ما كان اللفظان مركبين من كلمتين  
أو كلمة وبعض كلمة أخرى ويسمى هذا النوع : الملقق •

والجناس الملقق على ضربين :

١ — ملقق موافق وهو ما توافق طرفاه في الخط مع كونهما مركبين  
كقول الشاعر :

وليت الحكم خمسا بعد خمس  
لعمري والصبا في العنقوان  
فلم تضع الأعدى قدر شانى  
ولا قالوا فلان قد رشانى

فقوله : « قدر شانى » الأول مركب من القدر والشان ، والثانى  
مركب من « قد » والفعل الماضى « رشى » من الرشوة وهما متفقان  
في الخط •

٢ — ملقق مفارق : وهو ما اختلف طرفاه في الخط مع كونهما  
مركبين كقول الشاعر :

خبروها بأنه ما تصدى لسلوعتها ولو مات صدا

فقوله : « ما تصدى » مركب من « ما » النافية والفعل الماضى  
« تصدى » بمعنى تعرض ، و « مات صدا » مركب من « مات » وهو  
فعل ماض و « صدا » وهو اسم ، وهما مختلفان في الخط •

وبهذا ينتهى حديثنا عن الجناس التام وأقسامه .

ثانياً — الجناس غير التام .

هو ما اختلف فيه اللفظان في نوع الحروف ، أو عددها ، أو هيئتها ،  
أو ترتيبها • وعلى هذا فله أربعة أحوال :

### ١ — الاختلاف في نوع الحروف :

إذا اختلف اللفظان في نوع الحروف كان الجناس على نوعين :  
سارع ولاحق .

فالمضارع : ما كان فيه الحرفان المختلفان متقاربين في المخرج  
وإما أكانا في أول اللفظ أو في وسطه أو في آخره .

فالأول كقول الحريري : بينى وبين كنى إيل دامس ، وطريق  
امس (٧) ، فالدال في دامس والطاء في طامس متقاربتان في المخرج  
نهما خارجتان من اللسان .

والثاني كقوله تعالى : « وهم ينهون عنه وينأون عنه » (٨) ،  
لهاء في ينهون ، والهمزة في ينأون من الحروف الحلقية .

والثالث كقول النبي صلى الله عليه وسلم : « الخبي معسود  
وأصيها الخبير » فاللام في الخبي والراء في الخير يخرجان من  
لسان .

ومنه قول الشاعر :

وأطعن للقرن يوم الوغى  
وأطعم في الزمن المالح

فجانس بين أطعن وأطعم ، وهما صيغتا تفضيل على أفعل ،  
النون والميم متقاربان في المخرج (٩) .

---

(٧) الكن بكسر الكاف : المنزل ، ودامس : مظلم ، وطامس : دارس ،  
مرح المقامات ٨٧/٢ .

(٨) الاستعلاء آية ٢٦ .

(٩) البديع من المعاني والألفاظ ١١٦ .

واللاحق : ما كان فيه الحرفان المختلفان متباعدين في المخرج سواء أكانا في أول اللفظ أو في وسطه أو في آخره .

فالأول كقوله تعالى « ويل لكل همزة لمزة » (١٠) ، فالهاء واللام متباعدتان في المخرج فالأولى حلقية والثانية لسانية .

ومنه قول الشاعر :

هل للفتى من بنات الدهر من واق

أم هل له من حمام الموت من راق

فالواو في « واق » والراء في « راق » متباعدتان في المخرج .

والثاني كقوله تعالى : « وأنه على ذلك شهيد ، وأنه لحب الخير أشد » (١١) ، فبين الهاء في « شهيد » والذال في « أشد » تباعد في المخرج . والثالث كقوله تعالى : « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به » (١٢) ، فبين الراء في « أمر » والنون في « أمن » تباعد في المخرج .

ومنه قول البحترى :

هل لا فسات من تلاق تلاف

أم لشاك من الصباية شاف

فبين القاف في « تلاق » والفاء من « تلاف » تباعد في المخرج .

## ٢ — الاختلاف في عدد الحروف :

إذا اختلف اللفظان في عدد الحروف سمي « الجناس الناقص » لنقصان أحد اللفظين عن الآخر ويكون ذلك على وجهين :

(١٠) الهمزة آية ١ .

(١١) الصافات آية ٧ ، ٨ .

(١٢) النساء آية ٨٣ .

أحدهما : أن يختلفا بزيادة حرف واحد ، وهذا الحرف قد يكون في أول الكلمة كقوله تعالى : « والتفت الساق بالساق انى ربك يومئذ المساق » (١٣) ، فبين الساق والمساق جناس ناقص بزيادة الميم في أول كلمة « المساق » .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « الايمان يمان » فالاختلاف بينهما بزيادة الهمزة في أول الكلمة الأولى .

وقد سمي بعضهم هذا النوع : « المردوف » لان حرف الزيادة مردوف بما وقع فيه التجانس (١٤) ، واصحاب البديعيات يسمونه « المطرف » (١٥) .

وقد يكون الحرف الزائد في وسط الكلمة كقوله صلى الله عليه وسلم : « الشيطان ذئب الانسان كذئب انختم يأخذ الشاة للشاة » ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « ما أنزل الله داء الا أنزل له دواء » ، وكقولهم : جدى جهدى ، ويسمى هذا النوع « المكثف » لان حرف الزيادة فيه مكثف أى متوسط بين ما اكتفاه (١٦) .

وقد يكون الحرف الزائد في آخر الكلمة وسماه الخطيب « المطرف » ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « من أوى ضالة فهو ضال » .

ومنه قول أبى تمام :

يمدون من أيد عواص عواصم

تصول بأسياف قواص قواضب (١٧)

(١٣) القبلة آية ٢٩ ، ٣٠ .

(١٤) شرح عقود الجمان ١٦٤/٢ .

(١٥) خزنة الأدب ٨٤١/١ .

(١٦) شرح عقود الجمان ١٧١/٢ .

(١٧) عواص : جمع عاصية من عصاه إذا ضربه بالعصا ، أى : ضاربات بالعصا والمراد بها هنا السيف ، وعواصم من عصمه حفظه وحماه



وقول البحتري :

لئن صدفت عنا فربت أنفس  
صواد الى تلك النفوس الصوادف

وقول كعب بن زهير :

ولقد علمت وأنت خير عليمه  
ألا يقربني الهوى لهوان

وثانيهما : أن يختلفا بزيادة أكثر من حرف •

وهذه الزيادة قد تكون في أول الكلمة ويسمى « المتوج » ومنه  
قوله صلى الله عليه وسلم : « في الحبة للسوداء الشفاء من كل داء »  
وقوله صلى الله عليه وسلم : « ضع بصرك موضع سجودك » •

ومنه قول البستي :

أبا العباس لا تحسب بأنى  
بشيء من حلى الأشعار عارى  
فلى طبع كسلسال معين  
زال من ذرى الأحجار جارى

والجناس بين « الحجار ، وجار » •

وقد تكون الزيادة في وسط الكلمة ويسمى « الزائد » ومنه قوامهم  
بناء المساجد مجد خالد •

---

== اى : حاميات للأولياء ، وتواض : قوائل ، وتواضب : قاطعة ، جمع  
قائضية من قضبه اذا قطعه . والمعنى : يمدون ايديها ضلبيات للأعداء ،  
حاميات للأولياء ، سائلات بسبوف قاتلة قاطعة .

وقد تكون الزيادة في آخر الكلمة وهو كثير في الاسانيب الأدبية  
ويسمى « المذيل » ومنه قول الخنساء :

ان البسكاء هو التسفا ء من الجوى بين الجوانح

وقول حسان بن ثابت :

وكنا متى يغزى النبي قبيلة

نصل جانبيه بالقنا واقنابل (١٨)

ومنه قول الشاعر :

فيالك من حزم وعزم طواهما

جديد الردى تحت الصفا والصفائح

ومنه قول النابغة :

لها نار جن بعد انس تحولوا

وزان بهم صرف النوى والنوائب

ووجه الحسن في « المذيل » وما سماه الخطيب « المطرف » أن  
السامع يتوهم قبل سماع آخر الكلمة التي فيها الزيادة أنها هي الكلمة  
التي مضت وقد جاء بها المتكلم للتأكيد ولكنه بعد أن ترد عليه ويتمكن  
آخرها في نفسه ويعيه سمعه يتصرف عنه هذا التوهم ويعرف أنه قد  
حصل على فائدة جديدة ومعنى لم يرد عليه فيتمكن في نفسه فحصل  
تمكن : ومن ثم كان هذان اللونان من أهم صور الجناس .

---

(١٨) القنابل جمع قنبلة يفتح القاف وهي الطلقة من الخيل ومن  
الناس ، والمعنى : عندما يغزو النبي جماعة نلتف حوله بخيلنا وسلاحنا  
ذائدين مدافعين . شرح ديوان حسان ٣٦٨ .

### ٢ — الاختلاف في هيئة الحروف :

إذا اختلفت اللفظان في هيئة الحروف كان الجناس على نوعين  
محرف ومصحف .

فالمحرف : ما اختلف فيه اللفظان في الحركات والمسكنات ، كقوله  
تعالى : « ولقد أرسلنا فيهم منذرين ، فانظر كيف كان عاقبة  
المنذرين » (١٩) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « ان الله وملائكته يصلون  
على الذين يصلون الصوف » ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « ما حسن  
الله خلق رجل ولا خلقه فتطمعه النار » .

ومنه قولهم : البدعة شرك الشرك .

ومنه قول أبي تمام :

عن الحمام فان كسرت عيافة

من حائهن فانهن حمام (٢٠)

ومنه قول أبي العلاء :

والحسن يظهر في شيعين رونقه

بيت من التمر أو بيت من التمر

واختلاف الحروف بالتخفيف والتشديد يدخل في هذا القسم  
وذلك كقولهم : الجاهل اما مفرط أو مفرط .

ولا اعتبار باختلاف الحرف الأخير في حركات الأعراب بسبب  
العوامل وانما المعتبر حركة ما قبل الحرف الأخير من حروف .

---

(١٩) المسكنات آية ٧٢ ، ٧٣ .

(٢٠) عيافة : من تولهم : عنت الطير أميها عيافة : زجرتها ، وكنوا  
يقتلون أو يتشاهرون على حسب الأماكن والاتجاهات التي تطير إليها .

والمصحف : ما اختلف فيه اللفظان في نقط الحروف ، وبعضهم يسميه جناس الخط ، ومنه قوله تعالى : « والذى هو يطعمنى ويسقىنى واذا مرضت فهو يشفين » والجناس بين : يسقين ويشفين •

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا » ، والجناس المصحف هنا بين : يسروا وبشروا •

ومنه قول على كرم الله وجهه : قصر ثوبك فانه اتقى وأنقى وأبقى •

ومنه قول الشاعر :

من بحر جودك أغترف وبفيض علمك اعترف

ومنه قول البحتري :

ولم يكن المعتز بالله اذ سرى

ليعجز والمعتز بالله طالبه

ويرجع بعض الباحثين جناس التصحيف الى جناس المضارعة وذلك لان اختلاف الحروف في النقط ناتج من اختلافها في النوع (٢١) •

ولنا في هذا نظر نوضحه فنقول : ان الجناس المصحف يرجع الى المضارع اذا تقاربت الحروف المختلفة في المخرج ويرجع الى اللاحق اذا تباعدت في المخرج •

ومع هذا فبينهما فرق يتضح فيما يلى :

ان المضارع واللاحق يتحققان باختلاف نوع الحرفين فقط دون نظر الى مسألة النقط •

ومن ثم يوجد المضارع أو اللاحق والحرفان المختلفان منقوطان  
كقول الحريري : لا أعطى زمامي إن يحفز زمامي فالاختلاف في الزاي  
والذال وهما منقوطان •

ويوجدان والحرفان غير منقوطين كقوله صلى الله عليه وسلم :  
« الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة » • فالاختلاف في  
اللام والراء وهما غير منقوطين •

ويوجدان والحرفان مختلفان كقوله تعالى : « فلكم بما كنتم  
تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون » (٢٢) ، فالجناس  
بين تفرحون وتمرحون وهما مختلفان في الفاء والميم وأولهما منقسوط  
وثانيهما غير منقسوط •

أما الجناس المصحف فيتحقق بالاختلاف في النقط مع لزوم  
التشابه في الرسم بحيث إذا زال النقط اتحدت صورة الحرفين •

ومن ثم فلا يأتي المصحف إلا في الحروف التي يتشابه رسمها  
وتختلف من حيث النقط فقط كالذال والذان والزاي والراء ، والسين  
والشين ، والصاد والضاد ، والعين والعين وهكذا •

وعلى هذا فالجناس المصحف يخص من المضارع واللاحق •

### ٤ — الاختلاف في ترتيب الحروف :

إذا اختلف اللفظان في ترتيب الحروف سمي : جناس القلب ، وهو  
على نوعين :

الأول : قلب الكل وهو ما اختلف فيه ترتيب كل الحروف كقولهم  
حسامه فتح لأوليائه حتف لأعدائه ومنه قول الشاعر :

حسامك فيه للأحباب فتح  
ورمحك فيه للأعداء يحتقد

ومنه قول الشاعر :

ساق يريني قلبه قسوة وكن ساق قلبه قابس

فالجناس بين ساق وقاس ، وهذا قاب للكل \*

وفي لفظ « قلبه » تورية ومعناه القريب : قلب الانسان وهو غير  
مراد ومعناه البعيد قلب حروف كلمة ساق وبذلك تصبح قاس وهذا  
هو المراد \*

والثاني : قلب بعض الحروف وهو ما اختلف فيه ترتيب بعض  
الحروف ، كما في قوله تعالى : « فرقت بين بني اسرائيل » (٢٣) ،  
والجناس في : بين بني وهما مختلفان في ترتيب بعض الحروف \*

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « اللهم استر عوراتنا وآمن  
روعاتنا » \*

ومنه قول المتنبي :

منعمة منعمة رداح يكف لفظها الطير الوقوعا

ومنه قول عبد الله بن رواحه يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم :

تحمله الناقة الأدماء معتجرا

بالبرد كالبحر جلي نوره الظلما

أنواع أخرى من الجناس :

١ - الجناس المزدوج :

وهو ما توالى فيه المتجانسان ويسمى المكرر والمردد . كقوله تعالى : « وجئتكم من سبأ نبياً يقين » (٢٤) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « المؤمنون هينون لينون » .

ومنه قول البحسرى :

من كل ساجى الطرف أعيد أعيد

ومنه قول الكنتحى : أحوى أحور

ومنه قولهم : من جد وجد ، ومن لج ولج .

٢ - الجناس المجنح :

وجعته الخطيب نوعاً من جناس القلب وسماه المقلوب المجنح : وهو أن يقع أحد المتجانسين جناس القلب في أول البيت والآخر في آخيه .

ومنه قول الشاعر :

لاج أنوار الهدى من كفه في كل حال

والجناس بين « لاج و حال » .

ومنه قول الشاعر :

رقت فسؤاذى غبادة ما كنت أحسبها تضر

ردي رسولك خائبنا فمدامع أسعدنا تضر

(٢٤) التمسك آية ٢٢

والجناس في البيت الأول بين : « رضى و تضر » وفي البيت الثانى بين « ردت و تدر » •

واعترض البهاء السبكى على تخصيص الخطيب هذا النوع بجناس القلب وتسميته له : المقلوب المجنح • وقال : ان تسميته مقلوبا لكونه جناس قلب وتسميته مجنحا لكون كلمتى الجناس فيه واقمتين في جناحى البيت فلا بدع ان يسمى الجناس التام وغيره من الأقسام السابقة : تاما مجنحا وكذلك جميع الأقسام (٢٥) •

وهو اعتراض له وجاهته • ومن ثم ينبغى أن يكون الجناس المجنح لونا قائما بذاته يوجد في أى نوع من أنواع الجنساس ولا يختص بالمقلوب ومن التام المجنح قول الشاعر :

قالت جهدت أما لنا من راحة  
فالحر يثسوى والخلائق قالت

### ٢ — جناس الاشتقاق :

وهو ما يجتمع فيه اللفظان في أصل الاشتقاق كقوله تعالى :  
« فأقم وجهك للدين القيم » (٢٦) وقوله تعالى « فروح وريحان » (٢٧)  
وقوله صلى الله عليه وسلم « انظلم ظلمات يوم القيامة » •

ومنه قول الشافعى رضى الله عنه وقد سئل عن النبيذ : أجمع أهل  
الحرمين على تحريمه •

ومنه قول البحتورى :  
يعنى عن المجد النبى وان ترى  
في سؤدد أربيا لغر أربيد.

---

(٢٥) شروح التلخيص ٤/٢٢٩ •  
(٢٦) السورم آية ٢ •  
(٢٧) الواقعة آية ٨٩ •



وقول محمد بن وهيب :

قسمت صرف الدهر بأسا ونائلا  
فمالك موتور وسيفك واتر

وقول البهاء زهير :

بعزمه مأمور مطيع وآمر  
مطاع فلا يلقى لخرمهم مثل

#### ٤ — جناس المشابهة :

ويسمى جناس الاطلاق ، وايهام الاشتقاق ، وهو ما يجتمع فيه اللفظان في المشابهة فقط دون الاشتقاق . كقوله تعالى : « اناقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة » (٢٨) ، وقوله تعالى : « وجنى الجنتين دان » (٢٩) ، وقوله تعالى : « قال انى اعلمكم من القالين » (٣٠) .

ومنه قول البحتري :

واذا ما رياح جودك هبت  
صار قول العذول فيها هباء

وللجناس صور أخرى تفتن فيها أصحاب البديعيات (٣١) ، وأغلبها متكاف مصنوع ولا خير في التعرض لها . فكفانا هذا القدر من صور الجناس وأنواعه .

---

(٢٨) التيسيرية كنية ٣٨ .  
(٢٩) الرحمن آية ٥٤ .  
(٣٠) الشعراء آية ١٦٨ .  
٢٣١٢ ينظر شرح مفرد الجمان ١٧٢٢/٢ .

### بلاغة الجناس :

لا يكون الجناس مقبولا عند البلاغيين الا اذا جاء مطبوعا غير متكلف ولا مصنوع وكان المعنى يقتضيه والمقام يستدعيه وله اثر جليل في الاسلوب لا يتحقق بدونه ، فاذا خرج عن هذا الحد كان مجرد تلاعب بالألفاظ واصبح ممجوجا مكروها . وقد يؤدي الى تعقيد الكلام واخراجه عن نطاق الفصاحة .

وقد فصل الامام عبد القاهر القول في بلاغة الجناس وبيان سر الحسن في هذا الفن البديعي وذلك في مقدمة كتابه « اسرار البلاغة » ومن الخير أن نعرض عليك ما ذكره في هذا الموضوع ، لتعلم من ورده العذوب وتقف من خلال حديثه على سر بلاغة التجنيس .

يقول عبد القاهر (٣٢) : أما التجنيس فانك لا تستحسن تجانس اللفظتين الا اذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميدا ، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا ، أتراك استضعفت تجنيس أبي تمام في قوله :

ذهبت بمذهبه السماحة فانسوت

فيه الظنسون لمذهب أم مذهب (٣٣)

واستضعفت تجنيس القائل : حتى نجا من خوفه وما نجا (٣٤) ، وقول المسدث :

---

(٣٢) ينظر هذا النص كاملا في اسرار البلاغة ٤ - ١٢ .  
(٣٣) مذهبه : طريقته ، أي غلبت عليه السماحة ، كما يقال : ذهب فلان بالمجد أي عازره . والتوت تبه الطنون : اختلفت ولم تعلق شيئا واحداً ومذهب الأولى يدع الميم : الطريقة ، ومذهب القائلية يضم لهم أي أنجون ، أو الوهم . شرح ديوان أبي تمام ١/١٣٠ .  
(٣٤) نجا الأول من النجو وهو ما يخرج من البطن من الغائط ، والثاني من النجاسة .

ناظراهما فيما جنى ناظراهما  
أو دعاني أمت بما أودعاني

لأمر يرجع إلى اللفظ ؟ أم لأنك ريت الفائدة ضمنت عن الأول  
وقويت في الثاني ؟ ورأيك لم يزدك بمذهب ومذهب على أن أسممك  
حروفا مكررة ، تروم لها فائدة فلا تجدها إلا مجهولة منكثرة ، ورأيت  
الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنه يفتدك عن الفائدة وقد أعطاهم ويوهمك  
كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفأها فبهذه السريرة صار التجنيس  
وخصوصا المستوفى منه المتفق في الصورة من حلى الشعر ، ومذكورا في  
السديع .

فقد تبين لك أن ما يعطى التجنيس من الفضيلة لمزاج يتم إلا  
بنصرة المعنى إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه مستحسن ولما وجد فيه  
إلا معيب مستهجن ، ولذلك ذم الاستكثار منه والولوع به ، وذلك أن  
المعنى لا يدين في كل موضع لما يجذبها التجنيس إليه ، إذ الألفاظ خدم  
المعنى والمصرفة في حكمها ، وكانت المعنى هي المألقة سياستها المستحقة  
طاعتها ، فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته ،  
وأحاله عن طبيعته ، وذلك مظنة من الاستكراه ، وفيه فتح أبواب العيب  
والتمرض للآشين .

وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيسا مقبولا ولا سجعنا حسنا حتى  
يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه ، وحتى تجسده  
لا تبتغى به بدلا ، ولا تجد عنه حولا ، ومن ههنا كان أهملى تجنيس  
تسمعه وأعلاه وأحقه بالحسن والولام ، بما وقع من غير قصد من المتكلم  
إلى اجتلابه ، وتأهب لطلبه ، أو لما هو له حسن ملامتته — وإن كان  
مطلوبا — بهذه المنزلة وفي هذه الصورة .

وإن تجد أومن مألوا ، وأحسن أو لا وأحسرا ، وأحسن إلى

الاحسان ، وأجلب للاستحسان ، من أن ترسد المعاني على سجيبتها ،  
وتدعها تطلب لأنفسها الألفاظ . فانها اذا تركت وما تريد لم تكتس الا  
ما يليق بها ، ولم تلبس من المعارض الا ما يزينها ، فأما أن تضع في  
نفسك أنه لا بد من أن تجنس أو تسجع بلفظين مخصوصين فهو الذي  
أنت منه بعرض الاستكراه ، وعلى خطر من الخطأ والوقوع في الذم ،  
فإن ساعدك الجد . . . فذاك ، والا أطلقت أنسنة العيب ، وأفضى  
بك طلب الاحسان من حيث لم يحسن الطلب الى فحش الاسساءة  
وأكبر الذنب . . .

واعلم أن النكته التي ذكرتها في التجنيس ، وجعلتها العلة في  
استيجابه الفضيلة وهي حسن الافادة ، مع أن الصورة صورة التكرير  
والاعادة وان كانت لا تظهر الظهور التام الذي لا يمكن دفعه الا في  
المستوفى المتفق الصورة منه كقوله :

ما مات من كرم الزمان فانه  
يحييا لدى يحيى بن عبيد الله

أو المرفوع الجاري هذا المجري كقوله : أو دعاني أمت بما أودعاني ،  
فقد يتصور في غير ذلك من أقسامه أيضا فمما يظهر ذلك فيه ما كان  
نحو قول أبي تمام :

يمسدون من أيدي عواص عواصم  
تصول بأسياف قواص قواصب

وقول البحتري :

لئن مسحت عنا فريت أنفس  
هنود إلى تلك النفوس الضوايف

وذلك أنك تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة كاليم من عواصم  
والهاء من قواصب أنها هي التي مضت ، وقد رايت أن تصحك ثانية ،

وتعود اليك مؤكدة ، حتى اذا تمكن في نفسك تمامها ، ووعى سمك  
آخرها انصرفت عن ظنك الأول ، وزلت عن الذي سبق من التخيل ،  
وفي ذلك ما ذكرت لك من طلوع الفائدة بعد أن يطالعك اليأس منها ،  
وحصون الربح بعد أن تغالط فيه ، حتى ترى أنه رأس المال . فأما ما  
يقع التجانس فيه على العكس من هذا وذلك أن تختلف الكلمات من  
أولها كقول البحتري :

بسيوف ايماضها (وجال للأعادي ووقعها آجال

وكذا قول المتأخر :

وكم سبقت منه الى عوارف  
ثناني من تلك العوارف وارف  
وكم غرر من بره ولطائف  
لشكري على تلك اللطائف طائف

وذلك أن زيادة عوارف على وارف بحرف اختلاف من مبدأ الكلمة  
في الجملة فإنه لا يبعد كل البعد عن اعتراض طرف من هذا التخيل  
فيه ، وان كان لا يقوى تلك القوة ، كأنك ترى أن اللفظة أعيدت عليك  
مبدلاً من بعض حروفها غيره ، أو محذوفاً منها .

وبهذا بين الشيخ عبد القاهر مقياس حسن الجناس ، وفائدته .  
فالجناس لا يكون حسناً مقبولاً الا اذا جاء مطبوعاً غير متكلف ، وكان  
المعنى هو الذي طلبه وقد اليه .

وفائدة الجناس عنده تتمثل في حسن الافادة مع أن الصسورة  
صورة التكرير والاعادة ، فهو فن خادع موهم ، تشمر من خلاله أن  
المتكلم قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاه ، ويوهمك  
كأنه لم يزدك شيئاً وقد أحسن الزيادة ووفاهها . وهذه الفائدة تظهر في  
بعض أنواعه قوية جليلة ، ولا تخلو أنواعه الأخرى من وجودها .

والجناس أثر جلى في تشويق النفس ، وتنشيط الفكر ، للوقوف على المراد من اللفظين المتشابهين ، وهذا أدعى إلى تثبيته وتأكيد في الذهن بعد معرفته . وجاء في جوهر لکنز عن فائدة الجناس : ان تشابه الفاظ التجنيس تحدث بالسمع ميلا إليه ، فان النفس تتشوق إلى سماع اللفظة الواحدة اذا كانت بمعنيين ، وتتسوق إلى استخراج المعنيين المشتغل عليهما ذلك اللفظ ، فصار للتجنيس وقع في النفوس وفائدة (٣٥) .

والجناس من أسباب تلاحم الاسلوب وترابطه . لما بين طرفيه من المماثلة الشكلية ، وله وقع موسيقى ملحوظ ، يجعل الاسلوب مميذا وذا أثر قوى في النفس .

\* \* \*

### الفصل الثالث

#### فنون الاجمال والتفصيل

يدور البحث في هذا الفصل حول بعض الفنون ابديعية التي تقوم على الاجمال والتفصيل ، والابهام ، والايضاح ، والجمع والتفريق ، وما أشبه ذلك .

وفي هذه الفنون يتم عرض المعنى في صورتين مختلفتين ، مجملة ومفصلة ، أو مجموعة ومفرقة ، مما يفهم المعنى ويؤكدده ، ويثير الانتباه نحوه ويشوق اليه .

والفنون التي سفتناولها بالبحث هي : اللف والنشر ، والجمع ، والتفريق ، والتقسيم ، والجمع مع التفريق ، والجمع مع التقسيم ، والجمع مع التفريق والتقسيم .

وهي فنون أصيلة داخلة في صميم البلاغة ، ومنها ما له نظير بعته البلاغيون في باب الاطناب حيث جعلوا من أنواعه الايضاح بعسد الابهام ، والتوشيح ، ولا يبعدان كثيرا عما نحن بصدد الحديث عنه في هذا الفصل .

## الف والنشر

الف لغة الضم والجمع ، والنشر عكسه وهو البسط والتفريق .  
واللف والنشر عند لبلاغيين : ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الاجمال ،  
ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين ، ثقة بأن السامع يردده اليه (١) .

وقولهم من غير تعيين أى من غير أن يعين لشيء مما ذكر أولا ما  
هو له مما ذكر ثانيا ، وهذا قيد في التعريف يخرج ما كان معينا ، فهو  
من باب التقسيم ، وليس من هذا الباب . وترك التعيين يكون من أجل  
الوثوق بأن السامع يرد الى كل ما هو له بناء على القرينة . وهي تكون  
لفظية كقولك : رأيت زيدا وهذا ضاحكا وعابسة ، فتأنيث عابسة  
قرينة لفظية على أنها راجعة الى هند . وتكون معنوية كقولك : لقبت  
الصاحب والعدو فأكرمت وأهنت ، فالقرينة هنا معنوية ، وهي أن  
المستحق للاكرام الصاحب ، وللأهانة العدو .

واللف والنشر على قسمين — مفصل ومجمل :

١ — المفصل : وهو ما ذكر فيه المتعدد على سبيل التفصيل وهو  
ضريان :

الأول : المرتب : وهو ما جاء النشر فيه على ترتيب اللف ، ومنه  
قوله تعالى : « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكتوا فيه ولتبتغوا  
من فضله ولعلكم تشكرون » (٢) ، فذكر في الآية الليل والنهار مفصلا ،  
ثم ذكر فائدة كل منهما على الترتيب من غير تعيين ، فإسكون يرجع الى  
الليل لان فيه الراحة والنوم ، وابتغاء الفضل يرجع الى النهار لان فيه  
السعي والكدح . والضمير في « فيه » وان كان يعود الى الليل الا أنه

(١) الايضاح ٤٢/٦ .

(٢) القصص آية ٧٢ .



بحسب ظاهر اللفظ يحتمل أن يكون نليل والنهار ، وهذا الاحتمان كاف  
في عدم التعمين ، فلا تكون الآية من قبيل التقسيم .

قال الزمخشري : زأوج بين الليل والنهار لأغراض ثلاثة : لتسكنوا  
في أحدها وهو الليل ، ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النهار ،  
ولإرادة شكركم ، وقد سلكت بهذه الآية طريقة اللف في تكرير التوبيخ  
باتخاذ اشركاء ، ايذانا بأن لا شيء أجلب لغضب الله من الاشرار به ،  
كما لا شيء أدخل في مرضاته من توحيدده (٣) .

ومنه قوله تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها  
كل البسط فتقعد ملوما محسورا » (٤) ، فاللوم راجع الى البخل ،  
ومحسورا راجع الى الاسراف ، لان معناه منقطعا لا شيء عندك (٥) .

ومنه قول ابن الرومي :

أراؤكم ووجوههم وسيوفكم  
في الحادثات اذا دجون نجوم  
فيها معالم لهدى ومصابيح  
تجاو الدجى والأخريات نجوم

فعدد ثلاثة أشياء مفصلة هي : الآراء والوجوه والسيوف ، ثم ذكر  
ما يرجع الى كل واحد منها على الترتيب ، فمعالم للهدى للآراء ،  
ومصابيح تجلو الدجى للوجوه ، والنجوم للسيوف . ويجانب هذا تجد  
في البيت الأول فنا بديعيا آخر هو الجمع ، حيث جمع بين الأتسياء  
الثلاثة المذكورة في حكم واحد هو لأنها نجوم في ظلام الحادثات .  
وللبهاء السبكي في التمثيل بقول ابن الرومي نظر من وجوه لا يحتمل  
المقام ذكرها (٦) .

(٣) الكشاف ٣/ ١٨٩ .

(٤) الاسراء آية ٢٩ .

(٥) معترك الأتسيران ١/ ٤١٠ .

(٦) انظر عروس الأعراف ٤/ ٢٢٠ ، ٢٢١ .

ومنه قول أبي الطيب :

ان كوتبوا أو لقوا أو حوزبوا وجدوا  
في الخط واللفظ والهجاء فرسانا

والمراد بقوله « لقوا » ملاقة الاقران في الخطابة والمكالمة ،  
لأملاتهم في القتال ، لأنه ذكر الحرب بعده (٧) .

ومنه قول ابن حيوس :

نحل المدام ولونها ومذاقها  
في مقلتيه ووجنتيه وريقه

فذكر أن الخمر ولونها ومذاقها قد أثرت في مقلتيه ووجنتيه وريقه ،  
فذكر متعددًا على سبيل اللف ثم ذكر ما لكل واحد على سبيل النشر  
المرتب .

والثاني : غير المرتب : وهو ما جاء النشر فيه على غير ترتيب  
اللف ، سواء كان معكوس انترتيب أم مختلطًا ، فمن المعكوس قول  
ابن حيوس :

كيف أسلو وأنت حقف وغصن  
وغزبان ، لحظا وقد وردفسا (٨)

فلف بين الحقف والغصن والغزبان ، ثم ذكر ما لكل واحد منها  
على عكس الترتيب السابق باللفظ للغزبان ، والقدر الغصن ، والردف  
للحقف .

ومنه قول الفرزدق :

---

(٧) شرح ديوان المتنبي ٢٥٨/٤ .  
(٨) الحقف بكسر الحاء، يجتمع الرومل إذا عظم واستدار .

لقد خنت قوما لو لجأت اليهم  
طريد دم أو حاملا ثقل مفترم  
لألفيت فيهم معطيا أو مطاعنا  
وراعك شزرا بالوشيج المقوم (٩)

وانشاعر يهجو هيرة بن ضمضم لقتله القمقاع بن عوف ويقول  
له : لقد ارتكبت جرما كبيرا بهذه الخيانة ، فلقد خنت قوما لو لجأت  
اليهم لو وجدت فيهم نعم الملجأ والملاذ ، ولألفيتهم يقدمون لك المسار  
ويضحون بأنفسهم دفاعا عنك ، وقد ذكر شيئين : طريد دم ، وحاملا  
ثقل مفترم ، ثم فكر ما أكل منهما على عكس الترتيب السابق ، فمعطيا  
يرجع الى قوله : حاملا ثقل مفترم . ومطاعنا يرجع الى طريد دم .

ومنه قول الشاعر :

يا لعف قلبي غداة البين قد رحلوا  
بظبيسة ضربت من دونها الكلال  
قوامها ومحياها ومبسمها  
كأس الرحيق وبدر النعم والأسل (١٠)

مذكر متعددا مفصلا ثم فكر ما أكل واحد على عكس الترتيب  
الأول ، فكأس الرحيق يرجع الى مبسمها ، وبدر النعم يرجع الى  
محياها ، والأسل يرجع الى قوامها .

ومن المختلط أن تقول : هو شمس وأسد وبهر شجاعة وبهاء  
وجودا ، فلفنت بين الشمس والأسد والبحر ، وفكرت ما لها على سبيل

---

(٩) طريد دم : كناية عن كونه قتلا . وحاملا ثقل مفترم : أي يحبل  
بلا مطانة له به في صلح أو دية . وشزرا : مصدر شزر أي طعن عن  
بيته وشماله . والوشيج : شجر الرماح ، والمقوم : المنقح .  
(١٠) الكلال : جمع كلة وهي الستر الرقيق ، والأسل : جمع أسلة  
وهي الرمح .

الاختلاط ، فلم تتبع ترتيبا مطردا أو منكوسا ، فالشجاعة للأسد والبهاء  
للشمس ، والجود البهر .

٢. — المجهل : وهو أن يذكر المتعدد على سبيل الاجماف كقوله  
تعالى : « وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى » (١١) ،  
فان الضمير في « قالوا » لاهل الكتاب من اليهود والنصارى ، والتقدير  
وقالت اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى  
والمعنى على النشر : وقالت اليهود : لن يدخل الجنة الا من كان هودا ،  
وقالت النصارى : لن يدخل الجنة الا من كان نصارى . فلف بين القولين  
بقوله « وقالوا » ثقة بأن السامع يرد الى كل فريق قوله ، وإنما من  
الابتناس ، لما علم من التعادى بين الفريقين ، وتضليل كل واحد منهما  
لصاحبه (١٢) .

ومن اللف والنشر نوع لم يشر اليه الخطيب ، وذكره الزمخشري ،  
ويأتى فيه النشر فاصلا بين أجزاء اللف كما في قوله تعالى : « ومن آياته  
مقامكم بالليل والنهار وابتغواكم من فضله » (١٣) ، فاللف في قوله  
مقامكم وابتغواكم من فضله ، والنشر في قوله بالليل والنهار ، وهو  
فاصل بين أجزاء اللف . وقد أشار الزمخشري الى ذلك فقال : هذا من  
باب اللف وترتيبه : ومن آياته مقامكم وابتغواكم من فضله بالليل  
والنهار ، الا أنه فصل بين القرينين الأولين بالقرينين الآخرين لانهمنا  
زمانان والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على  
الاتجاه (١٤) .

ومنه نوع آخر لطيف المساك أشار اليه الزمخشري أيضا في قوله  
تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر

(١١) البقرة آية ١١١

(١٢) الخطيب ٣٠٤/١

(١٣) الروم آية ٢٢

(١٤) الكشاف ٢١٨/٣ ، وانظر التبيان ٤٠٠

فعدة من أيام نحر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا  
العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلمكم تشكرون » (١٥) ، فقال : الفعل  
المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره — ولتكملوا العدة ولتكبروا  
الله على ما هداكم ولعلمكم تشكرون — شرع ذلك ، يعنى جملة ما ذكر  
من أمر الشاهد بصوم الشهر ، وأمر المرخص له بمراعاة عدة ما أفطر  
فيه ، ومن الترخيص في إباحة النظر ، فقوله « لتكملوا » علة الأمر  
بمراعاة العدة « وتكبروا » علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن  
عدة الفطر ، « ولعلمكم تشكرون » علة الترخيص والتيسير ، وهذا نوع  
من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدى الى تبينه الا التقاب المحدث من  
علماء البيهقيان (١٦) .

وقد تحدث سعد الدين عن هذا النوع وضبطه فقال : وهنا نوع  
آخر من اللف لطيف المسلك وهو أن يذكر متعدد على التفصيل ، ثم يذكر  
ما لكل ويؤتى بعده بذكر المتعدد ملفوظا أو مقدرًا فيقع الفشر بين لفين  
أحدهما مفصل والآخر مجمل ، وهذا معنى لطيف مسلكه ، ونقل كلام  
الزمخشري السابق ، وأورد عليه اشكالا ملخصه : أن الزمخشري ذكر  
في اللف أمر الشاهد بصوم الشهر ، ولم يجعل له مقابلا في المعلل ، وأنه  
ذكر في المعلل ولتكبروا ، واعتبرها علة لما علم من كيفية القضاء ، وهذا  
لم يذكر في المطلات ، وأجاب عن هذا الاشكال : بأن ذكر أمر الشاهد  
بالصوم لم يذكر الا ليبنى عليه غيره فليس ما يدعو الى ذكر علة له ،  
وأن ما علم من كيفية القضاء مفهوم من الأمر بمراعاة العدة وبهذا  
يكون تطبيق المسلك على المطلات في كلام الزمخشري وانيسا  
محييا (١٧) .

ومنه قسم أشار اليه السعد في المختصر فقال : ومن غريب اللف

(١٥) البقرة آية ١٨٥ .  
(١٦) الكشاف ١/٣٢٧ .  
(١٧) انظر الطول ٢٧٧ : ٢٨٨ ، والبلاغة القرآنية ٤٨٨ .

والنشر أن يذكر متعددان أو أكثر ثم يذكر في نشر واحد ما يكون لك من  
آحاد كل من المتحددين ، كما تقول : الراحة والتعب ، والعدل والظلم ،  
قد سد من أبوابها ما كان مفتوحا ، وفتح من طرقها ما كان مسدودا ،  
فقوله الراحة والتعب لف أول ، والعدل والظلم لف ثان ، وجاء بعدهما  
نشر واحد مكون من شقين : سد من أبوابها ما كان مفتوحا ، وهو راجع  
إلى الطرف الأول من اللفين : الراحة والعدل ، وفتح من طرقها ما كان  
مسدودا ، وهو راجع إلى الطرف الثاني من اللفين : التعب والظلم ،  
فمعنى الكلام أنه سد من أبواب الراحة والعدل ما كان مفتوحا ، وفتح  
من أبواب التعب والظلم ما كان مسدودا .

وقيل إن الضمير في أبوابها وطرقها راجع إلى كل من الأربعة  
المذكورة ، ويكون النشر لكل واحد من الأربعة ، ولا تنافي في الحكم لأن  
المراد أن لها أبوابا ، سد واحد وفتح آخر (١٨) .

### بلاغة اللف والنشر :

لا يكون اللف والنشر بليغا حتى يكون خاليا من التكلف والحشو  
وعقسادة التركيب ، وجامعا بين سهولة اللفظ والمعاني البديعة  
المختزعة (١٩) ، وقد تكلف كثير من الشعراء المتأخرين توشية الشعر  
باللف والنشر ، وتسابقوا في كثرة أفراد المتعدد في اللف وما يقابلها في  
النشر ، فلحقه التعقيد ، وركبه التناثر والثقل ، ولم يشفع في فصاحته  
وبلاغته تزيينه باللف والنشر المطلوب لذلك .

من هذا قول جيفي الدين الجلي وقد لف بين ثمانية أشياء ونشر  
ما يماثلها :

(١٨) انظر المختصر ، وبواهب الفتح ، ومأشبة الدبوتن ٣٢٤/٤ .

(١٩) انظر معاهد التنصيص ٢٧٨/٢ .

وظبي بقفر فوق طرف مسوق  
بقوس رمى في النقع وحشا باسمهم  
كبدر بأفق فوق برق بكفه  
هلال رمى في اللين جنا بأنجم

وقول الآخر وقد اف بين عشرة أشياء :

شعر جبين محيا معطف كفل  
صدغ فم وجنات ناظر ثغر  
ليل صباح هلال بانه وبقا  
أس أقاح شقيق نرجس در

وقول ابن جابر وقد اف بين اثني عشر شيئا :

فسروع سنا قد كلام فم لمي  
حلى عنق ثغر شذا مقلة خد  
دجى قمر غصن جنى خاتم طلا  
نجوم رشسا در صسا نرجس ورد

فهذا وما شابهه خارج عن نطاق البلاغة ، وما نزل به الى الحضيض  
سوى تكلف اللف والنشر والتمهل لجمع أطراف كثيرة وذكر ما يخص  
كل واحد منها .

واللف والنشر البايغ يثير الفكر وينشط العقل ويشوق النفس  
نتيجة ذكر المتعدد غير تام الفائدة ، فتتشوق النفس لتمامها ، وينشد  
العقل لتصورها ، فاذا جاء النشر ظهرت الفائدة مجموعة غير معينة  
فتحتاج الى فكر وتأمل لارجاع كل صفة الى ما هي له ، اعتمادا على  
القرائن ، وهذا يجعل المتلقى مصغيا الى الأسلوب ، متفاعلا معه  
باهتا عن أسراره وأعواره حتى يقف على المراد فيثبت ويتأكد لديه .

وفي اللف والنشر لون من الايضاح بعدم الابهام والتفصيل بعد  
الاجمال حيث يذكر المتعدد مبهما ، ثم توضح صفات أفرادها ، وفي هذا  
تفخيم له وتعظيم لشأنه ، لان ابهامه يدع النفس تذهب في تصور  
تفصيله كل مذهب ، فاذا فسر كان هذا أحلى موقعا في النفس .

واللف والنشر يربط بين أجزاء الكلام ، ويزيد من تلاحم عناصره ،  
نظرا لانه مكون من طرفين كل منهما محتاج الى الآخر لتكتمل الفائدة  
ويتضح المراد ، وهذا من أقوى الصلوات بين أجزاء الكلام .

\* \* \*



## الجمع

وهو أن يجمع بين شيئين أو أشياء في حكم واحد (١) . كقوله تعالى : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » (٢) ، فجمع فيه بين المال والبنين في حكم واحد هو أنهما زينة الحياة الدنيا . وأدخل لفظ « بين » في التعريف ولم يقل أن يجمع متعدد إشارة إلى أن المتعدد هنا يجب أن يكون مصرحاً به في الذكر فقولنا : الأولاد زينة الحياة الدنيا ، ليس من قبيل الجمع وإن كان لفظ الأولاد متعدداً (٣) .

ومن الجمع قوله تعالى : « إنما أموالكم وأولادكم فتنة » (٤) ، وقوله تعالى « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان » (٥) ، وفي هذه الآية جمع بين أربعة أشياء في كونها رجسا من عمل للشيطان ، وهذا يشير إلى اتحادها في هذا الوصف الشنيع ، والدعى إلى التغيير منها جملة حتى لا يفضل بينها في الابتعاد عنها .

ومنه قول أبي العتاهية :

إن الثياب والفراغ والجسدة

مفسدة للمرء أي مفسدة

فجمع بين الأشياء الثلاثة في كونها مفسدة عظيمة .

ومنه قول صفى الدين الخلى في مدح الرسول صلى الله عليه

وسلم

(١) الأضغاج ٤٥/٦

(٢) الكهف آية ٤٧

(٣) حاشية السيوطي ٢٢٥/٤

(٤) الغسلين آية ١٥

(٥) المائدة آية ٦

آراؤه وعطاياها ونعمته  
وعفوه رحمة للناس كلهم

فجمع بين أربعة أشياء في كونها رحمة للناس •

ومن لطيف الجمع قول المتنبى :

الخيال والليل والبيداء تعرفني  
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فجمع في الشطر الأول بين ثلاثة أشياء في كونها تعرفه ، وعطف  
عليها أربعة أشياء في الشطر الثاني ، واستغنى بخبر الأولى عن خبر  
الثانية لوضوح دلالة عليه •

ولا يشترط في الحكم الذي جمع فيه بين الأشياء أن يقع خبرا عن  
المتعدد ، فقد يكون خبرا كما تقدم في الأمثلة ، وقد يكون غير ذلك كما  
في قول محمد بن وهيب :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها  
شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر

فالحكم متقدم على الأشياء الثلاثة التي تشترك فيه • وتجد لهذا  
نظائر كثيرة في الشعر والنثر •

وللسبب وجبة نظر في جعل هذا من الجمع ، فهو يرى أن بداعة  
الجمع يشترط فيها الاخبار عن المتعدد بمفرد يصدق على الجميع لكونه  
مصحرا أو نحوه كرينة في الآية الكريمة الأولى ، ومفسدة في قول  
أبي العتاهية (٧) •

وجعل الطيبي من الجمع باب أحكام ذات الجاهلين ، بقوله تعالى :

« جعلكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذروكم فيه » (٨)،  
فيذروكم أى يترككم من الذرة وهو البث والتكثير ، والضمير فى  
« يذروكم » يرجع الى المخاطبين وقية تليب من وجهين :

انه غلب فيه جانب العقلاء على غير العقلاء ، وغلب فيه جانب  
المخاطبين على الغائبين ، والضمير فى « فيه » عائد الى معنى الملتين  
وهما الجملان المذكوران المؤولان بالتدبير المسبب عنه ذرة الحيوان (٩)،  
فجمع الجملين فى حكم واحد هو الذرة .

### بلاغة الجمع :

والجمع لون بديع يحقق الايجاز فى الاسلوب ، حيث يجمع فيه  
بين الشيئين أو الأشياء فى خبر واحد . ولو جعل لك منها خير على حدة  
لطال الكلام وخرج عن حد الاعتدال .

وفى الجمع اثاره للفكر وتشويق للنفس ، فان ذكر الأشياء المتعددة  
تلو بعضها دون بيان حكم لها يجعل النفس تشوق للحكم وتنتظر  
مجيئه ، ويبعث العقل على التفكير فيه وتصور كتبه : « فاذا ورد بعد  
ذلك دخل على النفس وهى فى شوق اليه فتمكن فضل تمكن .

وكلما كثرت الأشياء انتمى يراى جمعها فى حكم واحد كلما زاد ذلك  
من تشويق المتلقى واثارة فكره ، وضاعفه من لهفته على معرفة الحكم،  
وهذا يدفعه الى الانفعال بالموضوع والتفاعل مع الاسلوب ، والوقوف  
على المراد .

وقد جاءت صور من الجمع فى القرآن الكريم كثرت فيها الأشياء

(٨) الشورى آية ٤٢ .  
(٩) التفسير الكبير ٣٧٧/٧ ، والتبيلن ٤٠٢ ، وانظر الكشاف

المجموعة على نمط فريد مما يجعل المستمع شديد الإصغاء ، مشهود الفكر ، متصل الأنفعال حتى يستمع الى الحكم المقصود فيثبت في ذهنه ، من ذلك قوله تعالى : « ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات نجد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » (١٠) .

وقوله تعالى : « ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » (١١) .

فقد جمع في الآيتين بين أشياء كثيرة توالى وتتابعت فربطت المتلقى بها وجذبه الى الإصغاء فلا يستطيع الانفصال عنها الا بعد وصوله الى الحكم الذي طالما اشتاق اليه ، وتعلقت نفسه به ، ليحظى منه الفسائدة والثمرة .

وذكر العصام في وجه تحسين الجمع أنه يبرز الشيء في هيئات مختلفة في تركيب واحد ، نارة في هيئة الكثرة ، واخرى في هيئة الواحدة (١٢) . وفي هذا تلويح للاسلوب وتأكيد للمعنى .

وفي الجمع بجانب كل هذا ربط الاسلوب وتقوية العلاقة بين مفرداته نظرا لان الأسماء المجموعة متعلقة بالحكم الذي جمعت فيه ، ومتخمة به بحيث لا يمكن الفصل بينهما .

(١٠) الأحزاب آية ٢٥ .

(١١) البقرة آية ١٦٤ .

(١٢) الأطسول ٢/٦٩٤ .

### التفريق

هو ايقاع تباين بين أمرين من نوع واحد في المذح أو غيره (١) .  
أي التفريق بين شيئين في صفة يشتركان فيها ، كما في قول رشيد الدين  
الوطواط :

ما نوال الغمام وقت ربيع  
كثوال الأمير يوم سخاء  
فنوال الأمير بجرة عين  
ونوال الغمام قطرة ماء (٢)

فالغمام والأمير يشتركان في صفة العطاء ، ولكن الشاعر فرق  
بينهما فيها ، فعطاء الأمير يكون مالا كثيرا ، وعطاء الغمام يكون قطرة  
ماء ، وشتان بين العطاءين . ويبلغ في زيادة الفرق بينهما بقوله « وقت  
ربيع » وقوله « يوم سخاء » فالغمام وقت الربيع يكون ممتلا بالماء ،  
ومع هذا فعطاؤه قليل ، والأمير يوم السخاء يكون خاوي الوفاض لكثرة  
السائلين وكمال بذله وجوده في هذا اليوم ، ومع هذا فعطاؤه كثير (٣) .

وفرق الواواء الدمشقي بين عطاء المدوح وعطاء الغمام واكن من  
زاوية أخرى فقال :

من قاس جدواك بالغمام فما  
أنصف في الحكيم بين شككين  
أنت إذا جدت ضاحك أبدا  
وهو إذا جساد داعم العين

(١) الأيضاح ٤٦/٦ .  
(٢) النوال : العطاء ، والبجرة : كيس فيه الف دينار أو عشرة آلاف  
درهم ، والعين : المال .  
(٣) النظر على صفة العنقوتين ٤٤٦/٦ .

فلم يفرق بينهما من جهة نوع العطاء ومقداره كما فعل الوطواط ،  
ولكنه فرق بينهما من جهة حالهما وهيئتهما عند العطاء ، فالمدوح مسرور  
بالعطاء لذا يعطى وهو ضاحك ، والغمام غير راض عن العطاء اذا يعطى  
وهو باك دافع العين ، فجعل المطر دموع عين الغمام وهو تخييل طريف .

والتفريق بين المدوح والغيث بالضحك والبكاء شائع في الشعر  
عند المتأخرين ، ومن ذلك قول أبي الفتح البستي :

يا سيد الأمراء يا من جوده  
لوفى على الغيث المطير اذا همى  
الغيث يعطى باكيا متجهما  
وتراك تعطى ناضرا متبسما

وقول الأخر :

من قاس جودك يوما  
بالسحب أخطأ مدحك  
السحب تعطى وتبسكن  
وأنت تعطى وتضحك

وسلك بديع الزمان مسلكا بديما في التفريق ، حيث فرق بين  
المدوح وعدة أشياء عن طريق التشبيه المشروط فقال :

يكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا  
لو كان طلق المهيأ يمطر الذهبا  
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت  
والليلث لو لم يصد والبهر لو عذبا

ففرق بين المدوح وبين الغيث والدهر والشمس والليلث والبحر  
عن طريق التشبيه المشروط ، حيث جعل عذب الأشياء تكاد تصاحبه لو

توفر في كل منها شرط مخصوص ، وهذا الشرط يستحيل تحققه ، إذا  
هذه الأشياء لا يمكن أن تتساوى مع المدوح .

والتفريق ليس مقصودا على المدح ، فيأتي في كل المصانف  
والأغراض ، ومن جيده في الغزل قول بدر الدين بن النحوية :

حسبت جماله بدرا منيرا

وأين البدر من ذلك الجمال ؟

ففرق بين جماله وبين البدر عن طريق الاستفهام المفيد للاستبعاد

ومنه قول الشاعر :

قاسوك بالخصن في التشفى

قياس جهل بلا انتمصاف

هذاك غصن الخلاف يدعى

وأنت غصن بلا خلاف (٤)

ففرق بين الغصن وبين محبوبه ، فالغصن في كونه غصنا خلاف ،  
موريا بالصفصاف عن المخالفة ، أما محبوبه فهو غصن بلا مخالفة  
في ذلك .

قال السبكي ويمكن أن يكون من التفريق قوله تعالى : « وما يستوى  
البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج » (٥) ، فالبحران  
يشتركان في وجود الماء فيهما ، لكنهما يفترقان في أن ماء أحدهما عذب  
فترات سائغ للشاربين ، وماء الآخر ملح أجاج يعافه الوردون . ودخول  
هذا في التفريق راجع الى التصريح بعدم التساوي بين البحرين ، فهما  
وان اشتركا في صفة الا أنهما يفترقان من ناحية أخرى تتعلق بهذه

(٤) الخلاف : شجر الصفصاف .

(٥) ماظر آية ١٢ ، وانظر عروس الأبراج ٢/٢٣٦ .

الصفة . ونعمل تعبير السبكي بإمكان دخوله في التفريق راجع إلى أن المثال قريب من اللف والنشر بحيث ذكر المتعدد مجملا ثم ذكر ما لكل واحد من أفراده من غير تعيين .

### بلاغة التفريق :

في التفريق لون من تفصيل الجمل وذلك بتمييز أفراده ، وإزالة وهم الاتحاد بينها ، مما يؤدي إلى بيان خصائص المتحدث عنه ، وإظهار تباينه عما يشبهه في الغرض المراد مدحا أو رثاء أو غزلا أو هجاء وغير ذلك من الأغراض .

وفي التفريق يدعى المتكلم دعوى يشير فيها إلى اختصاص أحد الأفراد المشتركة في صفة بسمة خاصة فيها ، ويقيم الدين على ذلك بتوضيح الفرق ، كما رأينا في قول وشيد الدين ، والوأواء الدمشقي ، وغيرهما ، ففيه إثبات شتى بدليله ، وادعاء دعوى ببرهانها .

والتفريق مؤد إلى تناسب الكلام وترابطه نظرا لاتصاله بيمضه ، ودورانه حول موضوع واحد .



### التقسيم

وهو في اللغة مصدر قسمت الشيء إذا جزأته ، ويطلق عند البلاغيين على ثلاثة أنواع كل نوع منها له ضابط على حدة :

الأول : ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل اليه على التعيين . وبهذا القيد يخرج اللف والنشر ، حيث يذكر فيه ما لكل واحد من المتعدد من غير تعيين . مثال ذلك قوله تعالى : « كذبت ثمود وعاد بالقارعة ، فأما ثمود فأهلكوها بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية » (١) . فالمتعدد ثمود وعاد ، وأضيف إلى كل منهما ما له على سبيل التعيين .

ومنه قوله تعالى : « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فلأما الذين أسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ، وأما الذين أبيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون » (٢) ، ومثل السيوطى بذلك اللف والنشر المعكوس (٣) ، وواضح أنه ليس من اللف والنشر نظرا لتعيين ما لكل واحد من المتعدد .

ومنه قول الشاعر :

غيثان . أما الذي من فيض أنمله

فدائم ، والذي للمزن لم يدم

فذكر المتعدد ثم بين ما لكل واحد على التعيين .

ومثـ الخطيب له بقول أبي تمام :

فما هو إلا الوحي أو حد مرهف

تميل ظبياه أخدمني كل مائل

(١) الصلاة آية ٤ - ٦ .

(٢) آل عمران آية ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٣) شرح عقود الجمان ١٠٥/٢ .

فهذا دواء الداء من كل عالم  
وهذا دواء الداء من كل جاهل (٤)

فالتعدد الوحي وحيد السيف ، والمضاف نهما في البيت الثماني  
فالشطر الأول منه راجع الى الوحي والشطر الثاني منه راجع الى حد  
السيف ، وقيل : ان هذا المثل من قبيل اللف والنشر لعدم تعيين ما لكل  
واحد من المتعدد حيث قال :

فهذا دواء الداء من كل عالم  
وهذا دواء الداء من كل جاهل

دون تعيين ، والسامع هو الذي يرد كل واحد الى ما هو له اعتمادا  
على القرائن .

ورد على هذا بأن التعيين متحقق وموجود ، لان اسم الاشارة  
يشار به الى معين ، ولكن لما كان في البيت اسمى اشارة كان التعيين مع  
وجوده محتملا وجهين ، بخلاف اللف والنشر ، فان نفس التعيين منتف  
فيه (٥) . كما قيل ان التعيين محدد ولا احتمال فيه لوجهين ، بناء على  
ما قرره النحاة من أنه اذا ذكرت أسماء اشارة متعددة بعد مشار اليه  
متعدد فالأصل فيه أن يضاف الأول من أسماء الاشارة الأول من المشار  
اليه ، والثاني للثاني وهكذا (٦) .

كما مثل الخطيب بقول المتلمس :

ولا يقيم على ضيم يسراد به  
الا الأذلان غير الحي والوتد

---

(٤) الظبي : جمع ظبة وهي حيد السيف . والاختدعان : عرقان في  
صفحتي العنسق .

(٥) حاشية عبد الحكيم . ٥٠٠ .

(٦) نرح عقود الجمان ١٠٧/٢ .

هذا على الخسف مربوط برمته  
وذا يشح فلا يرثى له أحد (٧)

فالتعدد : غير الحي والوئد ، ونضاف الى الأول الربط على  
الخسف ، والى الثانى الشح ، على سبيل التعمين ، حيث أشار بهذا الى  
الأول وبذا الى الثانى ، وقيل انه لا تعين هنا لان هذا وذا متساويان  
فى الاشارة الى القريب ، فكل منهما يحتمل أن يكون اشارة الى الحير  
والوئد وعلى هذا يكون البيت من قبيل اللف والنثر ، ولم يسلم السعد  
بالتسوى بين هذا وذا ، لان فى حرف لتبنيه ايماء الى أن القرب فيه  
أقل بحيث يحتاج الى تبنيه ما بخلاف المجرى عنها ، فهذا للقريب يعنى  
الحير ، وذا للقرب يعنى الوئد ، وأمثال هذه الاعتبارات لا ينبغي أن  
تعمل فى عبارات البلغاء ، بل ليست البلاغة الا رعاية أمثال ذلك (٨) .

والثانى : ذكر أحوال الشيء مضافا الى ك حال ما يليق بها . من  
ذلك قوله تعالى : « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على  
المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة  
لائم » (٩) . ومن هذا قول أبى الطيب :

سأطلب حقى بالقنا ومساخ  
كانهم من طول ما التثموا مرد  
ثقال اذا لاقوا خفاف اذا دعوا  
كثير اذا شدوا قليل اذا عدوا (١٠)

---

(٧) الحير بفتح العين : الحمار ، والخسف : الذل ، والرمة : تطمة  
جبل بالية ، والشح : كسر الرأس ، فلا يرثى : فلا يبق ولا يرحم .  
(٨) المختصر ضمن الشروح ٣٢٨/٤ .  
(٩) المسئلة آية ٥٤ .  
(١٠) القنا : الرماح ، التثموا : لبسوا لثام الحرب ، والمرد جمع امرء  
وهو الشاب الذى لم تنبت له لحبة ، ثقال : شداد على الأعداء ، خفاف :  
سرعون ، شدوا : حملوا على الأعداء .

مذكر أحواء المشايخ في البيت الثاني وأضاف لكل حال ما يليق بها • ومنه قوله :

بدت قمرا ومالت خطوط بان  
وفاحت غيرا ورننت غزالا

ونحوه قول الآخر :

سفرن بدورا وانتقبن أهله  
ومس غصبونا والتفتن جاذرا

ومن هذا قول الامام على كرم الله وجهه : أحسن الى من شئت  
تكن أميره ، واستغن عن شئت تكن نظيره ، واحتج الى من شئت تكون  
أسيره •

والثالث : استيفاء أقسام الشيء بالذكر • ومنه قوله تعالى :  
« له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى » (١١) ،  
فاستوفت الآية كافة العوالم وجميع أقسام الكون ، فلا شيء يخرج  
عما ذكر فيها ، وكل ذلك ملك لله تعالى • ومنه قوله تعالى : « هو الذي  
يريكم البرق خوفا وطمعا » (١٢) ، فليس في رؤية البرق الا الخوف من  
الصواعق ، والطمع في الأمطار ، ولا ثالث لهذين لقسمين ، ومن لطيف  
ما وقع في هذه الآية تقديم الخوف على الطمع ، لأن الصواعق يجوز  
وقوعها من أول برقة ، وهي سبب الخوف ، والمطر لا يحصل الا بعد  
تواتر الأبراق وهو سبب الطمع ، فقدم ما يجوز وقوع سببه أولا • كما  
أن في تأخير الطمع نسخ للخوف ، كمجيء الرخاء بعد الشدة ، والفرج  
بعد الكرب ، فيكون ذلك أحلى موقعا في القلوب (١٣) •

(١١) طه آية ٦ •

(١٢) الرعد آية ١٢ •

(١٣) انظر بديع القرآن ٦٥ •

ومنه قوله تعالى : « يهب أن يشاء أنثاء ويهب أن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكرانا وأنثاء ويجعل من يشاء عقيما » (١٤) ، فقد تم استيفاء جميع الأقسام لأنه سبحانه أما أن يفرد العبد بهبة الاناث ، أو بهبة الذكور ، أو يجمعهما نه ، أو لا يهبه شيئا . وجاءت الأقسام في الآية على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة ، وهو الانتقال في النظم من الأدنى الى الأعلى ، اذ قدم فيها هبة الاناث ، وانتقل الى هبة الذكور ، ثم الى هبة المجموع ، وجاء كل أقسام العطفية بلفظ الهبة ، وفرد معنى الحرمان بالتأخير ، لان الانعام في هذا المقام أهم ، فالآية سبقت للاعتداد بانعم ، وانما ذكر الحرمان ليكتمل التمدح بالقدرة على المنع كما يمدح بالمطاء ، فيعلم أنه لا مانع لما أعطى ، ولا معطى لما منسح ، وعبر في الاخبار عن الحرمان بالجعل دون الحرمان والمنع لما فيهما من الشدة والقسوة ، وليتناسب التعبير مع ما جرى عليه التعبير في كثير من الآيات حيث يذكر الجعل في مقام الحرمان كما في قوله تعالى : « لو نشاء جعلناه نجعلناه حطاما » (١٥) ، وقوله تعالى (١٦) : « لو نشاء جعلناه أجاجا » (١٧) .

ومنه قوله تعالى : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله » (١٨) فاستوفت الآية الكريمة جميع الأقسام التي يمكن وجودها .

ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « ليس لك من مالك الا ما أكلت فأفانيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأبقيت » فاستوفى الحديث كل ما يعود على الانسان من ماله في ثلاثة أشياء ولا رابع لها .

- 
- (١٤) الشورى آية ٤٩ ، ٥٠ .
  - (١٥) الواقعة آية ٦٥ .
  - (١٦) الواقعة آية ٧٠ .
  - (١٧) انظر بديع القرآن ٦٨ .
  - (١٨) فاطر آية ٢٢ .

ومن هذا قول أبي تمام في الأفشين أحد كبار قادة المعتصم ، واتهم  
بعبادة النار كالمجوس فأحرق بها :

صلى لها حيا وكان وقودها  
ميتا ويدخلها مع انفجار  
فاستوفى أحواله مع النار في مهياه ومماته وآخرته •

ومنه قول زهير :

فان الحق مقطعه ثلاث  
يمين أو نفسار أو جلاء

فبين أن الحق يقطع برأى من ثلاثة أشياء لا رابع لها اليمين ، أو  
الاحتكام الى رجل ، أو الكسف عنه حتى ينجلي ، وقد أعجب به عمر  
رضي الله عنه وقال لو أدركت زهيرا لوليت القضاء لعرفته (١٩) •

ومنه قول صفي الدين الحلبي في بديعته :

أفنى جيوش العدا غزوا فلست ترى  
سوى قتيل ومأسور ومنهزم

بلاغسة التقسيم :

في أسلوب التقسيم تفصيل بعد اجمال ، وايضاخ بعد ابهام حيث  
يذكر المتعدد ثم تفصل أحواله ، أو يذكر الشيء وتستوفى أقسامه ،  
فيزداد المعنى بذلك فخامة وتأكيدا ، لكونه ذكر مرتين على هيئتين  
مختلفتين •

وذكر الشيء دون تفصيل أحواله يشوق النفس لمعرفة ، ويلهب  
الفكر ، فإذا ما جاءت الأقسام مفصلة والأحوال مبينة ثبتت

في الأذن ، وتمكنت في انفس ، للعمول عليها بعد شوق وطلب وقد •  
واسلوب التقسيم من عوامل ترابط الاسلوب ، واتحاد اجزائه ، فأوله  
متصل وآخره مرتبط بأوله ، وكل كلمة فيه آخذة بعنق صاحبها ، اذ  
الفائدة متوقفة على الكلام جميعه ، ومعلقة بالانتهاء منه ، وقد جعله  
الشيخ عبد القاهر من النظم الذي يتحد في الوضع ويدق فيه اصنع ،  
وترى فيه أجزاء الكلام متحدة ومتداخلة ، ويشهد ارتباط ثان منهسا  
بأول (٢٠) •

وفي التقسيم تناسق صوتي بديع يديشا من الجهل المتساوية ،  
والأقسام المحددة ، وما فيها من توازن وسجع غالبا •

وحصر أقسام الشيء واستيفائها بالذكر في التقسيم الثالث منه له  
أثر جليل في تثبيت المعاني وتمكينها ، حيث يهبط بأشياء من كافة  
أقسامه ، ويحصر من جميع وجوهه ، فلا يبقى أمام العقل الا ان  
يسلم بما عرض عليه ، ويفرغ لهضمه واستيعابه •

ويشترط في حسن التقسيم أن يكون تنسيما صحيحا ، فاذا ذكر  
التكلم متعددا ثم ذكر أحوال أفراده فعليه أن يأتي على وجهه  
الصحيح ، واذا أراد حصر الأقسام واستيفائها استوفائها على وجه  
دقيق دون أن يترك منها قسما أو يكرر فيها ، أو يداخل بين الأقسام ،  
فإن مثل هذه الأمور تجعل التقسيم رديئا غير مقبول •

وفساد التقسيم يأتي من أمور أشار إليها البلاغيون وهي (٢١) :

١ — عدم استيفاء أقسام الشيء كما في قول جرير :

صارت حنيفة أثلاثا فثلثهم

من العبيد وثلث من مواليه

(٢) انظر الإجماع ٩٣ : ٩٤ •

(٢١) انظر في ذلك : معجم اللغة ١٦٢ ، ١٦٣ ، والصفات ٢٦٩ •

٤٧ : وسر الأسماء ٢٢٨ ، ٢٢٩ •

فجعل بنى حنيقة ثلاثة أقسام ، ولكنه ذكر قسمين وترك القسم الثالث ، وهذا عيب أدخل بالتقسيم وجعله فاسدا ، وروى أنه أنشده ورجل من حنيقة حاضر ، فقيل له من أى الأثلاث أنت ؟ فقال من الثالث الملغى ، وهذا نقد لطيف يظهر عيب التقسيم •

ومثله قول بعض العرب :

سقاء سقيتين الله سقيا

طهورا والغمام يرى الغماما

فقال : سقيتين ثم قال : سقيا طهورا ، ولم يذكر الأخرى ، فإم يستوف الأقسام •

٢ — تكرير الأقسام • من ذلك قول هذيل الأشجعي :

فما برحت تومي إلى بظرفها

وتومض أحيانا إذا خصمها غفل

فتومي بظرفها وتومض في معنى واحد ، فالتقسيم فاسد •

ومنه قول أبي تمام :

قسم الزمان ربوعها بين الصبا

وقبولها ودبورها أثلاثا

فتقسيمه فاسد من طريق التكرار لأن القبول هي الصبا •

٣ — دخول أحد القسمين في الآخر • كقول الشاعر :

أبادر أهلاك مستهلك

لمسالي أو عيب المسابح

فعبث العابث داخل في أهلاك المستهلك ، وبذلك فسد التقسيم •



٤ — أن يكون أحد القسمين مما يجوز دخوله في الآخر كقول  
ابن القسرية :

الغاس ثلاثة : عاقل وأحمق وفاجر ، فالفاجر يجوز أن يكون أحمق ،  
ويجوز أن يكون عاقلا ، والعاقل يجوز أن يكون فاجرا وكذلك الأحمق ،  
وإذا جاز دخول أحد القسمين في الآخر فسدت القسمة .

وسأل كيسان فقال : علقمة بن عبدة جاهلي أو من بني تميم ؟  
فضحك من سؤاله . لان الجاهلي قد يكون من بني تميم ومن غيرهم ،  
والتميمي قد يكون جاهليا واسلاميا .

٥ — عدم التناسب بين الأقسام كما في قول قيس بن الخطيم :

وسلوا ضريح الكاهنين ومالكيا  
كم فيهم من دارع ونجيب

فلا مناسبة بين دارع ونجيب ، فالدارع الرجل ذو الدرع ،  
والنجيب الكريم .

وقريب منه قول الأخطل :

إذا التقت الأبطال أبصرت لونه  
مضيئا وأعناق الكمأة خضوع

فمضيئة مع خضوع رديء جدا ، وكان ينبغي أن يقول : واللوان  
الكمأة كاسفة .

## الجمع مع التفريق

وهو أن يدخل شيئان في معنى واحد ويفرق بين جهتي الإدخال (١)  
كقول رشيد الدين الوطواط :

فوجهك كالنار في ضوءها  
وقلبي كالنار في حررها

فأدخل قلبه ووجه الحبيب في معنى واحد حيث شبههما بالنار ،  
وفرق بين وجهي المشابهة ، فالوجه كالنار في الضوء والاشراق ، والقلب  
كالنار في الحرارة والاحتراق .

ومن هذا قوله تعالى : « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية  
الليل وجعلنا آية النهار مبصرة » (٢) ، فجمع بين الليل والنهار في  
كونهما آيتين ، ثم فرق بين الآيتين . فأية الليل مطموسة مظلمة ، وآية  
النهار مضيئة منيرة . وجعل الطيبى من هذا قوله تعالى : « الله يتوفى  
لأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها  
الموت ويرسل الأخرى الى تجل مسمى » (٣) ، جمع الأنفس في حكم  
التوفى ، ثم فرق من جهتي التوفى بالحكم ، بالامسك والارسال ، أى  
الله يتسوفى الأنفس ، النفس التي تقبض ، والنفس التي لم تقبض ،  
فيمسك الأولى ويرسل الأخرى (٤) .

ومعنى الآية تفصيلا : الله يتوفى الأنفس وقت موتها المحدد لها ،  
وهذه هي الوفاة الحقيقية ، ويتوفى الأنفس التي لم تمت حقيقة في  
منامها ، تشبيها للنوم بالموت ، فيمسك الأنفس التي قضى عليها الموت

(١) الأيضاح ٤٨/٦ .

(٢) الأبرار آية ١٢ .

(٣) الزمسر آية ٤٢ .

(٤) التبيان ٤٠٥ .

الحقيقي فلا يردّها حياة ، ويرسّن الأخرى النائمة حتى يأتى الأجل  
المحدد لموتها الحقيقي (٥) .

ومنه قوله تعالى : « قال أنا خير منه خلقتني من نر وخلقته من  
طين » (٦) ، فالجمع في الخلقة ، والتفريق في بيان جنس الخلقة فأبليس  
من نر و آدم من طين .

ومن الجمع مع التفريق قول البحترى :

ولما اتقينا والنقا موعد لنا  
تعجب رائى الدر حسنا ولا قطة  
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها  
ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

فجمع بين ثمرها وكلامها في التعبير عنهما باللؤلؤ ، ثم فرق فاللؤلؤ  
الأول يتجلى عند ابتسامها ، واللؤلؤ الآخر يتساقط عند حديثها .

ومنه قول ابن حجة الحموي في بديعته :

سناه كالبرق ان أبدوا ظلام ونهى  
والعزم كالبرق في تفريق جمعهم

فجمع بين سناه وعزمه في كونهما يشبهان البرق ، وفرق في جهتي  
المشابهة .

ومنه قول الفخر عيسى :

تشابه دمعانا غداة فراقنا  
مشابهة في قصة دون قصة

(٥) انظر الكشاف ، والانتصاف ، ٣/٣٩٨ ، ٤٠٠ .

(٦) ص ٧٦ .

فوجنتها تكسو المدام حمرة  
ودمعى يكسو حمرة اللون وجنتى

فجمع بين الدمعين في التشبه ، ثم فرق بينهما بأن دمعا يبيض ،  
فاذا جرى على خدها صار أحمر بسبب احمرار خدها ، وأن دمعه أحمر  
لأنه ييكى دما ، وخده من التحول أصفر فاذا جرى عليه الدمع كساه  
حمرة (٧) .

ومنه قول على بن مليك :

بالروح أهدى صاحبها لم يزل  
محتقرا ذنبى في عـفـوه  
فكفه كالماء في جسوده  
وقلبه كالماء في صـفـوه

فجمع بين كفه وقلبه في التشبيه ، وفرق بينهما في وجه التشبه .

ومن الجيد في ذلك لجيئه على نمط فريد قول مروان بن أبى خفصة:

تشابه يومناه علينا فأشكلا  
فما نحن ندري أى يوميه أفضل  
أيوم نداء الغمر أم يوم بأسه  
وما منهما الا أغر محجل

فيوماه يتشابهان في الفضل والبهاء ، وان كانا يفترقان فيما يعمله  
في كل منهما ، فيوم للكرم ويوم للباس والحرب .

## الجمع مع التقسيم

وهو جمع متعدد تحت حكم واحد ثم تقسيمه ، أو تقسيمه ثم جمعه تحت حكم واحد ، وعلى هذا فهو قسمان :

الأول : الجمع ثم التقسيم • كقول المتنبي :

حتى أقام على أرباض خرسنة  
تشقى به الروم والصلبان والبيع  
للسبي ما نكحوا وانقتل ما ولدوا  
وانهب ما جمعوا والنار ما زرعو(١)

فجمع في البيت الأول شقاء الروم بالممدوح على سبيل الاجمان ، حيث قال : تشقى به الروم ، ثم قسم في الثاني هذا الشقاء وفصله ، فقسمه الى سبي وقتل ونهب واحراق ، وفصله بأن أضف لك حال ما يناسبه ، فللسبي ما نكحوا من النساء ، وللقتل ما ولدوا ، وللنهب ما جمعوا من المال والمتاع ، وللنار ما زرعو من مزروعات ، وأما ما عطف على الروم من الصلبان والبيع فلم يتعرض له في التقسيم ، وعبر عن نسائهم وأولادهم بما التي لغير العاقل اشارة الى اهانتهم وقلة الجلالة بهم ، حتى كأنهم ليسوا من جنس ذوى العقول ، وملازمة لقسوله ما جمعوا وما زرعو(٢) •

ومثل له السيوطي بقوله تعالى : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله » (٣) ، فقد جمعهم الله تعالى في ايراث الكتاب ، ثم قسمهم

(١) الأرباض : اسوار المدينة ، وخرسنة : بلد بالروم •

(٢) المختصر وحاشية السيوطي ٢٤٠/٤ •

(٣) غافر آية ٢٢ •

الى الأقسام الثلاثة (٤) • أتى استوفت جميعهم ، وقد سبق الاستشهاد بهذه الآية في النوع الثالث من التقسيم باعتبار أنها قد استوفت أقسام الناس •

والثانى : التقسيم ثم الجمع • تقوى حسان في مدح النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته :

قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم  
أو حاولوا النفع في أشياعهم نفسوا  
سجية تلك منهم غير مصدثة  
ان الأخلاق فاعلم شرها البدع

فقسم في البيت الأول صفة المدوحين الى ضر الأعداء ونفع الأولياء ، ثم جمعهما في البيت الثانى بقوله : سجية تلك منهم •

وقد أثنى الشيخ عبد القاهر على هذا القسم الثانى ، واستشهد له بقول حسان السابق ، ثم قال : ومن ذلك وهو شىء في غاية الحسن قول القائل — ابراهيم بن العباس الصولى — :

لو أن ما أنتم فيه يدوم لكم  
ظننت ما أنا فيه دائماً أبداً  
لكن رأيت الليالى غير تاركة  
ما سر من حادث أو ساء مطردا  
ففسد سكنت الى نسي وانكم  
سنستجد خلاف الحالتين غدا

فقوله : « سنستجد خلاف الحالتين غدا » جمع فيما قسم لطيف ،

وقد ازداد لطفًا بحسن ما بناه عليه ، ولطف ما توصل به إليه من قوله :  
« فقد سكنت الى أنى وأنكم » (٥) .

وقد يأتي الجمع مقدرًا ، كما قد يأتي التقسيم مقدرًا ، وبين  
الطيين هذا فقاء : ومن الجمع التقديرى مع التقسيم قوله تعالى :  
« لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف  
عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعاً ، فأما الذين آمنوا و عملوا  
الصالحات فيوفئهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا  
واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً » (٦) . فحذف في الجمع ذكر المؤمنين  
أى ومن يستنكف ومن لم يستنكف فسيحشرهم وذلك لدلالة التقسيم  
عليه .

ومن التقسيم التقديرى قوله تعالى عقب الآيات السابقة :  
« يأتيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبيناً ،  
فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل  
ويهديهم اليه صراطا مستقيماً » (٧) ، فذكر جزاء المؤمن ولم يذكر  
جزاء الكافر (٨) .

وقد سبق أن أشار الزمخشري الى هذا ففي الموضع الأول ذكر  
أن التفصيل اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد ، وفي  
الموضع الثانى اشتمل التفصيل على فريق واحد (٩) . بعد ذكر الجميع  
في المفصل .

---

(٥) دلائل الاعجاز ٩٤ ، ٩٥ .  
(٦) النساء آية ١٧٢ ، ١٧٣ .  
(٧) النساء آية ١٧٤ ، ١٧٥ .  
(٨) التبيان ٤٠٦ .  
(٩) انظر الكشاف ٥٨٨/أ ، ٥٨٩ .

## الجمع مع التفريق والتقسيم

وهو أن يجمع بين متعدد في حكم ، ثم يفرق بين أفراده ، ثم يضاف لكل واحد ما يناسبه . فتأتى الألوان الثلاثة مبدوءة بالجمع ، فالتفريق فالتقسيم .

ومن أمثله قوله تعالى : « يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد ، فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها ما دامت السموات والأرض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد ، وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ » (١) ، فالجمع في قوله : « لا تكلم نفس الا باذنه » فنفس متعدد معنى لان الفكرة في سياق النفي تعم ، والتفريق في قوله : « فمنهم شقى وسعيد » ، والتقسيم في قوله : « فأما الذين شقوا » الى آخر الآيات (٢) .

ومنه قوله تعالى : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » (٣) ، فالجمع في قوله : « أنزل عليك الكتاب » والتفريق في قوله : « منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات » والتقسيم في قوله : « فأما الذين فى قلوبهم زيغ » ، وقوله : « والراسخون فى العلم » .

ومن هذا قول ابن شرف القيروانى :

(١) هود آية ١٠٥ - ١٠٨ .

(٢) الأيضاح ٥١/٦ .

(٣) آل عمران آية ٧ .



لختلفى الحاجات جمع بيبابه  
فهذا له فن وهذا له فن  
فللخامل العلياء وللممدح الغنى  
وللمذنب العتبي وللخائف الأمن

فجمع بقوله : لختلفى الحاجات ، وفرق بقوله : فهذا له فن وهذا  
له فن ، وقسم بقوله : فللخامل العلياء ، الى آخر البيت •

ومنه قول ابراهيم بن العباس :

لنا ابل كوم يضيق بها الفضا  
ويفتقر عنها أرضها وسماؤها  
فمن دونها أن يستباح دماؤها  
ومن دوننا أن تستباح دماؤها  
حمى وقرى فالوت دون مرامها  
وأيسر خطب يوم حق فناؤها

فجمع في البيت الأول ، وفرق في البيت الثاني ، وقسم في قوله :  
حمى وقرى •

### بلاغة الفنون المزدوجة :

عرضنا فيما سبق لفنون مزدوجة هي الجمع مع التفريق ، والجمع  
مع التقسيم ، والجمع مع التفريق والتقسيم • وقد بينا فيما سبق بلاغة  
كل فن مفرد منها ، ولا شك أن اجتماع فنيين أو ثلاثة منها في الكلام  
يزيده جمالا وترابطا وقوة ، طالما لم يصحبها تكلف ولا تعقيد ، ولم  
تكن طاغية على جانب المعنى من أجل التحسين البديعي •

وقد أشار بعض البلاغيين الى أن: في اجتماع هذه الفنون تحسينا

زائدا على مجيئها منفردة ، فالجمع مع التفريق ، أو مع التقسيم ، أو معها ، يحدث لونا من التقابل في الأسلوب يوجب حسنا زائدا على مجيء كل لون منها بمفرده (٤) .

وفي اجتماع هذه الفنون تلوين للكلام ، وتنشيط للسامع ، وتسهيل للفكر ، بالانتقال من جمع الى تفريق الى تقسيم ، وأداء المعنى بصور مختلفة .

\* \* \*

---

(٤) انظر عقود الجمان ١٠٨/٢ ، وحاشية النسوي ٣٣٨/٢ .

## الخاتمة

### مكانة البديع بين علوم البلاغة

بدأت الدراسات المنهجية في البلاغة العربية بدراسة فنون البديع على يد عبد الله بن المعتز ٢٩٦ هـ ، وذلك في كتابه « البديع » الذي أسلفنا الحديث عنه في التمهيد . ومضت مسيرة البحث البلاغي عبر العصور الأدبية ، ونالت فيها فنون البديع جل اهتمام العلماء ، كما نرى في مؤلفات قدامة بن جعفر ونبى هلال العسكري وابن رشيق وابن سنان الخفاجي وغيرهم ، وكان البديع عندهم يطلق على معظم الصور البلاغية التي صنفت بعد ذلك في علوم ثلاثة : المعاني والبيان والبديع .

ثم عصفت رياح الضعف الأدبي حاملة معها تيارا مغرقا في الصنعة مولعا بالتفنن والتشعيب في ألوانه الأصلية . وظهرت البديعيات وتفرغت عقول صائغياتها لرصد كل الوثنى البديعى صحيحه وعليه ، أصيلة ودخيله ، فتراكم من ذلك كم هائل من فنون البديع ، منها ما له قيمة في التعبير ، ومنها ما لا وزن له ، ومنها ما تداخل مع غيره فلا يفترقان الا في الاسم .

ومن جراء ذلك تحول الفن التعبيري الجميل الى زخرف شكلي ، وتلاعب لفظي ، في سبك متكلف ، وصنعة معقدة . وهذا مما هون من شأن البديع لدى المتأخرين من علماء البلاغة ، وأضعف من قيمته ، واعتبروه هلية وزينة في الأسلوب ، ولا دخل له في بلاغة الكلام .

ويحمل الباحثون الخطيب القزويني تبعه اشراج البديع من الخصائص البلاغية التي تتوقف عليها بلاغة الكلام ، حيث عرف البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته ، وبعد أن شرح التعريف

وبين مراتب البلاغة قال : واعلم أنه يتبعها وجوه كثيرة غير راجعة الى مطابقة مقتضى الحال ، ولا الى الفصاحة ، تورث الكلام حسنا وقبولا (١) — يعنى وجوه أبديع — • وبهذا أخرج فنون البديع من تعريف البلاغة اذ عدها غير راجعة الى مقتضى الحال ولا الى الفصاحة •

وأكد على هذا مرة ثانية حين بين أن بلاغة الكلام مرجعها الى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد ، والى تمييز الكلام الفصيح من غيره ، فالذى يحترز به عن الخطأ في تأدية المعنى هو علم المعانى ، والذى يحترز به عن غير الفصيح بسبب اتعقيد المعنوى هو علم البيان ، وما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته هو علم البديع (٢) •

فجعل بلاغة الكلام راجعة الى علمى المعانى والبيان ، أما علم البديع فيعرف منه وجوه تحسين الكلام بعد تمام بلاغته بالمطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة •

ويرى بعض الباحثين (٣) الخطيب مقتد في هذا بالسكاكى ، الذى حصر البلاغة في علمى المعانى والبيان وبعد أن انتهى من شرح أبوابهما قال : واذا تقرر أن البلاغة بمرجعيتها — المعانى والبيان — وأن الفصاحة بنوعيتها — اللفظية والمعنوية — مما يكسو الكلام حلة التزيين ، ويرقيه أعلى درجات التحسين ، فهنا وجوه مخصوصة كثيرا ما يصار اليها لقصد تحسين الكلام ، فلا علينا أن نشير الى الأعراف منها ، وهى قسمان : قسم يرجع الى المعنى وقسم يرجع الى اللفظ (٣) ، ثم مضى يشرح هذه الوجوه دون أن يطلق عليها اسم البديع •

• هذا رأى موضع نظر ، لان كلام السكاكى غير قاطع في اخراج

(١) الايضاح ٤١/١ ، ٤٦ ، ٤٧ •

(٢) الايضاح ٤٩/١ ، • • وانظر تعريفه للبديع في الايضاح ٤/٦ •

(٣) مفتاح العسلوم ٤٤٤ •

وجوه البديع من البلاغة ، ولكنه يجعل هذه الوجوه تعدل الفصاحة والبلاغة في تحسين الكلام وتزيينه ، وإذا كان التحسين الذي تعقبه الفصاحة والبلاغة في الأساليب ذاتيا فالتحسين الذي تعقبه هذه الوجوه في الكلام كذلك (٤) . فوجوه البديع عنده مساوية لوجوه الفصاحة والبلاغة في كونها مما يكسو الكلام حلة التزيين ويرقيه أعلى درجات التحسين ، ومن هنا ذكر ضمن وجوه تحسين الكلام الالتفات ، والإيجاز والإطناب منها على سبق دراستها في علم المعاني (٥) .

وتأخير السكاكي الحديث عن وجوه التحسين إلى الفراغ من علمي المعاني والبيان ، وإفراده لها بالذكر لا يقتضى أنه جعلها ذبلا وذبنا للبلاغة ، ولا يشير إلى أنه فصلها عنها ، فخطته التي أتبعها في الكتاب استوجبت ذلك ، إذ أخذ نفسه في أول الكتاب بتبيين الخواص التي تعرض للتراكيب من حذف وذكر وتعريف وتنكير وإطلاق وتقييد ونحو ذلك ، فلم يلف شيئا منها طباقا أو مقابلة أو تقسيما أو مزاجية أو ما إليها فوضعها هذا الوضع الذي لم ينزل من مكانتها مسويا بينها وبين الحلمين في العود على الكلام بالتحسين والتزيين (٦) .

وجاء بعد السكاكي بدر الدين بن مالك ت ٦٨٦ هـ بكتابه «المصباح» ومضى في جل مباحثه على نهج السكاكي ، إلا أنه أعطى وجوه تحسين الكلام مزيدا من الأصالة ، ووضعها في مرتبة مباحث المعاني والبيان على النحو التالي :

١ — تحدث في مقدمة كتابه عن فوائد علم البلاغة والفصاحة فقال : ويحترز به عن الخطأ في تطبيق الكلام لمقتضى الحان ، من تأدية تمام المراد على وفق ما يقتضيه من وضوح الدلالة أو خفائها ، ومن تزيين

(٤) الصبغ البيهقي ٥٠٥ .

(٥) انظر مفتاح العلوم ٤٢٩ ، ١٩٩ ، ٢٧٦ .

(٦) انظر الصبغ البيهقي ٥٠٦ .

العبرة بما يورث مزيد قبولها واستجلائها (٧) . . . . . فجعل محسنات العبرة شريكا مع مباحث عامي البيان والمعاني في تأدية تمام المراد على وفق ما يقتضيه الحال .

٢ — جعل محسنات الكلام علما مستقلا له شأنه ومكانته هو علم البديع ، فأصبحت البلاغة على يديه تتكون من ثلاثة علوم : المعاني والبيان والبديع بحد أن كانت علمين عند السكاكي يعقبهما وجوه تحسين الكلام .

٣ — جعل الفصاحة متوقفة على أمرين :

أحدهما : الافهام والتعيين باللفظ المختار ، والآخر : ترتيب الكلام بأيداع ما يورثه القبول من وجوه التحسين . ووجوه التحسين هذه تقسم الى قسمين :

الأول : ما يرجع الى الفصاحة اللفظية وذكر فيه أربعة وعشرين وجها منها : التجنيس — والتشجيع — والمطابقة — والمقابلة — والمشكلة — والمزاوجة — والتوشيح .

والثاني : ما يرجع الى الفصاحة المعنوية ، ووجوه هذا القسم على نوعين : وجوه مختصة بالافهام التبيين ، وذكر منها تسعة عشر وجها منها : حسن البيان — والايضاح — والتقسيم — والتتميم — والاحتراس — والتذييل — والاعتراض — والتجريد — والتكرار — والتعليل . ووجوه مختصة بالترتيب والتحسين وعددها خمسة عشر وجها منها اللف والنشر — والتفريق — والجمع — والتسوية — والائتلاف (٨) .

(٧) المسباج ٢ .

(٨) المسباج ٤ : ١٦١ .

فنراه جعل فائدة بعض ألوان البديع الأفهام والتبيين ، وهذا  
سأسن بلاغة الكلام ، والهدف المراد منه ، وما يحقق الأفهام والتبيين  
لا يمكن أن يعبر شيئا عرضيا أو ترفعا في الأسلوب ، كما أدخل صورا  
كثيرة من الالتفات في علم البديع ، وقد سبق له درس بعضها في علم  
المعاني (٩) .

والمقابل في فنون البديع يرى أن بعضها لا يزيد عن كونه حليمة  
شكلية وتلاعبا لفظيا ، وهذه الفنون ينبغي طرحها وعدم الاعتداد بها ،  
ويرى أن كثيرا من فنون البديع له أثر جليل في الأسلوب شكلا  
ومضمونا ، كالغنون التي درسناها في كتابنا ، ونحوها مما ورد في كتب  
البلاغيين ، وهذه الفنون التي لها قيمة ووزن في الكلام ، وتؤدي أغراضا  
لا توجد بدونها ، تعتبرها من جوهر البلاغة ولها صورها الأصيلة ،  
ولا تقل قيمة عن التشبيه أو الاستعارة أو غيرها من المسور التي  
جعلوها داخلة في حد البلاغة .

وهذا الرأي يؤيده ويؤكد عدة أمور :

١ - أن صور البديع التي درسناها وما يشبهها تفيد أغراضا  
وقيما في التعبير لا يمكن اغفالها أو التغليب من قيمتها ، وقد فصلنا  
القول في بلاغة كل لون من الألوان التي درسناها وبيننا أثره في الأسلوب  
فلا داعي لتكرار ذلك هنا ، وإذا كان التشبيه يفيد بيان حال المشبه أو  
بيان مقدار حاله ، أو تفريره أو بيان إمكانه وغير ذلك ففي الألوان  
البديعية ما يفيد التوضيح والتفريغ ، ومنها ما يفيد بيان الامكان  
والمبالغة ، ومنها ما يحقق التقاسم والتلاؤم وتناغم الأجزاء وهذا  
مما لا يستغنى عنه الكلام البليغ ، إذا لا يصح وصف فن بديعي  
بالعرضية في أسلوب أشرف إليه خصوصية ، ولأدى فيه غرضاً  
من الأغراض .

٢ — بعض صور البديع تدخل في علم المعانى ، أو علم البيان ، وقد درسها بعض العلماء في مواطنها من هذين العلمين • من ذلك الالتفات — والتذليل — والتتميم — والتكميل — والايضاح بعبء الابهام — والتهمك — وحسن التعلين — والتجريد ، وهذه الصور تدخل في تعريف البلاغة عندما تدرس في أحد هذين العلمين ، فكيف لا تدخل في حد البلاغة اذا درست في علم البديع ؟ هذا أمر يثير العجب ، ونظرة بعيدة عن الصواب لجأ اليها أنصار عرضية البديع عندما وجدوا بعض ألوانه تدرس في علم المعانى أو علم البيان ، فقالوا عن الالتفات : انه من حيث اشتماله على نكتة (١٠) هي خاصية التركيب من علم المعانى، ومن حيث انه ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة في الوضوح والخفاء من علم البيان ، ومن حيث انه يحسن الكلام ويزينه من علم البديع (١١) •

فصنفوا الفن الواحد في العلوم الثلاثة باعتبارات مختلفة ، وهو عندما يكون من المعانى أو البيان يعدونه من صميم البلاغة ، وعندما يكون من البديع يعتبرونه حلية وعرشاً ، وهذه تفرقة لا تصح ، فما دام اللون البلاغى قد جاء في موطنه مستوفياً شروط القبول فمن انعبث أن نصفه في كلام واحد بأنه من صميم البلاغة ثم نعود ونصفه بأنه محسن ومزين عرضي بناء على اعتبارات لم يلتفت اليها المتكلم •

علما بأن المتكلم عندما يستعمل أسلوب الالتفات أو غيره من الأساليب البلاغية فإنه يستدعى ما فيها من أسرار صالحة للمقام ، يستوى في ذلك ما كان منها راجعاً الى المعانى أو البيان أو البديع •

٣ — وردت فنون البديع في الأدب الجاهلى والاسلامى شعره

---

(١٠) نحو يعث المتلتي على مزيد الاصفاء والميل الى الكلام ، اذا كان المقام يستدعى ذلك •  
(١١) حاشية السيد الشريف على المطول ١٣٠ ، وانظر مواهب الفلاح ١/٢٦٤ •



ونثره ، واستخدمها العرب الخالص في التعبير عن أغراضهم كغيرها من طرق التعبير بطريقة فطرية لا تستند الى قواعد ، فجاء في أساليبهم التشبيه والقصر والاستعارة بجوار الطباق والسجع والجناس دون فرق فالحكم على الأساليب الأولى بالذاتية والأخرى بالعرضية حكم غير صحيح ، لان جميعها عند الناطقين بها من طرق التعبير التي يؤدون بها معانيهم ، ويختارون منها لكل معنى ما يناسبه ، وما يؤديه على الوجه الأكمل ، في ضوء الأحوال والمقامات .

٤ — يشتمل القرآن الكريم على قدر كبير من فنون البديع ، وقد جاءت فيه على نهجه المعجز ، لا تختلف في سمو بلاغتها عن بقية الأساليب والصور القرآنية ، والحكم على فنون البديع بالعرضية يعنى اشتغال النظم القرآني ، على حلى عرضية ، وهذا اتهام تدخسه البلاغة القرآنية العالية التي أعجزت الانس والجن ، ولا يستساغ القول بعرضية هذه الفنون في النتاج الأدبي ، وذاتيتها في النظم القرآني .

٥ — سلك الشيخ عبد القاهر المزوجة — والتقسيم — والتشبيه المتعدد في سلك واحد حين جعلهما من النظم العالي الذي يتحدد في الوضع ويدق فيه الصنع (١٢) ، فهو لا يفرق في النظم بين نون بديعي ولون بياني طالما أن كلا منهما يزيد من حسن النظم ويرفع من شأنه ويعلى من قيمته .

وتوسع فخر الدين الرازي في هذا فسلك في النظم العالي الذي تلتحم أجزاءه ويشد ارتباطها أبوابا كثيرة من البديع وبعض أبواب المعاني والبيان كالاغراض — والالتفات — والتاميم (١٣) .

(١٢) انظر دلائل الإعجاز ٩٢ — ٩٦ .

(١٣) انظر نهاية الإعجاز ٢٨٥ — ٢٩٢ .

فالفن البلاغى عند الشيخين يقدر بأثره فى النظم ، وبالقيمة التى يحققها فيه ، وليس عندهما محسن ذاتى وآخر عرضى ، وهذا هو المقياس الصحيح الذى ينبغى تطبيقه فى الحكم على الفنون البلاغية .

٦ — لا يصح الحكم على الفنون البديعية احتجاجا بما لها من أثر شكلى فى الأسلوب ، لأن وراء هذا الأثر الشكلى أغراضا معنوية هى المقدمة فى الحكم عليها بالحسن ، وقد أكد الشيخ عبد القاهر على أن الحسن فى هذه الفنون راجع الى المعنى أولا ، وضرب أمثلة بالطباق والتجنيس وأنسجع بين فيها أن حسنها راجع الى ما لها من آثار معنوية ، وأن الحكم عليها ينبغى أن يكون من خلال المعنى (١٤) ، وقد فصلنا القول فى ذلك عندما تحدثنا عن بلاغة هذه الألوان ، وذكرنا كلام الشيخ فى هذا .

كما أن السكاكى بعد أن فرغ من الحديث عن المحسنات اللفظية خشى من أن يظن أن الحسن فيها راجع الى اللفظ فبين أن المعنى فيها هو أصل الحسن بقوله : ونصل الحسن فى جميع ذلك أن تكون الألفاظ توابع للمعنى لا أن تكون المعانى لها توابع ، أعنى ألا تكون متكلفة (١٥) .

ومما يحمد للخطيب أنه ذكر مثل هذا فى ختام حديثه عن المحسنات اللفظية ، ولرجع الكلام الى مصدره وهو الشيخ عبد القاهر ، ونبته على ما يقع فيه بعض المتأخرين من شغف بالبديع حتى تستغلق معانيه على الألفاظ ، ودعا الى إهمال بعض فنون البديع التى لا أثر لها فى التحسين ، أو اختلطت بغيرها من الصور البلاغية (١٦) .

(١٤) انظر أسرار البلاغة ٤ — ١٤ .

(١٥) مفتاح المسلمون ٤٣٢ .

(١٦) الأيضاح ١٩٨/٦ ، ١٩٨ .

٧ — عرف المتقدمون البلاغة بأنها : ايصال المعنى الى القلب في احسن صورة في اللفظ ، فاشتروا في الكلام البليغ حسن اللفظ وجمال الصورة بجانب ايصال المعنى الى قلب السامع . وجعل الرمانى البلاغة عشرة أقسام : الایجاز — والتشبيه — والاستعارة — والتسلاؤم — والفواصل — والتجانس — والتصريف — والتضمن — والمبالغة — وحسن البيان . وهذه الأقسام منها ما يدخل في علم البيان ومنها ما يدخل في علم البديع عند المتأخرين ، ومقاييس المتقدمين تُصل في هذا ينبغى الاعتماد عليه وعدم التفريط فيه .

٨ — مضى بعض أعلام المتأخرين على جعل للبديع أصلا من أصول البلاغة يقف على قدم المساواة مع أخويه المعانى والبيان . من هؤلاء شرف الدين الطيبي ( ت ٧٤٣ هـ ) فقد جعل مرجع البلاغة الى الاحتراز عن الخطأ في قوانين التراكيب ، وفي طرق دلالتها ، وفي التضمنين ، وما يحترز به عن الأول علم المعانى ، وعن الثانى علم البيان ، وعن الثالث علم البديع ( ١٧ ) .

وعلى نهجه مضى أبو جعفر الغرناطى ( ت ٧٧٩ هـ ) في مقدمة شرحه بديعية ابن جابر الأندلسى في كتابه « طراز الحلة وشفاء الغلة » حيث عرف البلاغة بأنها : بلوغ المتكلم في تأدية المقصود الغاية من رعاية حسن اللفظ ، وتوفية المعنى بحسب اقتضاء المقام ، وجعلها راجعة الى ثلاثة أشياء : ما يحترز به عن الخطأ في خواص التراكيب وهو علم المعانى وفي طرق دلالتها وهو علم البيان ، وفي وجوه تحسينها وهو علم البديع ، فالبلاغة لا تحصل الا لمن استكمل العاوم الثلاثة ( ١٨ ) .

ومن هذا نرى أنهما جملا البلاغة متوقفة على مراعاة أصول العلوم

(١٧) التبيين ص ٢٧ .

(١٨) الصبح الجعوى ٥٠٧ ، ٥٠٨ :

الثلاثة دون فرق بيننا في الأهمية ، وهذه هي النظرة الصائبة التي يجب أن تسود الفكر البلاغي •

وبناء على ما سبق نرى أن فنون البديع إذا جاءت غير متكلفة وكان لها أثر في الاساوب يقتضيه المقام فإنها تكون محسنا ذاتيا ولا فرق بينها وبين الصور البلاغية الأخرى التي تدخل في علمي المعاني والبيسان •

وتعريف الخطيب للبلاغة يمكن أن يشمل هذه الفنون ، فالبلاغة عنده : مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته ، والتوسع في مفهوم الحال يجمع التعريف منطبقا على فنون البديع ، فإذا اقتضى الحال طباقا أو تقسيما أو مزاجا (أو غير ذلك كان الكلام المشتمل عليها مطابقا لمقتضى الحال ، وخلوه منها يجعله غير مطابق ، فيكون في الأول بليغا وفي الثاني على خلافه (١٩) •

وبهذا نصل الى نهاية ما قصدناه داعين الله عز وجل أن يجعل عملنا خالصا مقبولا • وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين •

\*\*\*

## المراجع

- ١ — الاتقان في علوم القرآن — السيوطي •
- ٢ — أسرار البلاغة — عبد القاهر الجرجاني • ت رشيد رضا •
- ٣ — الاشارات والتبهيهاات — محمد الجرجاني • ت د • عبد القادر حسين •
- ٤ — الأطلول — العصمام •
- ٥ — الاعجاز البلاغي — د • محمد أبو موسى •
- ٦ — اعجاز القرآن — الباقلائي • ت السيد صقر •
- ٧ — الأقصى القريب — التتوخي •
- ٨ — الانتصاف على الكشاف — ابن المنير •
- ٩ — الايضاح — الخطيب القزويني • ت د • محمد خفاجي •
- ١٠ — بديع القرآن — ابن أبي الاصبع — ت د • حفنى شرف •
- ١١ — البديع — ابن المعتز • ت كراتشكوفسكى •
- ١٢ — البديع في نقد الشعر — أسامة بن منقذ • ت د • أحمد بخوى و د • حامد عبد المجيد •
- ١٣ — البديع في ضوء ساليب القرآن — د • عبد الفتاح لاشين •
- ١٤ — البديع من المعانى والألفاظ — د • عبد العظيم المطعنى •
- ١٥ — البرهان في علوم القرآن — الزركشى • ت أبو الفضل •
- ١٦ — بغية الايضاح — عبد المتعال الصعدي •
- ١٧ — انبلاغة القرآنية — د • محمد أبو موسى •
- ١٨ — ابن أبي الاصبع المصرى — د • حفنى شرف •
- ١٩ — البيان والتبيين — الجاحظ • ت عبد السلام هارون •

- ٢٠ — تأويل مشكل القرآن — ابن قتيبة • ت السيد صقر •
- ٢١ — التبيان في علم المعاني والبديع والبيان — الطيبي • ت هادي عطية •
- ٢٢ — تحرير التحرير — ابن أبي الاصبغ — ت د • حفنى شرف •
- ٢٣ — التحرير والتنوير — الطاهر بن عاشور •
- ٢٤ — جنان الجناس — الصفدى •
- ٢٥ — جوهر الكنز — نجم الدين الطيبي — ت د • محمد زغلول سلام •
- ٢٦ — حاشية الدسوقي على المختصر — محمد الدسوقي •
- ٢٧ — سر الفصاحة — ابن سنان الخفاجى • ت الصميدى •
- ٢٨ — حاشية الشهاب على البيضاوى — الشهاب الخفاجى •
- ٢٩ — حاشية عبد الحكيم على المطول — عبد الحكيم السيالكوتى •
- ٣٠ — حدائق السحر في دقائق الشعر — رشيد الدين العمري •
- ٣١ — خزانة الأدب — ابن حجة الحموى • ت عصام شعيتو •
- ٣٢ — الخواطر السوانح في سرار الفسواتح — ابن أبي الاصبغ • ت د • حفنى شرف •
- ٣٣ — دراسات بلاغية — د • صباح عبيد دراز •
- ٣٤ — دلائل الاعجاز — عبد القاهر الجرجاني • ت محمود شاکر •
- ٣٥ — ديوان حسان — ت وشرح البرقوقى •
- ٣٦ — ديوان المتنبي — شرح البرقوقى •
- ٣٧ — سر الفصاحة — ابن سنان الخفاجى • ت الصميدى •
- ٣٨ — شرح عقود الجمان — السيوطى والمرشدى •
- ٣٩ — شرح مقامات الحريرى — الشريشى •
- ٤٠ — الصبغ البديعى في اللغة العربية — د • أحمد موسى •
- ٤١ — الصناعتين — أبو هاشم العسكري •

- ٤٢ — الصور البديعية بين النظرية والتطبيق — د. حفنى شرف •  
٤٣ — الطراز — العسلى •  
٤٤ — عروس الأفراح — السبكى •  
٤٥ — العمسدة — ابن رشيق • محمد محبى الدين •  
٤٦ — علوم البلاغة — أحمد المراعى •  
٤٧ — عيار الشعر — ابن طباطبا • ت د • عبد العزيز المانع •  
٤٨ — فض الختسام عن التورية والاستخدام — الصفدى •  
ت د • المحمدى الحناوى •  
٤٩ — فن البديع — د • محمد حسن حجازى •  
٥٠ — قدامة والنقد الأدبى — د • بدوى طبانة •  
٥١ — قواعد الشعر — ثعلب • ت د • محمد خفاجى •  
٥٢ — الكامل — المبرد •  
٥٣ — الكشاف — الزمخشرى •  
٥٤ — لسان العرب — ابن منظور •  
٥٥ — المختصر — سعد الدين التفتازانى •  
٥٦ — المثل السائر — ابن الأثير •  
٥٧ — المصباح فى المعانى والبيان والبديع — بدر الدين بن مالك •  
ت د • حسنى عبد الجليل •  
٥٨ — المطول — سعد الدين التفتازانى •  
٥٩ — معاهد التصيغ — العباسى • ت محبى الدين •  
٦٠ — معترك الأقران — السيوطى • ت البجاوى •  
٦١ — معجم ألفاظ القرآن الكريم — مجمع اللغة العربية •  
٦٢ — مفتاح العلوم — السكاكى • ت زرور •  
٦٣ — منهاج البلغاء — حازم القرطاجنى • ت ابن الخوجة •

- ٦٤ — الموازنة — الأمدى • ت السيد صقر •  
٦٥ — مواهب الفتاح — ابن يعقوب •  
٦٦ — المواهب الفتحية — حمزة فتح الله •  
٦٧ — الموشح — المرزبانى •  
٦٨ — نظرات في البلاغة والاسناد — دء محمد عبد الرحمن الكردى •  
٦٩ — نظرات في البيان — دء محمد عبد الرحمن الكردى •  
٧٠ — نقد الشعر — قدامة بن جعفر • ت دء خفاجى •  
٧١ — نقد النثر — تقديم طه حسين و ت العبادى •  
٧٢ — النكت في اعجاز القرآن • الرمانى •  
٧٣ — نهاية الايجاز في دراية الاعجاز — الرازى • ت بكرى  
شيخ الامين •  
٧٤ — الوساطة بين المتنبي وخصومه — القاضى الجرجانى •  
ت أبو الفضل والبجاوى •  
٧٥ — يتيمة الدهر — الثعالبى • ت محبى الدين •

\*\*\*



## محتويات الكتاب

مقدمة : ٣ — ٥ •

تمهيد : البديع نشأته وتطوره : ٧ — ٢٩ •

الفصل لأول : فنون التناسيب : ٢١ — ١٢٥ •

الطباق : ٣٣ — بلاغته : ٥٠ — المقابلة : ٥٣ — بلاغتها : ٦٤ — مراعاة  
النظير : ٦٩ — بلاغتها : ٨٤ — الارصاد أو التسويم : ٩١ — بلاغته :  
٩٣ — المزاوجة : ٩٧ — بلاغتها : ٩٩ — السجع : ١٠١ — الفواصل  
القرآنية : ١٠٨ — بلاغة السجع : ١١٠ — مواضع التأنق : ١١٤ —  
حسن الابتداء : ١١٤ — فواتح السور : ١١٨ — حسن التخلص : ١١٩ —  
حسن الانتهاء : ١٢٣ — خواتم السور : ١٢٥ •

الفصل الثاني : فنون التخييل والايهام : ١٢٧ — ٢٢٠ •

التورية : ١٢٨ — بلاغتها : ١٣٧ — المشاكلة : ١٤١ — بلاغتها : ١٤٩ —  
حسن التعليل : ١٥٠ — بلاغته : ١٦٠ — التجريد : ١٦٤ — بلاغته :  
١٧٩ — تأكيد المدح بما يشبه الذم : ١٨٤ — تأكيد الذم بما يشبه المدح :  
١٩١ — بلاغة هذين اللونين : ١٩٤ — الجناس : ١٩٧ — الجناس التام :  
١٩٧ — الجناس غير التام : ٢٠٣ — ألوان من الجناس : ٢١٣ — بلاغة  
الجناس : ٢١٦ •

الفصل الثالث : فنون الاجمال والتخصيل ٢٢١ — ٢٥٦ •

اللف والنشر : ٢٢٢ — بلاغته : ٢٢٨ — الجمع : ٢٣١ — بلاغته : ٢٣٣ —  
التفريق : ٢٣٥ — بلاغته : ٢٣٨ — التقسيم : ٢٣٩ — بلاغته : ٢٤٤ —  
الجمع مع التفريق : ٢٤٨ — الجمع مع التقسيم : ٢٥١ — الجمع مع  
التفريق والتقسيم : ٢٥٤ — بلاغة الفنون المزجوجة : ٢٥٥ •

الخاتمة : مكانة البديع بين علوم البلاغة : ٢٥٧ — ٢٦٦ •

المراجع : ٢٦٧ •

الفهرس : ٢٧١ •

## المؤلف

### الكتب :

- ١ — مع النظم القرآني في سورة النور • توزيع دار المعارف •
- ٢ — أبحاث البلاغ في ظلال القرآن الكريم • توزيع دار المعارف •
- ٣ — المعركة النقدية بين ابن وكيع والقتبي • توزيع دار المعارف •
- ٤ — خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام • مكتبة وهبة •
- ٥ — بحوث في البلاغة والنقد • مكتبة وهبة •
- ٦ — مقاييس البلاغين في فصاحة الكلمة • مكتبة وهبة •
- ٧ — دراسات منهجية في علم البديع •

### البحوث :

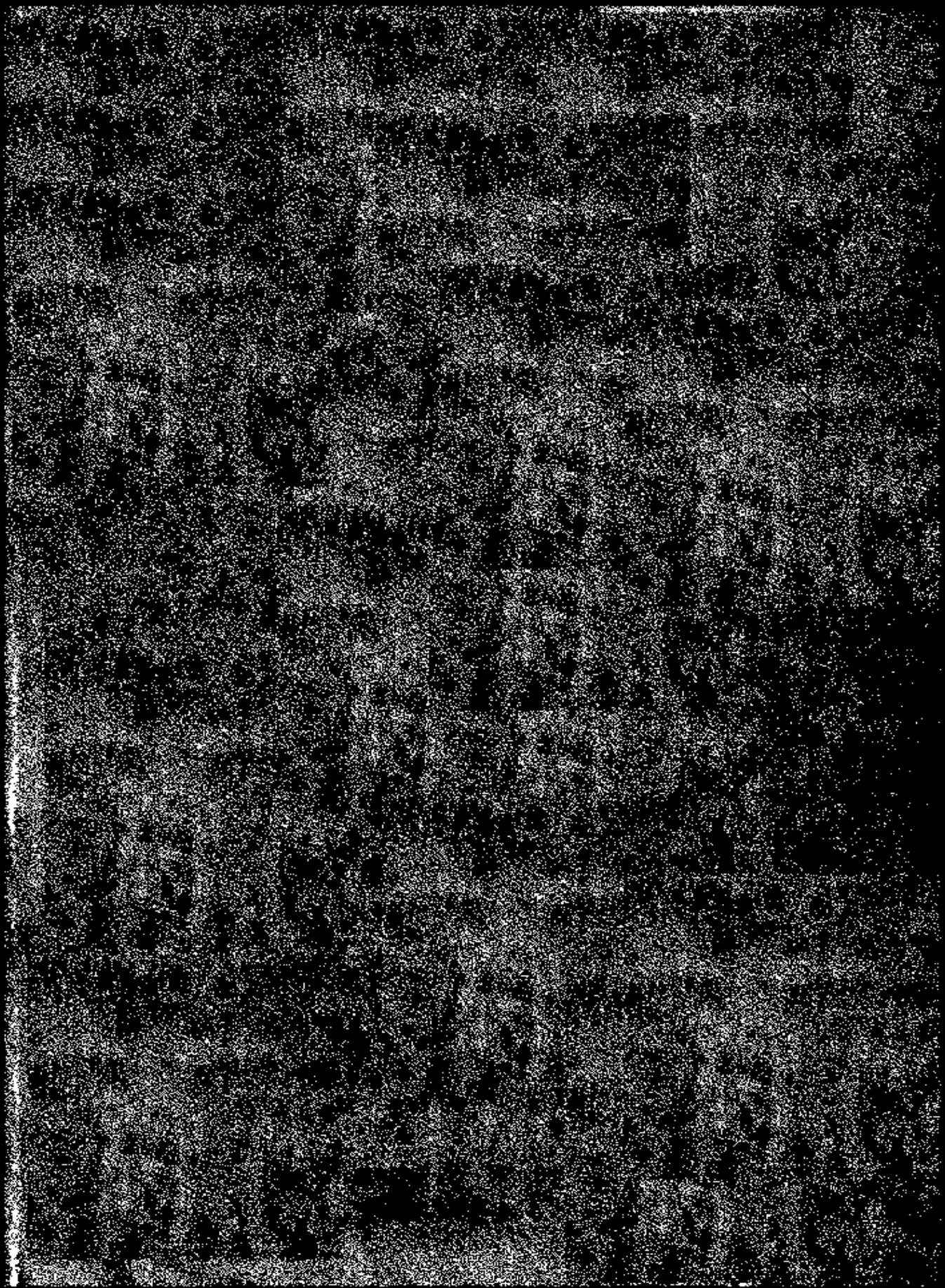
- ١ — الأمر عن طريق الاستفهام • مواقفه وأسراره في القرآن الكريم مجلة الأزهر •
- ٢ — ابن المعتز وكتابه « البديع » • مجلة كلية اللغة العربية بدمنهور •
- ٣ — اللفظ القرآني ومقاييس الفصاحة • مجلة كلية اللغة العربية بدمنهور •
- ٤ — التقديم والتأخير بين عبد القاهر والمتأخرين • مجلة كلية اللغة العربية بدمنهور •

### تحت الطبع :

- ١ — ابن طباطبا العلوي وجهوده البلاغية والنقدية • رسالة ماجستير •
- ٢ — البلاغة القرآنية في تفسير أبي السعود • رسالة دكتوراه •

رقم الأيداع : ١٩٩٤/٢٨٤٠





To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)